

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الخامس * السنة الخامسة
رمضان 1381 – فبراير 1962
ثمن العدد : درهم ونصف

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة الخامسة
رمضان — 1381
فبراير — 1962

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط . المغرب

صورة الغلاف



صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني
أيده الله

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» — قسم التحرير — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فاكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا من سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 — 485 — الرباط —
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» — قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط — المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع — وزارة عموم الاوقاف — الرباط
تليفون 10-308 — الرباط



كلمة العدد

يعيش المغرب هذه الايام فرحة كبرى بمناسبة اعلان اتفاقية ايفيان وعودة الزعماء الخمسة الى ترابه مظفرين معززين بعد ما اقدمت فرنسا بكل وقاحة على اختطافهم والزج بهم فى السجون مدة تزيد على الخمس سنوات ، ان كل متتبع للثورة الجزائرية فى مختلف مراحلها كان يومن بحتمية انتصارها ذلك لانها ثورة من اجل قضية عادلة ، ولانها نبع قوي من تيار تحرري عارم يغمر شعوب العالم اجمع ، ولان قيادتها برهنت فى كل مناسبة عن وعي ونضج وتبصر ، واذا كنا نهنىء انفسنا بهذا المكسب الاول الذي حققته الثورة الجزائرية فى زحفها المقدس فما زلنا نتطلع الى الاهداف الكبرى البعيدة التي كانت تجول فى ضمير كل مغربي ثائر وتلهب حماسه وتفجر فيه طاقات ثورية جبارة .

ان الاستقلال ليس غاية ينبغي ان ينتهي عندها كل عمل ثوري وانما هو وسيلة لخلق مجتمع جديد تحقق فيه الامة وجودها الكامل وارادتها الفاعلة ، ونحن المغاربة العرب تجمعنا اكثر من ءاصرة ، ويوحد بيننا اكثر من هدف ولقد عشنا خلال فترة كفاحنا المرير يراودنا حلم كبير وعميق فى بناء وحدة كاملة للمغرب العربي الكبير ، فالفرحة التي تهزنا اليوم تمس جملة من الاهداف والرغائب والمطالب الثاوية فى صميم شعورنا ، وقد آن الاوان للشروع فى رسم الصورة الحية للمغرب العربي ، الصورة التي تتجاوب مع مشاعر شعوبه ومطامحه ، وتلبي حاجات كل فرد بصورة يستطيع معها أن يصبح انسانا مبدعا خلاقا قادرا على ان يسهم بدوره فى بناء المجتمع الانساني ، ويمده بروافد جديدة من الخير والحق والجمال .

دعوة الحق

تهنـئـة

بمناسبة الذكرى الأولى لجلوس صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله على عرش اسلافه المقدسين تتقدم أسرة المجلة وعلى راسها معالي وزير الأوقاف الحاج احمد بركاش الى العاهل المفدى باسمى آيات التهاني والتبريك راجية من المولى أن يكلأه بعين رعايته حتى يحقق لشعبه اهدافه الكبرى فى العزة والرفعة والسؤدد .

((دعوة الحق))

نص الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة

بمناسبة الذكرى الأولى لجلوسه على عرش أسلافه الكرام

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي :

يقتضينا واجب البرور والوفاء – ونحن نخاطبك بمناسبة الذكرى الاولى لجلوسنا على عرش اسلافنا المنعمين – ان نتوجه بقلوبنا وافكارنا الى منقذ الامة ومحررها ، ومحيي مجدها ، وخالق نهضتها ، جلالة والدنا المرحوم ، سيدنا محمد الخامس ، طيب الله ثراه واحسن مثواه ، فلقد فارقنا فى مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، والتحق بمولاه ، بعدما حرر الوطن وشرع فى استكمال وحدة ترابه ، وجدد شباب الدولة وارسى قواعدها ، وخط لامته مثلى السياسات واقربها الى الحق والصواب ، وعبد لها محجة بيضاء ليلها كنهارها ، وطبعها بطابعه الذي ستبقى معالمه واضحة بينة ، وان طالت الدهور وتعاقبت العصور .

ولئن دهينا بموته ، ونكبنا افدح نكبة بفقده ، وحرمنا من رشيد قيادته ، وجميل هدايته ، ونحن اليهما فى امس الحاجة ، فان عزاءنا كان التراث الروحي والرصيد المعنوي الثمين الذي سيبقى خير زاد تعتمد عليه اجيال عديدة مقبلة ، فى سيرها المتواصل عبر مسالك الزمان .

ولقد كان من نعم الله على جلالة الملك المقدس ، ان رأى – وهو بقيد الحياة – بواكير تربيته وتكوينه وشاهد ءاثار جهوده وجهاده ، حتى اذا اختاره لجواره فارقنا – رضوان الله عليه – قرير العين مرتاح البال تاركا وراءه شعبا يقظا واعيا متماسكا ، مدركا فى قرارة نفسه ان الوفاء للهداة المرشدين ، والقادة المحبوبين ، لا يتمثل فى الجزع على فراقهم بقدر ما يتمثل فى الوفاء لمبادئهم والتمسك بتعاليمهم وخدمة المثل العليا التي كانوا يتعشقون ومواصلة السير نحو الغايات التي كانوا اليها يجدون .

وان من مئاثر محمد الخامس ان شعبه الذي بكاه بما لم يبك به ملك قط وجزع على فقده جزعا قلما حدث عن مثله التاريخ ، لم يحد وهو فى غمرة الحزن والاسى عن التعاليم والنصائح والوصايا التي لم يفتأ – رضي الله عنه – يزوده بها فى حياته بمجرد ما طرق سمعه نبأ الفاجعة ، اولانا من الحب والولاء مثل الذي اولاه ، واظهر من التعلق بشخصنا والتشبث بعرش اسلافنا ، والارتياح لاستخلافنا الذي لا يعادله الا ارتياحنا لتقلد امور شعب مخلص مثله ، ما دل على كرم طباعه وحسن وفائه ، وما يغمره من وعي وطني ونضج سياسي فاستمرت الدولة تواصل سيرها المعتاد طبق الخطط المرسومة ، والبرامج الموضوعة وتاكد القاصي والداني ، ان مقومات الدولة فى هذا البلد الامين عريقة الاصول ، سامقة الفروع ، لا تؤثر فيها الاحداث وان عظمت، ولا يزعزعها فقد الرجال وان عزوا وكرموا .

لقد كان الارتياح الذي قابل به شعبنا خلافتنا لوالدنا المقدس ، خير مسل لنا عن الاحزان التي

اصابتنا بصفة خاصة ، كما تصيب كل ابن بار فقد ابا حفيا ، واكبر مقو لنا على تقلد الامانة العظمى ، وتحمل الاعباء الثقيلة التي كانت ملقاة على كاهل والدنا ، فواجهنا — ونحن في غمرة الحزن والاسى — مأموريتناالكبرى بعزيمة قوية، وارادة ثابتة مستنيرين بنصائح سيدنا المقدس ووصاياه ، سائرين في الطريق القويم الذي عبده ، مترسمين خطاه في السهر على مصالح الامة ، والدفاع عن حقوقها ، ونصح الرعية والرفق بها والحنو عليها والتسوية بين افرادها ، وضمان الامن والعدل لها ، وتوسيع آفاق الرقي والتقدم امامها ، وتيسير اسباب السعادة وابلاغها الى ما تصبو اليه من رفعة ومجد وفخار .

ومن عناية الله بنا أن يسر لنا اسباب مواصلة العمل دون انقطاع ، فقد كانت الاهداف التي يتعين بلوغها محددة مجمعا عليها من طرف الملك والشعب والسياسة التي يجب سلوكها واضحة بينة ، ومن حسن حظنا نحن بصفة خاصة ان كان والدنا المرحوم يحبونا بعطفه السامي وثقته الغالية ، فائتمننا على مكنون اسراره ، واطلعنا على سديد آرائه ، وصائب انظاره ، واشركنا تكرما منه وتلطفا — قبل المنفى وخلاله وبعده — في تخطيط السياسة القومية واعداد مشاريع بناء المغرب الجديد ، وعهد الينا بتنفيذها ، فلما التحق بالرفيق الاعلى ، لم نكن نحن ولا شعبنا في حاجة الى تخطيط سياسة ، ولا الى البحث عن قواعد فلسفية جديدة لاقامتها عليها ، فمذهب والدنا المقدس هو مذهبنا ، وروح رسالته هي روح رسالتنا ، شاركنا فيها مخططين ومنفذين ، ورضيها الشعب واعتنقها بالتفافه حول الملك وتأييده .

نعم ! من الطبيعي ان تختلف الوسائل ، وتتنوع المناهج ، وان تتأثر السياسات نفسها بما يحيط بها من عوامل وظروف ، وتتطور تبعا لتطور المفاهيم والمقاييس وتجدد الوقائع والاحداث ، ولكننا مع ذلك سنظل متمسكين بالمبادىء الاساسية التي تنبني عليها سياستنا ، لانها مبادىء مستوحاة من واقعنا ، معبرة عن امانينا ، كفيلة بتحقيق مطامحنا .

شعبنا الوفي :

يتميز العصر الذي نعيش فيه بتقدم العلم وطغيان المادة ، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وارشد الحكومات حكومة عرفت كيف تحسن الاختيار وسط هذا الخضم العالمي الصاخب المتلاطم بالاراء والنظريات المختلفة ، وتخط لشعبها سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته ، مرتكزة على مقوماته ، ملبية لعبقريته واحتياجاته ، سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته ، او فيما ينوبه كعضو مسؤول في الاسرة الانسانية الكبرى ، وقد اختار المغرب بالفعل — وما كان في اختياره مقلدا — فنحن وان كنا قليلي العدد متوسطي الامكانيات امة ذات قيم روحية وتقاليد قومية ، وايمان راسخ ، وحماس متأجج وقدرة على التفكير والابتكار، وان الاتجاه السليم بالنسبة لنا يجب ان يدخل في اعتباره هذه الحقائق، ويراعي هذه المميزات لذلك كانت السياسة الرشيدة المناسبة هي الديمقراطية في الميدان السياسي ، والعدالة في الميدان الاجتماعي ، والتوازن في الميدان الاقتصادي وعدم التبعية في الميدان الخارجي ، سياسة تحرير الفرد المغربي واشراكه فعليا في تسيير الشؤون العامة ، وجعله في مأمن من الفقر والمرض والجهل ، وضمان الامن والعدل له ، سياسة استغلال الثروات الوطنية لفائدة المجموع ، وتوزيع الدخل القومي توزيعا عادلا ، مع احترام الفرد في حريته ومواهبه وابتكاراته حتى يتسنى لكل مغربي ان يسند بمجهوده الخاص البرامج التي نضعها ونسهر على تنفيذها ، قصد تشييد صرح نهضة وطنية تشمل جميع الميادين .

وعندما استرجعنا استقلالنا منذ ست سنوات وجدنا انفسنا امام جهاز معقد مصطنع ، اذ كان كل شيء بيد الاجانب ، كما كانت المبادىء والوسائل والاهداف لا تتطابق مع الاحتياجات الحقيقية للبلاد والمنافع الخاصة لسكانها الاصليين ، وكنا يومئذ مخيرين بين الاستجابة لداعي مطامحنا القومية ولو ادى ذلك الى سلوك اوعر المسالك وبين ان نترك الحالة على ما كانت عليه راضين بالمظاهر البراقة ، قانعين بالفوائد التافهة العاجلة ، ولكن قوة ايماننا ورعاية والدنا الذي كان يسهر سهرا متواصلا على المقومات الخلقية لهذه الامة ابتا الا ان نستجيب لداعي المطامح ، ونركب اصعب المراكب ونكافح في عدة ميادين لدعم استقلالنا ، واصلاح نظمنا ، واعداد الوسائل الانسانية والمالية والتقنية للقضاء على التخلف

الاقتصادي والاجتماعي والفكري الذي كانت البلاد تعاني منه اشد الآلام ، وان الذين يثنون عنان الذاكرة قليلا الى الوراء ليدركوا اي اشواط واسعة قطعناها فى سبيل تحقيق مرامينا ، وبالرغم من تزايد الاحتياجات وتكاثر المتطلبات ، واتساع نشاط الدولة ، لم يبق اليوم الا عدد قليل من الخبراء الاجانب الذين كانوا يبلغون خمسين الفا سنة 1956 ، اذ بدات الجهود القوية التي بذلتها حكوماتنا لتعويضهم تؤتي ثمارها المنشودة وشرعت الكليات والمعاهد تخرج لنا كل سنة مئات المهندسين والاطباء والقانونيين والاداريين والمتخصصين .

السياسة الخارجية

شعبنا الوفي .

لقد اخذنا على انفسنا ان نترسم خطى والدنا المرحوم ، ونستمد من مبادئه التحررية التقدمية التي تجاوزت فى تطلعها حدود وطننا لترنو الى ءافاق عالم فسيح تخيم عليه الوية العدالة والتعاون ، ومتخذين من الاتجاه القويم ، والنهج السليم الذي رسمه لسياستنا الخارجية نبراسا نستضيء بنوره ونهتدي بسناه .

ففي الميدان الافريقي واصلنا الجهود لتشييد صرح افريقيا موحدة متحررة متشبثين بميثاق الدار البيضاء التاريخي ومقرراته الهامة ، وان من بواعث الارتياح ان هذه المقررات اخذت تدخل فى حيز التطبيق ، غير ان قوة ايماننا بضرورة توحيد النضال فى افريقيا من اجل القضاء على كل شكل من اشكال التخلف والاستعمار تحدونا لان نبدي اسفنا من الوضع الذي يبعض القارة الافريقية التي تتنازع فوقها طوائف وجماعات فى وقت هي احوج ما تكون فيه الى لم شتاتها ، ودعم كيانها ، وتوحيد صفوفها وتنسيق خططها لسد كل منفذ فى وجه الاستعمار الجديد .

ولعل الوقت قد حان للدعوة الى عقد مؤتمر افريقي شامل يهدف الى اقامة تعاون على اساس مبادىء ترمي الى توحيد افريقيا وتحررها وانشاء مجموعة افريقية متضامنة متعاونة ، وان فى ارادة شعوب افريقيا القوية ، ووعيها لخير ضمان لتحقيق هذه الغاية .

ولقد اصبح اليوم لزاما علينا نحن الافارقة ان لا نفكر فى شؤوننا داخل اقطارنا فحسب ، بل فى نطاق المجموعة الافريقية ومصالحها العليا لذلك ظلت سياستنا الخارجية متمسكة بمناصرة الشعوب الافريقية المناضلة فى سبيل استرجاع حريتها وصيانة كرامتها ، وتحقيق ارتباط بعضها ببعض باوثق الروابط واقواها ، وفى الرغبة الاكيدة فى ان تكون صفا متراصا، وكتلة متماسكة ، من شانها ان تواجه كل تكتل يتحين الفرص لاستغلالها وجعلها سوقا يغري بالمساومة ، وبهذه الروح التحررية ، وعملا بالمبدإ الذي ما يبرح قاعدة لسياستنا الخارجية ، وهو مبدا عدم التبعية توجهنا بانفسنا للمشاركة فى اعمال مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة فى وقت اشتد فيه التوتر العالمي ، تحدونا رغبة المساهمة فى التخفيف من حدة هذا التوتر والعمل على ان يسود الوفاق والتعاون والتعايش بين مختلف الانظمة ومتباين الاتجاهات .

وقد استطعنا بعون الله ان نظهر المغرب خلال هذا المؤتمر فى مظهره اللائق بماضيه وامجاده ، بلدا لا ينقطع عن العمل المثمر البناء فى الداخل والخارج ولا تفتر عزيمته عن مساندة قضايا التحرر فى العالم وتثبيت دعائم السلام والوئام .

ولم ننس فى وقت من الاوقات ، رغم ما تضطرب به ارجاء الدنيا من احداث جسام ان المغرب جزء من العالم العربي ، وان بيننا نحن العرب فى الشرق والغرب روابط ماسة يجب علينا فى كل وقت وحين ان نعمل على تنميتها وتعزيزها ، ونحن واثقون من ان الجهود ستتكاثف ونتغلب على الصعاب وتقضي على كل ما من شانه ان يحدث الفل ، ويفرق الشمل فيتسنى حينئذ للامة العربية ان تنهض وتقوم بالدور الجدير بماضيها وموقعها وطاقاتها .

وان مما يدعم الكيان العربي ، ويعزز مكانته ، ذلك الحدث السعيد الذي لاحت تباشيره فى سماء جناحنا الغربي ، ونقصد به ميثاق اقطار المغرب العربي ، ولا شك ان هذه الوحدة التي صهرتها ءامال وءالام شعوب هذه الاقطار ، وغذتها ارادتها المشتركة، ستكون عامل قوة لها ، وتفتح الآفاق لتقدمها ورقيها.

واننا اذ نرقب دنو ساعة تحرير الجزائر المكافحة لنسجل بارتياح عميق الجهود الكبيرة التي تبذل

لاقرار السلم فى ربوعها على اساس الاعتراف لها باستقلالها ووحدتها ، وكما كنا بجانب الجزائر فى كفاحها سنظل متضامنين معها الى ان تتبوا مكانتها كدولة مستقلة متمتعة بسيادتها وكرامتها .

ولئن كان جلالة والدنا طيب الله ثراه ، لم يدخر وسعا اثر الاستقلال فى سبيل تحقيق جلاء الجيوش الاجنبية عن الوطن ، فقد تابعنا من جانبنا تلك الجهود وسرنا على سننه المحمودة ، ومن منن الله علينا ان كان اول نبا زففناه الى شعبنا بعد جلوسنا على عرش اجدادنا الكرام ، نبا الجلاء التام عن وطننا ، على ان هذا كله لم ينسنا ولن ينسينا تشبثنا الدائم بتحرير جميع الاجزاء المغتصبة من وطننا فى الشمال والجنوب ، وان استمرار تآمر الاستعمار الجديد على اقليمنا الوطني – موريطانيا – وبقية الاقاليم المغتصبة من وطننا ومساعيه لفصلها عن الوطن ، لن يفل عزمنا القوي وعزم مواطنينا هناك على مواصلة العمل لتحريرها واسترجاعها .

واننا اذ نستعرض مظاهر سياستنا الخارجية ، ليجمل بنا ان نسجل النشاط الديبلوماسي الملحوظ الذي شهدته بلادنا خلال هذه السنة ، والذي تمثل على الخصوص فى مساهمتنا فى مؤتمرات دولية ومنظمات اممية ، ولئن دل هذا على شيء فانما يدل على الخصوص فى مساهمتنا فى مؤتمرات دولية ، وذيوع صيت يتسع مداه يوما بعد يوم وما ذلك الا نتيجة لما اتسمت به سياستنا الخارجية من وضوح واستقرار واستمرار .

الانعاش الوطني

شعبنا الوفي

لقد ورث المغرب المستقل عن الحماية مجتمعا منعدم التوازن ، اذ كان اهل البادية البالغ عددهم 80 فى المائة من مجموع السكان محرومين مهملين لا يستفيدون من التطور الجديد ، وبينما كان الجفاف يعرضهم ومواشيهم لاخطار المجاعة كانت السيول من جهتها تعرض التربة التي هي مورد رزقهم لخطر التبدد والانحلال ، حتى بلغ المعدل السنوي للمساحة التي تذهب السيول بتربتها الصالحة ستين الف هكتار . ومن البديهي ان هذا يجعل اقتصاد البلاد مختلا ، وبالتالي عيش جميع سكانها غير مضمون فاذا اضفنا الى هذا ان سكان المغرب يزداد عددهم 720نسمة كل يوم ، وانالدولة يجب ان تهيىء لابنائها العيش والسكن والتعليم والعمل ، تصورنا بوضوح جسامة المسؤوليات وثقل الاعباء التي اصبحت تواجه امتنا منذ الايام الاولى لاستعادتنا الحرية والاستقلال .

ولقد كانت لوالدنا المقدس رغبة قوية فى القضاء على كل تفاوت رغبة فى ايجاد توازن متناسق لا بين اهل البادية واهل الحاضرة فقط ، ولكن بين مرافق الاقتصاد نفسها ، وهي رغبتنا التي سعينا جميعا معه فى تحقيقها ونواصل السير بعد التحاقه بالرفيق الاعلى لتحقيقها . ومنذ اكثر من سنة اصبح العمل الذي تباشره حكومتنا فى هذا الميدان يسير طبق مخططات التجهيز .

فلقد كانت ميزانية التجهيز تبلغ 354 مليون درهم سنة 1959 و351 مليون درهم سنة 1960 ؛ وارتفعت الى 451 مليون درهم سنة 1961 ، ثم ارتفعت الى اكثر من 505 ملايين درهم سنة 1962 . واننا لعازمون على ان نصرف هذه السنة جميع هذه الاعتمادات المخصص جلها للفلاحة والري والاشغال العمومية والتعليم والصحة والتصنيع ، او بعبارة جامعة لتجهيز البلاد ، واهتماما منا بتشغيل اكبر عدد ممكن من اليد العاملة والتعجيل بالتطور فى ميدان التجهيز ابتكرنا هذه السنة طريقة فعالة سميناها الانعاش الوطني ، انصرف اليها جانب مهم من مجهودنا ، وعم مفعولها جميع الاقاليم والميادين .

لقد تطورت حملة الانعاش الوطني التي برزت الى الوجود فى اثناء سنة 1961 تطورا سريعا ونجحت نجاحا مرضيا ، ولم تكن هذه الحملة مجرد عملية لمكافحة البطالة ، بل انها سياسة جماعية ترمي الى ادراج سكان المملكة فى حركة التنمية واحداث تحول عميق فى تفكيرهم وطرق عملهم .

لقد بلغت ارقام التشغيل لحد الآن فى مختلف اوراش العمل بانحاء المملكة اكثر من عشرة ملايين كان لها الاثر البين فى احياء الاراضي واستصلاحها ، ويسرنا ان نسجل ان النداء الذي وجهناه لفائدة صيانة

التشجير صيانة للارض الطيبة وحماية لها من الضياع، قد استجاب لـه رعايانا ، فبلغت مساحات الارض المستصلحة واحدا وعشرين الف هكتار ، وبلغ عدد اشجار الغابات والفواكه التي غرست سبعة عشر مليونا .

وفى نفس الوقت تمت بنجاح كامل سلسلة من العمليات الخاصة ففي نطاق عملية المدرسة اصبح المغرب يتوفر فى اقل من ثلاثة اشهر على الف ومائتي قسم جديد ، وشنت حملة لمحاربة الامية اسفرت عن نتائج مدهشة فى اقليم بني ملال الذي جعلناه نموذجا لها ، وشرع الآن فى بناء الدور الجماعية ، وستكون هذه العملية محور سلسلة من العمليات المتنوعة يتحسن بفضلها وجه البادية ، والى جانب هذا فان حملة الانعاش الوطني سيتسع نطاقها ويتنوع مجالها خلال سنة 1962 بفضل التجارب التي اكتسبت من المرحلة الاولى.

ويتعزز الانعاش الوطني بانشاء الخدمة الوطنية التي ستكون بمثابة مدرسة للتدريب والتكوين .

واننا لنعبر ونحن فى هذا الصدد عن ارتياحنا للدور الفعال الذي قامت به اطارات مختلف الوزارات وبالاخص اطارات وزارتي الداخلية والفلاحة ، فقد اسهمت كل منهما بالنصيب الذي كان له الاثر المحمود فى حملة الانعاش الوطني .

الشؤون الفلاحية

وقد اولينا عناية خاصة لباديتنا ، علما بان حياتنا الاقتصادية تتسم بالطابع الفلاحي ، وان موارد الكثرة من رعايانا تتكون من المنتوجات الزراعية .

ولهذه الغاية ادخل على وزارة الفلاحة والمؤسسات التابعة لها تعديل عميق يتمثل فى توزيع جديد لمهامها قصد تقريب مجهود الدولة من الفلاح حتى يستفيد من هذا المجهود فائدة محققة .

فبعد تاسيس المكتب الوطني للري الذي شرع الآن فى انجاز برامجه ، اتمت حكومتنا طور اصلاح الوسائل التي تملكها الدولة فى الميدان الزراعي وذلك بتاسيس المكتب الوطني للتجديد القروي والصندوق الوطني للقرض الفلاحي والمعهد الوطني للابحاث الفلاحية .

وهكذا يمكن لوزارة الفلاحة ان تصرف الآن جهودها للبحث والتخطيط الراميين الى التطور القروي فى الميادين الفلاحية والاجتماعية والاقتصادية .

واننا نعتقد ان نظام التعاونيات من انجع الوسائل لهذا التطور، لذلك اوصينا بتعميمه، الا ان تطبيق البرامج الهامة للتطور الفلاحي سيبقى عديم الجدوى اذا لم يكن مصحوبا بتطور سريع للتعليم الفلاحي ، لان امداد الفلاحين بالاطارات الكافية يعتبر العامل الاساسي للتجديد القروي . واذا كان تكوين المهندسين يتم الآن بصورة مؤقتة فى الخارج ، فمن المقرر ان يشهد بلدنا قريبا احداث تعليم فلاحي عالي ، وان مما يبعث على السرور ان تختار المصالح الفنية التابعة لمنظمة الامم المتحدة المغرب لانشاء قسم عال للفلاحة الخاصة بحوض البحر الابيض المتوسط .

ان نهج سياسة متبصرة تعتمد على استعمال الوسائل الجديدة فى جميع الميادين لخليق ان يساعد الفلاحة الوطنية على اجتياز مرحلة حاسمة فى طريق تطورها ، وسيكون ازدهارها ولا ريب ، من اقوى العوامل لازدهار سائر مرافق الاقتصاد الوطني .

شعبنا الوفي

اذا تضاعفت العناية خلال هذه السنة فى الفلاحة فلانها هي العنصر الاساسي لاقتصادنا ولان الفلاحين هم الذين يكونون السواد الاعظم من المستهلكين فكل تطور وتجديد فى الفلاحة يهيىء لا محالة الاسباب لازدهار الفلاحة ونمو التجارة .

الاقتصاد والتصميم

ولا ريب فى ان ازدهارنا الاقتصادي رهين بتحويل وجهتنا الفلاحية والمعدنية تحويلا صناعيا فوق ترابنا الوطني ، وبانشاء صناعة حديثة تسد احتياجاتنا ، ولهذه الغاية تساهم الدولة مساهمة فعالة فى جميع المنشآت الصناعية الحيوية التي يعجز غيرها عن انجازها وتشجع جميع محاولات توظيف رؤوس الاموال الخاصة التي تود ان تشارك فى تجهيز البلد وتصنيعه .

وفى هذا الصدد ادخلت تعديلات على القانون المتعلق بتوظيف رؤوس الاموال ولم تغب عنا اهمية

التعاون الدولي فى الميدان الاقتصادي لذلك عقدنا مع عدة دول اتفاقيات مختلفة تكفل التعاون وتوظيف رؤوس الاموال .

وقد جاء احداث الصندوق الوطني لتوظيف رؤوس الاموال مكملا لسياسة التوظيف هذه ومتوجا لها ، اذ انه يقوم فى ميدان تعبئة الوفر بالدور الذي يقوم به الانعاش الوطني فى ميدان تعبئة السواعد .

ومن جهة اخرى فقد قررنا سلوك سياسة جبائية جديدة دخلت فى حيز التطبيق منذ اول السنة الجارية وهي سياسة تتسم بطابع العدل والتشجيع اذ انها تعفي الضعفاء ولا سيما صغار الفلاحين من الاثقال الجبائية التي لا تتفق ومستوى دخلهم كما انها تحمل فى طياتها العوامل الكفيلة بالتنمية السريعة والتجديد المطرد فى الميدانين الصناعي والفلاحي معا .

ولقد كان اهم حادث امتازت به السنة المنصرمة فى ميدان التصنيع وضع الحجرة الاساسية فى بناء المركب الكيماوي الاسفي ودخول مصافي سمير لتكرير النفط بالمحمدية فى طور الانتاج وقطع اشواط اخرى فى اتمام الدراسات المتعلقة بانشاء مصانع وطنية للصلب واخرى للزنك وافران لصهر الرصاص واحواض لبناء السفن .

وسيشرع قريبا فى انشاء مصنع وطني للسكر بسيدي سليمان وتطبيقا لسياسة مغربة الاقتصاد قررنا مغربة بعض مرافقه الحيوية كالابناك ومؤسسات التامين وتأميم قطاعات اخرى حيوية ، ويسرنا ان نخبر شعبنا الوفي أننا قررنا تاميم الطاقة الكهربائية والسكك الحديدية واننا لنهنىء انفسنا بذلك .

وقد سجل ارتفاع فى مبادلاتنا التجارية كما تضاعفت وحدات اسطولنا التجاري .

ولا ريب فى ان من اهم العوامل التي تبعث على خلق الازدهار الاقتصادي توفير الاطارات المتخصصة وصيانة حقوق الطبقة العاملة ، وفى هذا الصدد ما فتئت وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية توالي جهودها بتوفيق ونجاح ، وان القوانين الاجتماعية التي ترعاها تطبق وتتحسن باستمرار .

رعايانا الاوفياء

ان التقدم الاقتصادي لم يكن هو الهدف الوحيد الذي نسعى اليه ولا الميدان الفريد الذي يستاثر باهتمامنا ، بل ان هذا التقدم نفسه لا يمكن ان يثمر ثماره المنشودة ولا ان يأتي بالنتائج المتوخاة الا فى اجواء ثقافية وصحية ملائمة وفى ظلال العدل والامن والاستقرار ، لهذا كانت عنايتنا وستبقى منصرفة فى كل ءان الى السعي فى خلق تقدم مادي ورقي اجتماعي متوازيين فى البلاد ، ومن البديهي ان كل تقدم ورقي رهن بانتشار الثقافة وتعميم التعليم ، لهذا واصلنا الجهود فى هذا الميدان ولم نتردد فى اعتماد كل المبالغ المالية التي يتطلبها تحقيق مطامحنا فيه تلك المبالغ التي بلغت اربعمائة مليون درهم فى السنة الدراسية الحالية بينما لم تكن هذه الاعتمادات تزيد على مائة وخمسين مليون درهم سنة 1955 .

وبسبب هذه العناية التي ازدادت تحسنا بعملية المدرسة امكن لمائتين وخمسين الفا من اطفالنا ان يجدوا لهم مقاعد فى المدارس فى اول اكتوبر الماضي.

وقد ارتفع عدد تلاميذ التعليم الثانوي هذه السنة الى خمسة وسبعين الفا وبلغ عدد الناجحين فى الباكالوريا نحو 1600 طالب وبلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس سبعمائة وادى اتساع نطاق التعليم العالى الى انشاء جامعة محمد الخامس بفاس .

ويتجلى هذا المجهود العظيم اكثر وضوحا اذا علمنا ان عدد التلاميذ الموجودين الآن بالمدارس يتعدى مليون نسمة ، بينما لم يكن هذا العدد يجاوز 220 الفا سنة 1955 .

وكما ان تعميم الثقافة والمعرفة شرط اساسي لرقي البلاد وتطورها فان سلامة الابدان من الشروط الاساسية ايضا ، ولهذا كان من جملة اهدافنا الاساسية والمستعجلة رفع المستوى الصحي لرعايانا ووقايتهم من الامراض كافة .

ونظرا للاعتبارات الجديدة لسياستنا العامة واتجاهات حملة الانعاش الوطني اصبح عملنا موجها نحو تعميم المستشفيات وخصوصا فى البوادي واعطاء الاسبقية للطب الوقائي والطب الجماعي .

وان عملنا فى هذا الميدان ليرتكز على دعامتين قويتين .

اولاهما : انشاء جهاز حضري وقروي يرمي الى تقوية طاقاتنا الاستشفائية وذلك بانشاء مركز صحي لكل خمسة واربعين الفا من السكان ومستوصف لكل خمسة عشر الفا .

وثانيتهما : مضاعفة تكوين الاطارات الصحية، وفى هذا النطاق تمكنا منذ اعلان الاستقلال من فتح ثلاثين مدرسة تضم اليوم 1200 من التلاميذ الممرضين، بينما لم تكن المدارس الثلاث الموجودة سنة 1955 تضم اكثر من ثمانين تلميذا .

وتعد سنة 1961 سنة ممتازة لم يشاهد نظيرها سواء فيما يخص التجهيز الصحي او تكوين الاطارات ، فقد فتحت عشر مستشفيات جديدة وعشرون مستوصفا كما ان عشرين مستوصفا اخر هي على وشك التمام وثلاثين اخرى فى طريق التجديد، وامدتنا مدارسنا الثلاثون بما يقرب من الف ممرض وممرضة سيكون لهم وللافواج اللاحقة اثر بين فى رفع المستوى الصحي بالبلاد .

وما زالت جهودنا منصرفة الى ضمان العدل لرعايانا وحياطتهم بسياجه المتين ، واهم الاحداث التي شاهدها هذا الميدان خلال هذه السنة الشروع فى توحيد مرافقه بادماج المحاكم العصرية فى المحاكم العادية على مراحل وتحضير القانون الجنائي الذي سيتم بفضله توحيد الدورات الجنائية وتعديل قانون المسطرة الجنائية على ضوء التجربة تعديلا يساعد القضاة على السرعة فى البت فى القضايا واستعمال شىء من الصرامة فى دائرة احترام حقوق الافراد .

وقد اولينا مزيدا من العناية الى قواتنا المسلحة التي ما فتئت منذ تكوينها وانشائها تؤدي واجبها المقدس فى خدمة الشعب لانها من الشعب واليه فعملنا على تزويد وحداتها المتنوعة بما تحتاجه فى مهماتها من اجهزة حديثة وعتاد .

وكان من نتائج الجلاء ان تسلمنا المطارات التي كانت بيد الجيوش الاجنبية فاصبح البعض منها يستعمل لتكوين طيارين مغاربة مدنيين وعسكريين وانشئت بمراكش مدرسة جوية تضطلع بهذه المهمة الفعالة التي سيستفيد منها المغاربة والافارقة على السواء . وخلال هذه السنة وضعنا الحجرة الاساسية لمعمل صنع الاسلحة بفاس وسنكون قد وصلنا باحداثه حاضرنا بماضينا ، ولا نرتاب فى ان انشاء هذا المعمل زيادة على ما له من دور عسكري سيساهم فى الحياة الاقتصادية للبلاد .

ومنذ ان انشانا سلاحا بحريا وعززنا به جيشنا لم نال جهدا فى تقويته وسنعضد جانبه فى مستقبل قريب ان شاء الله بقطعتين اخريين تضافان الى قطع السابقة التي تسهر فى الوقت الراهن على حراسة شواطىء البلاد .

وانتم تعلمون انه منذ ان انشا والدنا قدس الله روحه القوات المسلحة الملكية كنا وما نزال شديدي الحرص على ان تقوم وحداتها ـ علاوة على ما يناط بها عادة من مهام ـ باعمال فى الميدان الاجتماعي .

وهكذا فان وحدات من جيشنا ادت خدمات جلى وقامت باعمال مشهودة فى نطاق برنامج الانعاش الوطني .

ولا يعزب عن الاذهان ان نجاح السياسة التي رسمناها فى الميدانين الاقتصادي والاجتماعي رهين بسير بعض اجهزة الدولة سيرا حسنا ونعني بهذه الاجهزة جهاز وزارة الاشغال العمومية وجهاز وزارة البريد ، فلقد عمل كلاهما وفق ما حددنا من برامج واوضحنا من سبل فاستمرت وزارة الاشغال العمومية تعمل على تحسين المواصلات البرية والجوية وانماء الطاقة الكهربائية وبناء العمارات لاسكان من تحول قلة ذات اليد بينه وبين الحصول على سكنى صحية سليمة مقابل كراء رخيص .

واننا لنود ونحن فى هذا الصدد ان يعرف رعايانا الخطى التي خطوناها خلال سنة 1961 لاعادة بناء اكادير فبعدما استانفت المصالح العمومية نشاطها بالمدينة المنكوبة وظفر السكان الذين كانوا لجاوا الى الاخبية بمساكن ملائمة بوشرت فى اثناء هذه السنة الدراسات التقنية الضرورية التي هي اساس المنجزات المرغوب فيها وبعد ما وضع التصميم لاعادة بناء المدينة وضعنا طابعنا الشريف على النصوص التشريعية وبذلك يكون بناء مدينة اكادير قد دخل فى حيز التنفيذ ، كما درست ملفات المنكوبين ليستفيدوا من المساعدة المالية المقررة الكفيلة بان تجعلهم قادرين على ان يضموا جهودهم لجهود الدولة تحقيقا للغاية التي نستهدفها جميعا .

اما وزارة البريد فقد سارت من جهتها فى الطريق المخطط لها تعمل على تحسين الاجهزة لاستعمال احدث الوسائل سواء فى المواصلات البريدية او فى المواصلات السلكية واللاسلكية وخصوصا مع الدول الافريقية .

وحرصا منا على بعث قوى الروح الاسلامية واحياء جديد للفكرة والعقيدة ونشر عام للوعي الاسلامي وتركيز لدعائم الدين القويم انشانا بعد ان تربعنا على عرش اسلافنا الكرام وزارة للدولة تعنى بالشؤون الاسلامية وانطنا بعهدتها تحقيق ما نتوق اليه من بث العقيدة وتركيزها فى النفوس بمختلف الوسائل وربط اواصر الاخوة بين المغرب والشعوب الاسلامية فى كل مكان .

وتأييدا لهذه الفكرة دابت وزارة الاوقاف العمومية من جهتها على احتذاء الخطة الرشيدة التي انتهجها والدنا طيب الله ثراه لتوفير المساجد للمصلين والمتدارسين ولا سيما فى الاماكن النائية ليتيسر لرعايانا ان يؤدوا شعائرهم الدينية .

شعبنا الوفي

كان قصد والدنا رحمه الله وقصدنا نحن ايضا هو انشاء نظام اجتماعي يقوم على اسس سليمة ثابتة، فلم تكن المنجزات التي حققناها فى مختلف الميادين غاية فى حد ذاتها بل وسيلة لاقامة هذا النظام .

فالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية كالاصلاح الزراعي وعمليات التصنيع والتاميمات والنهوض بالتعليم من جهة والاصلاحات السياسية والاقتصادية كصيانة الحرية الفردية وضمان ممارسة الحريات العامة واقرار الحقوق الاجتماعية وفصل السلط وتاسيس المجالس المحلية من جهة اخرى ، كل ذلك انما هو بمثابة قواعد لبناء صرح مجتمع سليم متماسك يشد بعضه بعضا ، ونحن الآن عازمون على تتويج عملنا بنظام تمثيلي يضطلع فيه رعايانا بمسؤولياتهم بواسطة مؤسساته شعورا منا بان القواعد التي ارسيناها نحن ووالدنا اصبحت الآن متينة ، واقتناعا برشد شعبنا الذي برهن فى مختلف المناسبات على انه شعب واع متبصر مقدر للمصلحة العليا للوطن وانه اهل لممارسة المسؤوليات فى ثقة متبادلة بينه وبين ملكه .

تلك غايتنا ووسائلنا وتلك منجزاتنا ومشاريعنا ولئن حققنا ما استطعنا تحقيقه ووضعنا التصاميم لما ننوي القيام به رغم قلة الزاد فى الوسائل والمال والرجال فاننا نتوق الى المزيد من التقدم والازدهار

وان ذلك لا يتطلب الوسائل المادية فحسب ولكنه يتطلب بالاضافة الى ذلك التشبع بروح الوطنية الحقة ، والعزيمة القوية ، والرغبة الدائبة فى الشغل والابتكار ، واذا كنا قد استطعنا ان نحقق بتضامننا وتضحياتنا الحرية والاستقلال فاننا لقادرون على بناء الاستقلال بنفس هذه الفضائل التي استطعنا ان نتغلب بها على قوات السيطرة والاحتلال .

واننا لعلى يقين من ان رعايانا يتوفرون على هذه الروح ، روح الاخلاص والعمل والتجرد والثقة بالنفس ونكران الذات ، وتلك هي القيم التي تعين على البناء والتشييد ولو مع قلة الوسائل .

واذا كنا جادين فى خلق نهوض شامل يتفيأ رعايانا ظلاله الوارفة ، فانه يجب ان يكون هذا النهوض مسايرا لتقاليدنا السليمة وقيمنا الروحية ، ومبادىء ديننا الاسلامي الحنيف ، اذ ما كان ولن يكون الاخذ باسباب الحضارة والرقي منافيا للمحافظة على القيم الاخلاقية والروحية وعلى الفضيلة بوجه عام ، ولهذا يجب ان تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة فى جميع مظاهر هذه النهضة وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات وان كل حركة تحريرية اصلاحية انما قامت على اسس القيم الروحية .

ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح لان المكاسب الدنيوية ليست غاية فى حد ذاتها لانها مكاسب محدودة ، اما المكاسب الروحية فليست لها حدود لانها هي الوجود ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف فى مكاسبه الدنيوية وتكيف تصرفه بالخصال الحميدة حتى لا تكون فى المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة .

شعبنا الوفي

هذا هو صراطنا وصراط والدنا قدس الله روحه وانعم مثواه ، واننا لنعتبره صراطا مستقيما يكفل لشعبنا العزة والكرامة والرخاء والازدهار حددنا فيه وسائلنا واهدافنا وشيدنا بنيانه على تقوى من الله ورضوان .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم .

الرباط يوم السبت 26 رمضان 1381
الموافق 3 مارس 1962

خواطر بمناسبة الذكرى الاولى لوفاة

الملك الإنسان



ماذا عساي ان اقول في ذكرى وفاة جلالة محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس مأواه ـ ؟ انه ليس في الامكان ابدع مما كان ..

اجل : ان ابرع قصيدة ، واروع خطبة ، واسمى ءايات البلاغة والبيان في كل مجالات القول والوان الكلام ، لتقف خجلى امام ذلكم « التعبير الشعبي » المعجز عن فداحة الكارثة ، وحرقة المصاب ، ولوعة الفراق ، يوم اعلن النبأ العظيم .. فهب الشعب الوفي من قاصي البلاد ودانيها لتشييع حبيبه الغالي الى مثواه في جوار الله .

ماذا عساي اقول ، وان اسمى درجات التأثر والانفعال ، لهي تلكم التي يسمر اللسان معها في الحلق فيعجز عن التعبير الواعي ، وتجف الدموع في المآقي فتتجمد .. ولهي تلكم التي يضطرب فيها القلب اضطرابا ، وتلتاع الروح التياعا ، وتتعطل فيها حركة العقل الواعي ، ليحل محلها طغيان العاطفة الجياشة ، والشعور الجارف ، والوجدان الممض ، فيصير العجز عن الكلام ابلغ واعجز واسمى ءايات الكلام .

وشعبك يا مولاي ذلكم حاله كان ، في كل مكان .. لقد كنت معه « الملك الانسان » فتعلم شعبك منك كيف يكون « الشعب الانسان » .. لقد اخلصت له الحب ، واصفيت له الود ، واتخذته اخا وصديقا ، ءاثرت مصلحته على مصلحتك ، وراحته على راحتك ، وجعلت التفكير في شخصك لا يبدأ الا حيث ينتهي التفكير في غده ومصيره ، فتلقى شعبك منك مبادىء الحب والود ، والاخوة والصداقة ، والاخلاص والوفاء هذه ، ولا بدع : فالناس على دين ملوكهم .

ومع ذلك .. فان من الاخلاص لما علمتنا من مبادىء ، وما عودتنا من مثل وقيم ، ان نتخذ من كل حادث درسا ينفعنا في الحاضر ، ويكون عدتنا في المستقبل ، وان في الذكرى الاولى لوفاة جلالتك لدرسا ، يجب الا ينسى . انني اذ استلهم روح جلالتك الطاهرة بهذه المناسبة اشعر بها شعور المؤمن كشف له الحجاب .. حية وثابة ، في لهجة ملؤها التواضع النبوي ، والعطف الابوي تناديني : « ايها الابن البار ، قل لشعبي في ذكرى وفاتي (ايها الشعب : كمحمد الخامس كن ، او .. لا تكن)

نعم ابتاه ، مثلك ايها الكريم العظيم يجب ان نكون ، والا فلن نكون ..

اننا حين نستعرض حياة العظماء والابطال الذين صنعوا الحضارة الانسانية ، ومدنيتها المشرقة الصاعدة ، محاولين الوقوف على سر عظمتهم ، وسبب خلودهم ، نجد النتيجة الحتمية ابدا واحدة ، هي انهم (حققوا مبدأ الانسانية في شتى مجالات الحياة)

حققوا مبدأ الانسانية مع انفسهم اولا

وحققوه مع مجتمعهم الصغير الذي هو اسرتهم

وحققوه مع مجتمعهم الكبير الذي هو امتهم

وحققوه مع مجتمعهم الاكبر الذي هو « المجتمع الانساني ، الذي ينتظم كل الناس ، من كل الاجناس » .

*

وكذلك كنت ايها البطل العظيم ، انسانا في كل مكان ، ومع كل انسان ، فاحببتك الانسانية كلها لا

لانك ملك ، ولا لانك زعيم ، بل لانهم راوا فيك الصورة المثالية النقية الطاهرة لوجودهم على الارض ، كاسمى ما يكون الوجود الانساني عامرا بالقيم الخالدة : الخير والحق ، والجمال .

والا ، فبماذا نعلل انفعال العالم كله من اقصاه الى اقصاه بسبب المصاب فيك ، حيث بكاك الباكون ، واعول عليك المعولون ، رغم اختلاف الاجناس والاديان، والمشارب ، والاهواء ؟

ان ما فعلوه ليس الا تعبيرا تلقائيا عن شعورهم المفجع « بالفراغ الهائل » الذي احدثه فى وجودهم توقف وجودك !

❊

لقد حققت مبدا الانسانية مع نفسك اولا ، مذ استجبت لهاتف الرحمن ، يناديك بلغة القرءان : «وفى انفسكم ، افلا تبصرون ؟ » « فاستقم .. كما امرت » ومذ حققت فى شخصك صدق هذه النظرية العربية الخالدة :

ابدا بنفسك ، فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم

والنظرية المماثلة القائلة :

اقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجسم انسان

❊

وحققت مبدا الانسانية مع اسرتك يوم اضفيت عليها قبسا من نور نفسك المؤمنة الطاهرة ، فانرت لها طريق المستقبل بنور الثقافة والعلم ، وربطت بين افرادها برباط التعاون والتراحم والايثار ، وهديتها السبيل القويم الذي يجب ان يكون عليه كل مسؤول دائما ، لين فى غير ضعف ، وصرامة فى غير عنف ، تواضع للشعب وتفان فى خدمته ، وان يعطي اكثر من ان يوخذ منه ، وان تؤثر سعادته على كل سعادة ، وحياته على كل حياة .. واصطفيت منها اقدر عناصرها على تحمل المسؤولية ومواصلة الرسالة من بعدك ، فشحذت عزيمته ، وانضجت عقليته ، ونفخت فيه من روحك روحا خالدة ، وهمة وثابة ، حتى اذا اكتملت رجولته ، وتاكدت مقدرته وكفاءته وكنت على ميعاد للقاء ربك ، كان جلالة « الحسن الثاني » — سدد الله خطاه — قد امسك دفة القيادة لامتك بيد من مهارة وذكاء ، خائضا غمرات المستقبل فى حزم وعصامية وتفاؤل .. فكان جلالته بعدك امتدادا مباركا لجلالتك ، ومثالا حيا عن تحقيقك مبدا الانسانية السامية فى اسرتك .

❊

وحققت يا فقيدنا الغالي مبدا الانسانية مع مجتمعك الكبير الذي هو امتك ، فلم تعش لشخصك كما عشت لها ، ولا لمصلحتك الخاصة كما عشت لمصلحتها ، واعطيت على ذلكم الف برهان وبرهان يوم أن ءاثرت التضحية بالعرش جملة وتفصيلا ، وفضلت النفي بعيدا عن الاهل والوطن ، مع سحق الدار ، ووحشة الطريق ، على ان تساوم فى شرفه او مصلحته . وكان فى استطاعتك — وحاشاك — ان تؤثر على ذلكم العيشة الرخيةالهنية فىالابراج الذهبية، بعيدا عن انات الشعب وويلاته ، لو لم تحس باحساس امتك فتربط مصيرك بمصيرها ، وتجعل مصلحتك ومصلحة عرشك واسرتك جزءا لا يتجزا من مصلحتها ، بل هي دونها خطورة واهمية .

❊

وحققت ايها الملك الانسان » مبدا الانسانية باوسع مفاهيمه مع مجتمعك الاكبر الذي هو المجتمع الانساني فى عصر طابعه العام الانانية الدولية ، والاثرة الاممية ، والنعرة الشعوبية ، فوهبت نفسك وشعبك لتبني وخدمة وصيانة المثل السامية الخالدة .. اخذتهما بمبدا « التعايش السلمي » الذي يجعل الناس — كل الناس على اختلاف اجناسهم واديانهم ولغاتهم — متساوين فىالحقوق والواجبات ، اكرمهمعند الله اتقاهم ، لكل منهم ان يعيش فى امن على روحه وممتلكاته ، ومعتقداته وتراثه ، وعلى كل منهم ان

يخدم المبادىء الخالدة ، مبادىء الحق والخير والجمال ؛ ونشر العدل والفضيلة ، وتدعيم السلام ، واخذت نفسك وشعبك بمبدأ « الحياد الايجابي » الذي يقف من قوى الشر المتطاحنة فى العالم موقف الحكيم ، يلطف من رعونتها بعدم الانحياز الى اي منها ، ويغتنم كل فرصة تسنح للتقريب بين ما تنافر من الدول ، وتباعد من الامم ، ابعادا لشبح الحرب البغيض ، وتدعيما لاسس السلم العالمي ، مطمح البشرية الاسمى ، ونشيد الانسانية القدسي الخالد .

❋

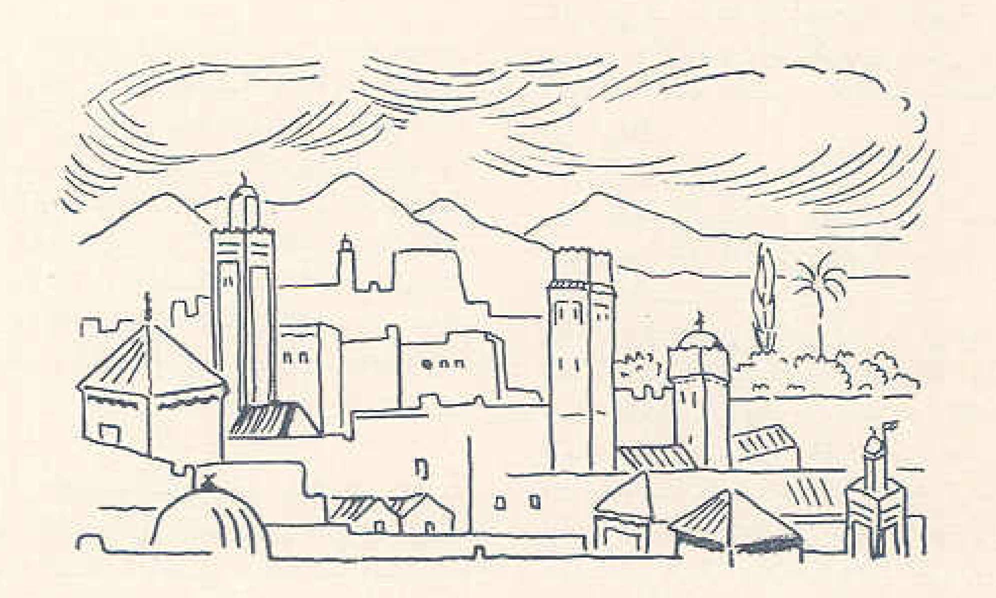
وهكذا عشت يا مولاي ــ قدس الله روحك ــ ملائكي الاخلاق ، اسلامي النزعة انسانيها ، عربي الروح والطموح ، عالمي التفكير والشعور ، فانقذت شعبا واحييت امة ، وبنيت لها مجدا جديدا ، ومستقبلا سعيدا ، وكنت فى حياتك الخاصة والعامة مثالا نموذجيا يحتذى ، وقدوة سامية عالمية لمن اراد ان يكتب اسمه فى سجل الخالدين باحرف من نور .

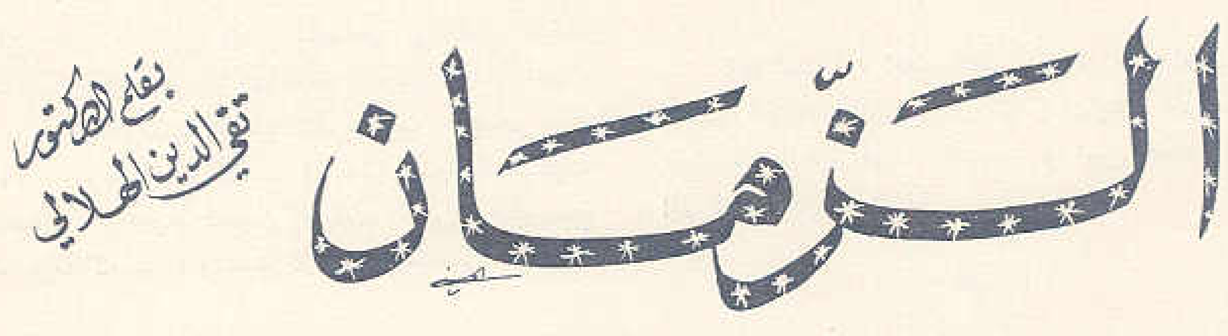
انها لسيرة ، اغلب اليقين انه لو قدر لذلك الفيلسوف الذي كان يغربل الرمل ان يطلع على بعض جوانبها ، لما قال قولته المشهورة فى تبرير عمله هذا : (اني ابحث عن انسان) .

❋

رحمك الله « يا محمد الخامس » والهمنا الصبر على فقدك ، والتوفيق للاهتداء بهديك ، والسير على نهجك ، ان الخسارة فى انسانيتك المثالية لا تعوض؛ لقد عشت كالشعلة ، تحترق بقوة ، لتنير للغير طريق الخير واليمن والانسانية والسلام .

طنجة ــ محمد عبد الواحد بناني





- 18 -

الكلام فى الزمان وما اودع الله فيه من الاسرار ، هو الفصل الثالث عشر من كتاب (ليس الانسان مهملا) قال مؤلفه : ان العلم التام بوجود الزمان خاص بحياة الحيوان . والانسان وحده هو الذي يقيسه ويوزعه. والعناصر التي تتالف منها الاشياء كلها من النادر ان تتغير على مر الزمان . وقد تتالف العناصر الكيميائية او تفترق ، غير ان الزمان وان كان ضروريا لانجاز تغير كيميائي ، فلا اهمية له بالنسبة للذرات . ومع ذلك نرى عصا من الديناميت تتحول من مادة صلبة الى غاز فى جزء من خمسة وعشرين الف جزء من الثانية ، ولكن الذرات لا تتغير .

يمكن ان يرتفع جبل من مكانه ثم يتفتت ويصير هباء منثورا ، ولكن الذرة المحبوسة فى قلبه لا تنتظر بقلق الوقت الذي تتحلل فيه الصخرة لتخرج من سجنها وتصير حرة ، ولو ان الكتروناتها تدور كالمغزل فى افلاكها على الدوام . ان كامرتك تلتقط الصورة فى جزء من مائة جزء من الثانية باهتزاز قدره الف وثمانمائة ميل فى الاثير الفضائي لاحداث التغير الكيميائي . وهكذا تسجل الافلام بالالوان كل ما فى المنظر من جمال . فالذرات تهتز ويعاد تنظيمها ولكنها لا تتغير .

ويظهر ان الاشياء الحية تقيس الزمن ، غير ان الجمادات الخالية من الحياة هي التي تسجله . ان مياه الانهار الجليدية التي سالت بعد ما ذابت فى العصر الجليدي قد تركت طبقات من الصلصال تدل على كل سنة مضت على حدتها ، وتخبر ولو بطريق غير دقيق على مراتب درجات الحرارة التي كانت سائدة فى ذلك الزمان ، وكذلك الطبقات الكلسية التي تتكون فى سقوف الكهوف . والطبقات التي تعلو ارضها من الرواسب باشكال مخروطية تفعل مثل ذلك لمائة الف سنة واكثر ، ولكنها لا تدري ماذا صنعت .

ان الراديوم والرصاص تتغير نسبهما فى الصخور الصم فتخبر ببليون من السنين منذ استقرار الارض ، ولا تفكر فى الماضي اصلا . ولا تستطيع الكائنات الحية ان تدرك كنه الزمان ، لان الحياة لها غايتها ، والفرد وجوده ينتهي وينقضي قبل انقضائها ، وليس هنالك كائن حي فى حالته الطبيعية يستطيع ان يقيس الزمان فى وعي وانتباه ، ولكن الزمان ياتي على جميع الكائنات الحية ويسود تقلباتها واعمالها من الولادة الى الوفاة .

وقد انكشف ان هناك شيئا يسمى الزمان البيولوجي (اي الخاص بعلم الاحياء) . ويظهر ان الزمان بالنسبة للصبيان يسير ببطء . اما بالنسبة للطاعنين فى السن فيظهر انه يجري بسرعة عظيمة . وهذه الظاهرة المعروفة قد وجد انها مرتكزة على دورة حياة الخلايا . ويمكن ان يعبر عن ذلك بايسر طريق فيقال ، ان خلايا كل مخلوق حي تتطور بسرعة فى ابتداء الحياة ، ثم تاخذ فى البطء كل ما دنت من نهايتها . واذا تكلمنا على ذلك من وجهة علم الاحياء نقول : ان كثرة حوادث الخلايا التي تقع فى الطفولة تجعل الطفل يشعر بطول الزمان كالمسجون على حين ان بطء عمل الخلايا فى الكبير، يشعر المسن ان الزمان يجري بسرعة . ويظهر ان دورة الحياة لا علاقة لها

بالزمان المطلق الذي نقيسه بحركات الاجرام السماوية . فالمكروب يتوالد ويتكاثر في ساعة واحدة. اما الانسان فلا يتناسل الا في سنين عديدة . وذبابة مايو لا تستطيع ان تقيس الزمان تحت الماء ، لكن كل جيل من نسلها يعيش في حياة سعيدة تحت الشمس . هل يمكن ان يكون العلماء على صواب في قولهم ، اننا اذا صرنا الى دار الخلود سنقيس الزمان بالحوادث ، لا بالفلك ؟ .

والاسماك في البحر لها وقتها الذي تضع فيه بيضها ، ولكنها في ذلك انما تطيع قانون الطبيعة ، ولا تعرف لماذا تفعل ذلك . والزرع والحصاد لهما وقتهما، وقد تحصد مساحات شاسعات من الزرع ، اي يجيء وقت حصادها في يوم واحد . اما الاشجار فلا تثمر الا بعد مضي سنين عديدة على غرسها . وحلقاتها السنوية تسجل اعمارها .

وقد وجد ان بعض الصراصير تصر مرات معلومةطبقا لدرجات الحرارة ، وقد احصيت مرات صريرها بدقة ، فوجد انها تسجل درجات الحرارة مع فرق درجتين . وقد روقب صرصور لمدة ثمانية عشر يوما فوجد انه يبدا اغنية حبه او فرحه كل يوم قبل الساعة الاصلية بخمس دقائق . وهناك نوع من البط في قناة باوربا يجيء بانتظام الى جسر لاجل الغذاء كل يوم في ساعة معينة ويضرب جرسا قد اعد له . والطير لها وقتها الذي تطير فيه من الشمال الى الجنوب ، وكل فرد منها يلتحق بسربه في الوقت المعلوم ، ثم تطير كل سنة في يوم يكاد يكون محددا معلوما . وذباب مايو يخرج من البحيرات فيطير طيران العرس ، وتسقط منه ملايين ميتة في الشوارع في اليوم نفسه .

والجراد البالغ من العمر سبع عشرة سنة في (نيوانكلاند) يعيش في غيران تحت الارض ، حيث يقيم في الظلام مع تغير قليل في الحرارة ، ويظهر بملايين في شهر مايو من سنته السابعة عشرة . وقد يتخلف بعض المتعثر منه عن سائره بالطبع ، ولكن اكثره يتم نموه في تلك السنوات المظلمة ، ويضبط يوم ظهوره بدون سابقة ترشده الى ذلك .

ودودة البوصة تدب بانتظام عظيم من مكان الى اخر ، ولو استطاعت ان تعد لامكنها ان تقيس الوقت والمسافة بعدد قفزاتها . ولكن لا حاجة بها الى ان تقيسهما . فلا تضحك من قفزتها ، لاننا معشر البشر نقيس المسافة بالقدم ، (وانما نسبت الى البوصة لان كل قفزة من قفزاتها بقدر بوصة) .

كل حي على العموم يراقب الزمان ويسجله بالعمل ، ولكنه لا يبدي دليلا على توقيت واع . ويظهر ان الفصول الاربعة ، ودرجة الحرارة ، والنهار والليل، والمد الفائض ، كلها ضوابط لاطراد الحياة . وقد اوجد التطور عادات لقياس الوقت بغير شعور ، وهي تعمل بطريقة اوتوماتيكية كنبضات القلب والهضم . وكثير من الناس يعتاد ان يستيقظ في ساعة بعينها ، فيستيقظ في ذلك الوقت بالضبط بدون ساعة منبهة، وسواء انام في الوقت المعتاد ام بعده ، لابد ان يستيقظ في ذلك الوقت . وقد اضاف الانسان الزمان الى المادة التي لا زمان لها . والزمان لا يمكن وزنه ولا تحليله . فهو بالنسبة الينا يتعلق بهذه الارض وحدها ، ومقاييسنا للزمان يمكن ان لا يكون لها تعلق بالعالم في مجموعة ، ولكن الزمان يملي علينا دوافع بدون شعور منا ، وقد بلغت هذه الدوافع في القوة الى حد انها تتحكم في كل كائن حي . والانسان من حيث هو حيوان ليس له شعور خاص بالزمان ، ولكنه يستطيع ان يضبط الى حد محدود اثر الزمان في دوافعه . فالانسان البدائي لا يستطيع ان يخبركم كم عاش من الزمان الا بمقارنة الحوادث . فالاعداد بالنسبة اليه تدل على قليل او كثير لا يميز بينهما . اما الانسان العصري فقد ينسى مثلا ايام ذكرياته السنوية ، ولكن زوجته لا تنساها ، فهل المراة مرتقية اكثر من الرجل ام تطالع التقاويم خفية ؟ لا هو ولا هي يستطيعان ان يحددا اليوم الرابع والعشرين من مايو بعد سبع عشرة سنة كما يفعل الجراد في الظلام .

تعليقات :

1) قوله ان الزمان لا اهمية له بالنسبة الى العناصر، وهي الذرات التي تتالف منها الاشياء ، هذا مبني على راي الفلاسفة وغيرهم من العلماء الذين يقولون ، ان المادة لا تفنى ، وانما تتحلل لتتركب من جديد وتكون شيئا اخر . وكان ابو العلاء المعري على هذا الراي ، وقد صرح بذلك في قصيدته الدالية التي يقول فيها :

صاح هذي قبورنا تملأ الار
ض فاين القبور من عهد عاد

خفف الـوطء ما اظـن اديـم الار
ض الا مـن هـذه الاجسـاد

وقبيـح بنـا وان قـدم العهـ
ـد هـواذ الابـاء والاجـداد

وتسمى المادة التي اشار اليها المصنف عنـد فلاسفة العرب ، الهيولي. فكل مركب عندهم اذا تحلل يعود الى هيولاه . فالذي يتغير ، انما هـو المركبـات بصورها واشكالها ، واما الهيولـي فلا تتغير ابدا .

2) ضرب المصنف المثل بعصا الديناميت ، وبين ان عصا الديناميت اذا انفجرت تتحلل وتعود الـى عناصرها الاولى فى لحظة قصيرة جدا لا تزيد على جزء من خمسة وعشرين الفا من الثانية التي هي جزء من ستين جزءا من الدقيقة . فتعلق الزمان بتعلق المادة وانتقالها من التصلب الى الهباء ، انما بين الجزء الذي يقع فيه التحول من شكـل العصا وتصلبها الى حالـة الهبـاء ، والزمان لم يؤثـر شيئا فى ذلك التحول ، وانما هو ظرف له . وقد يقال فى بـادىء الراي ، ان الزمان فيما يظهر يؤثر فى اجسام الحيوان ، اذ بمروره تفنى تلك الاجسام وتتحلل . قال الشاعر العربي .

افنى الشباب تقلب الشمس

وطلوعها بيضاء صافية

وغروبهـا صفـراء كالورس

فنسب الشاعر افنـاء الاجسام الـى الزمان ، ولكن علماء اللغة يجعلون هذا من المجاز العقلي ، وهـو اسناد الفعل او ما شابهه الى غير ما هو له ، لان تقلب الشمس ليس هو الـذي افنى الشباب فى الحقيقة ، وكلام شعراء العرب فى هذا المعنى كثيـر .

3) ثم ضرب المثل بالجبل والذرات التي تتألف منها الصخور ، واخبر انهـا لا تشعر بسجن فى وقت تركيبها فى صخرتهـا ولا بحرية فى وقت تفتت الجبل . والكتروناتها تدور فى افلاكهـا كما تـدور الاجـرام السـماوية . فالزمـان عندها سواء فى وقت التركيب وفى وقت التحلـل .

4) ثم ضرب المثل بالتقاط ءالة التصوير للصور فى لحظة قصيرة بالاهتزاز الذي يحدث تفاعلا كيميائيا معروف القدر تسجل به المناظر بالوانها وجمالها دون ان يؤثـر ذلك على الذرات .

5) قوله ويظهر ان الاشياءالحية تقيس الزمان الخ يريد بذلك ان الحيوان العاقل وغير العاقل هو الذي يهتـم بالزمـان ويقيسـه بالعصـور ، فالقـرون ، فالسنيـن ، فالايـام ، فالساعـات ، فالدقـائـق ، فالثواني ، وهلم جرا ، ولكنه يستعين بالجماد على قياس الزمان ، ثم مثل لذلـك بالانهـار التـي كانت جامدة فى العصر الجليدي ثم ذابت بعد ذلك وتركت طبقات من الصلصال تدل على السنين الماضيـة ، فقد استعان الانسان على معرفة الزمان بالجماد . وكذلك يقال فيما ذكر بعده من طبقات الكلس التي فى سقوف الكهوف وما يعلو ارضها من الرواسب .

6 قوله ، ولا تستطيع الكائنات الحية ان تـدرك كنه الزمان الخ. امر واضـح ، لان الزمان محيـط بالكائنات الحية ، فيه تنشأ وفيه تفنى ، فلا يمكن ان تحيط به علمـا ، واذا كانت الكائنات الحية حتـى اشرفها وهو الانسان عاجزة عـن ادراك كنه الزمان ، فكيف تستطيع ان تدرك كنه صفات خالـق الزمـان ومجريه ، العالم باوله وءاخره ؟ وصدق الله العظيم اذ يقول : (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) . ثم سال المصنف عن امكان صحة الراي القائل: اننا معشر البشر اذا انتقلنا الى الدار الباقية نقيس الزمان بالحوادث ، لا بحركات اجرام الفلك . والجواب عن هذا السؤال (طارت به فى الجو عنقاء مغرب) ، فمن ذا الذي يستطيع ان يجزم بالنفي او الايجاب ، وهـو بعد فى سجن الحياة ؟ . والتفكير فى هذه المسالة مـن النهم الذي يصيب العلماء . وما اصدق الخبر القائل : منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال .

7) قوله : وقد تحصد مساحات شاسعات الخ . يقال احصد الزرع اذا حان وقت حصاده .

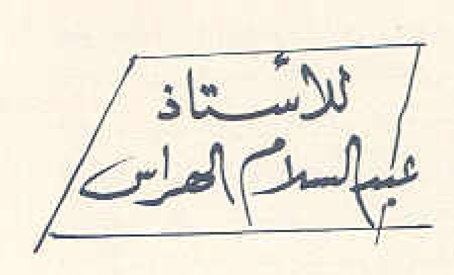
8) قوله : ومقاييسنا للزمان يمكن ان لا يكون لها تعلق بالعالم في مجموعه الخ . بيان ذلك ، اننا نقيس الزمان على حسب طلوع الشمس وغروبها ، وبعبارة ادق حسب دوران الارض . فاذا كانت الكواكب الاخرى كالمريخ مثلاماهولة بمخلوقين عاقلين، يقيسون زمانهم ، فان قياسهم للزمان يخالف قياسنا ، هذا مع ان المريخ اذا قابلناه بالشعرى نجده قريبا منا . واذا واذا كان في الكواكب التي تدور حول الشعرى عقلاء يقيسون الزمان ، فلا بد ان يكون قياسهم مخالفا لقياس سكان المريخ. واذا كان الزمان مرتبطا بالشمس بالنسبة الينا والى كل من يستضيء بها في سائر الكواكب السيارة ، ان كانوا موجودين فقبل وجود الشمس كان الزمان معدوما ، وبعد عدمها سيكون كذلك . وكل ذلك يبرهن على نقصان علم الانسان وضيق معرفته . وصدق الله اذ يقول (انه كان ظلوما جهولا) .

9) قوله : لا هو ولا هي يستطيعان ان يحددا اليوم الرابع والعشرين من مايو بعد سبع عشرة سنة كما يفعل الجراد في الظلام . تقدم في المقالات السابقة ان الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى قد وهب بعض انواع الحيوان من الغرائز والالهام ما يعجز عنه الانسان العاقل ، فسبحان الذي اتقن كل شيء خلقه.

مكناس — الدكتور تقي الدين الهلالي



مستقبل الإسلام في المغرب



هذا موضوع يشغل بال الكثير من اخواننا الذين وهبوا غيرة على الدين واعتقدوا جازمين ان مشاكلنا هو بعدنا عن تحكيم ديننا والرجوع اليه جماعات وافرادا .

وهؤلاء يتساءلون : هل ما يزال هناك امل في ان يعود الاسلام لهذا البلد كقوة تسود ضمير الفرد والمجتمع وتسيطر على جميع الاجهزة الاجتماعية والسياسية والحكومية ؟ وتصبح مصدرا لها في السلوك والعلاقات العامة والخاصة ؟

ان التطورات العالمية والتيارات الالحادية التي اصبحت تجوب العالم بسرعة وقوة فائقتين اصبحت تهدم ما تبقى لهم من تفاؤل بعثته فيهم بعض المناسبات السارة والمواقف المثيرة ..

ثم مما يتعاون مع العوامل الخارجية على تهديم ذلك التفاؤل ما راوا في حياتنا الحاضرة من انصراف الشباب عن تعاليم الدين ، ومن نفورهم من المساجد ، وتقليدهم الغرب في مساوئه ، ومما يزيد تشاؤم هؤلاء صرامة وتعقيدا ما يشاهدون ايضا من عدم وجود تخطيط ثقافي عام يطبع الفرد بطابع الاسلام ويجعل المجتمع مكونا من عناصر متجانسة ، ومتوافقة ، ومتفاعلة بالفكرة الاسلامية ، ولذلك لم يجدوا مندوحة من الاستسلام الى الياس والانطواء على النفس ، واعتزال الناس ، والايغال في ادخال التشاؤم .

وهكذا خسرت الفكرة الاسلامية ما يمكن ان يقدمها هؤلاء من خدمات فعالة ، وهكذا فضلوا ان يطفئوا شموعهم بحجة ان الظلام يسود وانه لا غالب له ، وقد لمست مثل هذا الياس والانطواء في بعض رجالنا الافذاذ في الشرق مما ضيع كثيرا من الامكانيات في خدمة الفكرة الاسلامية .

وقد انزوى بعض هؤلاء الافذاذ في بيوتهم يكونون ذخائر عظيمة يفخر بها التاريخ الاسلامي الحديث علما وفضلا وقد رغبهم في الانزواء زيادة على ما تقدم ما لقوه من عقوق وجحود من اوساطهم .

ولكن هل استسلام هؤلاء الى الواقع المر يجب ان يكون سنة متبعة ؟ ويجب ان تتخذ حجة للاخرين لكي يفروا من الميدان ليتركوه خاليا لدعاة الافكار المعادية للاسلام ؟

ان الفرار من الميدان ، فيه اقرار بالهزيمة ، واعتراف بما قد يكون هناك من تزييف .

اننا مطالبون قبل كل شيء بالدعوة الى الفكرة بجميع الوسائل الممكنة اما النتيجة فهي على الله .

ثم اذا كنا نعيش معركة ثقافية خطيرة ضد الاستعمار فان هذه المعركة ليست بشيء جديد في التاريخ الاسلامي ، وها هو القرءان الكريم يصف لنا بعض مواقف اعداء الاسلام منه ، قال تعالى : « وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . »

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم » .

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

« ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » .

ذلك قليل من كثير مما صوره لنا القرءان من موقف اعداء الاسلام من ديننا الحنيف ، هؤلاء الاعداء الذين اصروا على محاربة الدعوة الجديدة التي استهدفت تقويض الاصنام البشرية والمصطنعة ، وحاربت الانحطاط العقلي ، والرجعية الروحية ، واعلنت للانسانية جمعاء ان عهد « الفكرة » قد اشرق اكمل ما يكون الاشراق ، ولكن الذين في قلوبهم مرض ، وفي غرائزهم انحراف ، وفي ارادتهم ضعف ، لم يرضوا عن تلك الدعوة التي ازالت لهم كل مبرر للزعامة والغت لهم كل شرعية للاستغلال ، وانزلتهم من بروجهم واستخرجتهم من قصورهم الى المستوى الذي يجب ان يتساوى فيه ابناء ءادم ، لا فرق بين ابيض واحمر واغنى وافقر .

ولهذا لم يكن من الممكن ان يظل هؤلاء الذين رزئوا في زعامتهم ، وطعنوا في شرعية استعباد اخوانهم ، وانزلهم الحق من باطلهم صامتين ينظرون ، ومكتوفين لا يعملون ، بل ان اخلاصهم لانحرافهم ، وايمانهم بشيطانهم لا يقلان قوة عن اخلاص المسلمين لاستقامتهم، وايمانهم بربهم فمنازلتهم الاسلام امر طبيعي ومنطقي .. اذ كان على الاسلام في الناحية المواجهة ان يسلم نفسه للدفاع عن كيانه ، والذود عن حياضه في خضم هذا الصراع الهائل بينه وبين اعدائه .

وتاريخ الاسلام من اول الدعوة الى الآن سلسلة من ذلك الصراع العنيف ، فلقد نازله المشركون واليهود والنصارى والمجوس والمغول والصليبيون ، ولم تقتصر محاربتهم له في ميدان الوغى ، وانما كان نزالهم اعنف واقوى واخبث في الميدان الثقافي والعقائدي ، فكم زورت على الرسول من احاديث ، وعلى الاسلام من افكار ، ولذلك راينا الامة الاسلامية تنقسم الى شظايا ، والشظايا تنقسم بدورها الى ان وصلنا الى امة تصل فرقها بل اممها الى رقم خطير ..

ولقد ظن الجنرال الفرنسي غورو ان هذا الصراع قد انتهى عندما وقف على قبر صلاح الدين الايوبي بدمشق وقال بكل حقد : الآن قد انتهت الحروب الصليبية ، كما ظن ذلك الجنرال الانجليزي عندما قال على قبر صلاح الدين ايضا : ها نحن قد جئنا يا صلاح الدين ، ولكن الحركات الاسلامية التي انفجرت في كل مكان جعلت كلام هؤلاء وابناءهم لا يأخذ مركز النهاية ، وانما جعلته حلقة في تلك السلسلة الطويلة غير المنتهية من الصراع بين الاسلام واعدائه .

وحياتنا المعاصرة ليست سوى حلقة من ذلك الصراع الخطير بين الحق والباطل والنور والظلام ، والفكرة والصنمية وان كانت الظروف العالمية الحاضرة قد ادخلت على ميدان الصراع الفكري والحضاري عوامل جديدة وسريعة من وسائل النشر والاذاعة والتقارب الزمني والمكاني لدرجة جعلت اجزاء الكرة الارضية اكثر التصاقا واتصالا ببعضها مما مضى .

وقد اقحم العالم الاسلامي ضمن هذا العالم وقدر له ان يدخل ميدانا جديدا من الصراع مع اعدائه التقليديين الذين تسلحوا بالعلم والقوة والوحدة ، فواجههم متفرقا ، ونازلهم وهو لا يملك ما يملكون وكانت النتيجة ان وجد نفسه يستسلم جزءا فجزءا ووجد ان الذين يستعمرونه هم اولئك الحاقدون على الاسلام منذ ان قوض لهم افكارهم وسفه احلامهم .. اي منذ بداية الدعوة .. ولمس فيهم تلك الروح التي لمسها اجداده في اجدادهم في الحروب الصليبية.. اذن ما ينتظر العالم الاسلامي من عدو قد ءامن اشد الايمان بشرعية محاربة الاسلام ، حتى أصبح هذا الايمان يكون له نسيجا لشخصيته ومركبا طبيعيا لنفسيته .

وقد اتيح للاستعمار ان يخطط البرامج الشاملة والدقيقة والبعيدة المدى لتحقيق آمال اجدادهم في تخريب العالم الاسلامي من ناحية الفكرة والمادة ، ولكن باسلوب جديد وخبيث ، ويتمثل هذا الاسلوب في التوجيه الثقافي والعلمي الى النواحي التي تعوق العالم الاسلامي عن كل هدف حيوي ، وجعل المستوى في اطار لا يتعدى « الثقافة الاهلية »

وقد وصلوا الى نتائج عظيمة في تنفيذ برامجهم اثلجت صدورهم وجعلت احدهم يقول : لقد استولينا على افكارهم وارواحهم ، ولم تزل المحاولات تتوالى للاجهاز على الفكرة الاسلامية ، وما تزال في كثير من البلاد الاسلامية هياكل ثقافية بناها الاستعمار ، وعند ما خيل الينا انه خرج كانت هذه الهياكل اشد ما تكون عملا وخدمة وتخريبا .

ولكن هل تسلمنا هذه الحقائق الى اليأس والعجز ، والانطواء ؟ وهل انتصار الباطل في بعض جولاته يجعلنا موقنين بانه سيكسب الجولة الاخيرة ؟ لا ابدا .. خصوصا والتجربة القاسية التي مرت بها العقيدة الاسلامية في تركيا تجعلنا اكثر يقينا من ان الفكرة الاسلامية متغلغلة في النفوس ، وانها اصبحت تكون جزء طبيعيا من النفس « المسلمة » سواء في المشرق او المغرب ، وهذه الطبيعة النفسية تبرز بشكل واضح هذا في بلادنا ولن يخيفنا عليها فترات من الغفلة والذهول التي قد تعطل بعض حركاتها ، وتجعلها ضامرة وسلبية ، اذ انها رغم كل ذلك فان فيها قابلية الاستجابة الى دعوة الله ، وفيها عوامل اليقظة والانفجار ، فيها استعداد للاندفاع والبروز ، ومما يجلي ذلك الاستعداد ويبرز تلك الطبيعة المغربية الاسلامية بعض الظروف كالكوارث والتحدي للاسلام كما شاهدنا في « رد فعل » الظهير البربري ، الا ان دعاة الاسلام يجب ان يستفيدوا من هذه الاستعدادات ويترصدوها ويحاولوا تفجيرها وتنظيم حركاتها واندفاعاتها .

ومما يؤكد القول بان المستقبل للاسلام في هذه البلاد هو هذا الفشل الذريع الذي منيت به الحضارة الجديدة عندما اعتمدت في حل مشاكلها على القوة واصبحت تعتنق المبدا القائل : البقاء للأصلح ، بمعنى الاقوى ، فالهبت القوة وصرفت الاموال الكثيرة في سبيلها حتى طغى هذا المعبود وتجبر حتى اصبح خطرا حتى على عباده الذين تغيرت دوافع عبوديتهم له من رغبة الى فزع ، ثم ان فلسفة القوة مع انها لم تستجب لرغبة الاصلح بمعنى الاقوى في السيطرة على العالم فانها ايضا كانت كارثة على الاخلاق مما فرض على الامم اتجاهات في السياسة والاقتصاد وغيرهما ابعد ما تكون عن الانسانية .

ولهذا فان فشل الحضارة الغربية في حل مشاكلها من ناحية ، وفي تزويدها ابناءها بسلوك اخلاقي يربط بينهم وبين البلاد المستعمرة والضعيفة من ناحية اخرى ، جعلت ابناء تلك الحضارة واتباعهم من البلاد المتخلفة يفقدون الثقة بها ، وقد اعلن بعض اولئك وهؤلاء الكفر الصريح بمبادئها وطبيعتها ، ولهذا كان على ابناء البلاد الاسلامية ان يبحثوا عن الحل الاخر ، وبما ان الطبيعة المغربية كما قلنا منسوجة على منوال الاسلام وبلحمته وسداه ، فان الاتجاهات التي ستحل مشاكلنا الاجتماعية ليست سوى الاسلام ، ولقد ابتدانا نلمس تحركات رائعة في الضمير الاسلامي بالمغرب ، واصبحنا نشاهد ابناء هذا الدين يتداعون على الحق ، واصبحنا نشاهد والحمد لله في الشعب المغربي المسلم استجابة قوية لداعي الله ولهذا الدين القيم بعد ان كنا نظن ان النفوس قد طال عليها الامد فقست ، وان بعض التجارب التي يقوم بها انصار هذا الدين جعلتنا موقنين بان المستقبل في المغرب للاسلام .

واذا كانت الحروب الصليبية والتترية والمغولية قد دفعت بعض المتشائمين الى ان يعتقدوا ان شمس الاسلام قد غربت ، فان الاحداث التي تمخضت عنها المقاومة الجبارة لتلك المناورات والاعتداءات ازالت عن شمس السلام مااعترضها من سحب ، وما اكتنفها من ظلام فسطعت من جديد ، واني لاعتقد ان اليقظة الجديدة للاسلام في المغرب والعالم الاسلامي يقظة تحمل معنى جديدا ، انها يقظة جماعية من اجل اعادة بناء المسلمين على اسس اسلامية محضة ، بعيدة عن العقلية الخرافية التي كانت تقتل الحيوية والخصوبة والانتاج في الفكرة الاسلامية ، واني اعتقد ايضا ان الوقت قد حان لكي يقوم المغرب برسالته الحقة في الميدان الافريقي والعالمي ، في نشر مبادىء الاسلام التي تتطلع اليها الانسانية ، ولهذا كان على المغرب ان يطبق الاقوال الكثيرة التي صدرت عن المسؤولين ، والتي يعبر عنها المسلمون في كثير من احاديثهم ومناسباتهم فيما يخص تقويض اركان الجهاز الثقافي الاستعماري والاجهاز على ما تبقى له من اعمدة للتفرغ لرفع راية الاسلام خفاقة تستظل بها الشعوب الافريقية ، ويحملها ابناء عبد الله بن ياسين والمهدي ابن تومرت ...

تطوان — عبد السلام الهراس

الخصائص الأساسية في الشريعة المحمدية

للاستاذ محمد كمال شبانه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس ، فأتاه رجل ، فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث .

قال ما الاسلام ؟ قال : ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان .

قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، وساخبرك عن اشتراطها ...

اذا ولدت الأمة ربها ، واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا النبي (ص) : « ان الله عنده علم الساعة ... » الآية ـ ثم ادبر ، فقال النبي : ردوه ، فلم يروا شيئا ، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم » رواه البخاري فى كتاب « الايمان » بهذا اللفظ .

وقد روى هذا الحديث مسلم عن عمر بن الخطاب من عدة طرق مع زيادة او نقص ، وكذا رواه ابن ماجة والترمذى وغيرهم من اصحاب السنن مع اختلاف فى الروايات .

شرح الحديث

قوله : كان رسول الله (ص) يوما بارزا .

البروز : الظهور ، مأخوذ من برز اذ اخرج الى البراز وهو الفضاء .

وسبيل بروز النبي (ص) بين اصحابه انهم كانوا قد بنوا له مكانا عاليا يجلس عليه ، فيظهر ولا يلتبس بغيره ، ويدلك على ذلك ما جاء فى رواية أبي داوود والنسائي عن أبي فروة : « كان رسول الله (ص) يجلس بين اصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري ايهم هو ، فطلبنا اليه ان نجعل له مجلسا يعرفه الغريب اذا أتاه ، قال ، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه » .

فأنت ترى فى حديث أبي فروة انهم بنوا له مكانا عاليا يظهر به للغريب ، وفى حديثنا الذي نحن بصدده انه كان يوما بارزا وأنه أتاه رجل . ومن بقية الحديث نعرف انه غريب ، وهو جبريل .

ويؤخذ من حديث أبي فروة انه يحسن ان يختص العالم بمكان يجلس عليه يكون به ظاهرا بين من يجالسهم ، ولا بأس بان يكون مرتفعا اذا دعت الضرورة لذلك .

قوله : « فأتاه رجل » ظاهر من آخر الحديث أن هذا الرجل جبريل ، وانما قال : « رجلا » ولم يقل « ملكا » ، لانه كان فى صورة رجل حينما جاء الى النبي ، ولم يذكر البخاري شيئا من الاوصاف التي كان عليها جبريل فى حديثنا الذى نقلناه عن البخارى ، ولكن مسلما فيما رواه عن عمر رضي الله عنه ، ذكر هذه الاوصاف حيث قال : « اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه اثر السفر » .

كذلك لم يذكر البخاري شيئا في حديثنا هـذا مما كان عليه جبريل حين سؤاله الرسـول ، وكفى مسلما ذكر ذلك في رواية عبيد الله ابن معاذ العنبري ، التي وصلت في الاسناد الى عمر ،

حيث يقول : « جلس الى النبي (ص) فاسنـد ركبته الى ركبته ، ووضع كفه على فخذيه »

وعمل جبريل هذا مع النبي مما ينبه الى الاصغاء اليه ، ويبالغ في اخفاء امره عند اصحـاب الرسـول حتى يشتد الظن انه من جفـاة الاعـراب ، الذيـن لا يحسنون الدخول على الناس .

قوله فقال : « ما الايمان ؟ »

الايمان في اصل اللغة مطلق التصديق بالقلب ، وشرعا ورد بعدة اطلاقات :

1 — فهو حينا يـدل على اصـل الايمـان وهـو التصديق القلبي ، من غير تقييد بكونه مقرونا بالعمل، اى التصديق القلبي بما جاء به الرسول (ص) وذلك كما في قوله (ص) « يخرج من النار من كان في قلبـه مثقال ذرة من الايمان » وكما في قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفـردوس نزلا » فان الحديث استعمـل الايمـان في التصديـق القلبي ، والآية عطفت الاعمال الصالحة على الايمان ، فدل ذلك على ان الايمان غيرها ، فهو التصديق دون تقيـد بالعمـل .

2 — وجاء حينا بمعنى الايمـان الكامـل ، وهو المقرون بالعمل الصالح ، كما في قولـه تعالى « انمـا المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون » وكما في قوله عليه السـلام ، اذ قال لهم « اتدرون ما الايمان بالله وحده ، قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمد رسـول اللـه ، وايقـام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمـس » .

3 — وحينا يطلق الايمان ويراد : العمل ، كمـا في قوله تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم » فقد انعقد الاجمـاع على ان المراد بالايمـان الصـلاة ، والايمان الكامل الذي هو التصديق والعمـل هو الذي ينجي صاحبه من دخول النار ، لقوله تعالى : « ثم ننجـي رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين » واما اصل الايمان فهو يدخل الجنة ويمنع صاحبه من الخلود في النار ، كما يدل عليه حديث ابي‌ذر « ما من عبد قال لا اله الا الله ، ثم مـات على ذلك الا دخـل الجنة » قلت : وان زنى وان سرق ! قال : « وان زنى وان سرق » . وقوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمـان » وعلى هـذا يكون المراد للذين قالوا : ان الايمـان مجرد التصديق الايمان الذي يمنع الخلـود . اما الذيـن قالـوا : ان العمل ركن من اركان الايمان فمرادهم الايمان الكامل ، أي التصديق القلبي والعمل الصالـح ، واما الذيـن يعملون اعمال المؤمنين ولكنهم لايعتقدون ولا يصدقون بقلوبهم فهم المنافقون ، الذين اخرجهم الله من زمرة المؤمنين ، وهم الذين ينطبق عليهـم قولـه تعالـى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، ولكـن قولـوا اسلمنا ... الآية » غير ان هذا الايمان القلبي لايمكن معرفته الا بدليل يدل على حصولـه ، وقـد بين لنا الرسول (ص) هذا الدليل بقوله : « امرت ان اقاتـل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، الا بحقهـا ، وحسابهـم على الله » ومن هذا نرى انه جعل الاقرار باللسان شرطـا لاجراء احكام الايمان عليه ، اذ الاصل في الاحكـام ان تكون مبنية على الامور الظاهرة ، اذا كانت اسبابهـا الحقيقية خفية لا يمكن الاطلاع عليها ...

وعلى هذا يحكم بايمان من يتلفظ بالشهادتين ، سواء كان قائلها مصدقـا بقلبـه ، أم لم يكـن كذلك بالنسـبة لاجراء الاحكام عليـه ، ولذلك نجـده عليـه السلام قد قال لاسامة حين قتل من قـال : لا اله الا الله ، معتذرا بانه لم يقلها عن عقيدة : (هلا شققت عن قلبـه) ؟

اما بالنسـبة لما يكون في الآخرة من خلود في النار او عدمه فيرجع الى معرفة الله بحقيقته ، ولذا قـال عليه السلام : « وحسابهم على الله » .

وحينئذ نرجع الى بيان الايمـان في حديثنـا ، فنجد انه الايمان القلبي الذي هو اصل الايمان ، ويدل على ذلك جواب الرسول عليه السـلام لجبريل .

والايمان في حديثنا التصديق بوجود الله ووحدانيته وانه متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، والايمان بالملائكة ، التصديق بوجودهم ، وانهم كما وصفهم الله عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . اما لقاء الله هنا فيراد به الموت ، كما يدل عليه في رواية لهذا الحديث « وبالموت وبالبعث » وحينئذ لايكون في الحديث تكرار كما ظن بعضهم ، حيث جعل اللقاء داخلا في مفهوم البعث ، فيكون مذكورا صراحة ثم ضمنا .

والايمان بالرسل التصديق بكل ما يتعلق بهم من امور الرسالة ، فيشمل ذلك الايمان بانهم رسل الله الى الناس ، وان ما جاءوا به من تشريع انما هو من عند الله ، وانهم صادقون فيما أخبروا به عن ربهم ؛ أما مالا يتعلق بامور الرسالة فليس مطلوبا هنا ، فلا تجب معرفتهم باسمائهم الا اذا نص عليها .

قوله : « **وتؤمن بالبعث** » البعث هو القيام من القبور ، اي تصدق بأن الناس سيحيون بعد موتهم للحساب ، وانما ذكر الايمان بجانب البعث هنا ولم يجعله من عطف المفردات ؛ لأن المشركين كانوا شديدي الانكار له حتى جعلوه علامة لكذب الرسل ، وقد ورد ذلك في القرآن كثيرا ، كما في قوله تعالى : « اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون ؟ » الى غير ذلك ...

وفي رواية لمسلم بدل ان تؤمن بالبعث « وتؤمن باليوم الآخر » وهذا اشمل ؛ لأن الايمان باليوم الآخر ينتظم الايمان بحدوثه وحدوث كل ما يقع فيه ، فيشمل القيام من القبور والحساب والميزان والجنة والنار . وسياق الحديث يدل بظاهره على أن الايمان لا يتحقق الا بالتصديق بكل الأمور التي ذكرت في الحديث انها من الايمان ، مع ان الفقهاء اكتفوا باطلاق الايمان على كل من صدق بالله ورسله ، فمن فعل ذلك قالوا عنه مؤمن ، ولا تعارض في ذلك ، لان الايمان بالرسول يشمل الايمان بانه صادق ، وان ما جاء به من عند الله ، فيدخل في ذلك جميع ما ذكر في الحديث من مقتضيات الايمان ...

وقوله : « **الاسلام أن تعبد الله** » الاسلام في اللغة الانقياد والاذعان مطلقا ، وشرعا الانقياد لله بقبول ما جاء به الرسول (ص) بالتلفظ بكلمة الشهادتين ، والاتيان بالواجبات ، والابتعاد عن المنكرات ، والاسلام بهذا المعنى : اعمال قولية وهي الشهادة ، وغير قولية وهي الصلاة والصيام والزكاة ... الخ ما ذكر في الحديث . وكما اطلق الاسلام على ما تقدم في لسان الشرع فقد اطلق على دين الاسلام كله ايضا ، بما في ذلك الايمان ، كما يفهم من قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله: « ورضيت لكم الاسلام دينا » وقوله (ص) « ذاق طعم الايمان من رضي بالله تعالى ربا ، وبالاسلام دينا » .

ومن هذا تجد ان معنى الاسلام بالاطلاق الثاني يتفق مع ما قلناه في الايمان الكامل المنجي لصاحبه من النار ، اما الاسلام بالمعنى الاول فهو العمل الظاهري .

وقوله : « **أن تعبد الله** » في رواية مسلم عن عمر « ان تشهد ان لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » بدل روايتنا – ان تعبد الله – وهذا يدل على ان المراد بالعبادة هنا النطق بالشهادتين .

وعدم ذكر الحج في اعمال الاسلام في رواية أبي هريرة لايدل على انه لم يكن قد فرض في ذلك الحين ، بل لأنه نسيه او ذهل عنه . ففي رواية أخرى « وأن تحج البيت ما استطعت اليه سبيلا » .

والمراد بالصلاة المذكورة الصلاة المفروضة ، وقد ورد تقييدها في رواية مسلم لحديث عمر حيث قال : « والصلاة المكتوبة » ويدل عليه حديث السائل للرسول عن الاسلام فقال له فيما قال : « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال : « هل علي غيرها ؟ » قال : « لا الا ان تصدق » ، ثم ادبر الرجل وهو يقول: « والله لا أزيد على هذا ولا انقص » فقال عليه السلام: « افلح ان صدق » .

قوله : « ما الاحسان » . يطلق الاحسان لغة على معنيين : احدهما يتعدى بنفسه ، والثاني يتعدى بحرف الجر ، ومراد حديثنا « الاول » ؛ لأنه يرجع الى اتقان العبادة ومراعاة الله ومراقبته ، كما يدل عليه جواب الرسول بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » وجواب الرسول ينتظم مقامين لمراقبة الله في العبادة

الاول : ان يعبد الانسان ربه متذكرا أن يرى ربه بقلبه حتى كأنه يشاهده بعينه ، ومن يتذكر هذا لايسعه الا ان يخلص في عبادته ، باتمام الخشوع وفراغ

البال ، اذ من طبع الانسان الغفلة عن القيام بما يجب عليه لمن يحسن اليه ، ويثوب الى عقله فيجد في عمله متى رأى من يحسن اليه ، وعلم انه بحضرته . وبالقياس على هذا متى تنبه بان الله موجود — حتى لكأنه يراه بعين المشاهدة — جد في اتقان العبادة حقا .

الثاني : افترض ان الانسان لايرى ربه ، فلا يجوز له ان يغفل عنه بأن الله يراه . والطفل اذا علم ان اباه يراه احجم حتما عن كل ما يشين ، واجتهد في عمل ما كلفه به ابوه . والنفس الانسانية كالطفل تحتاج الى حوافز كما ترتاح الى المشجعات ، ورؤية الله لعبده متحققة للمقامين ، ولذا قال الامام النووي في شرح هذا الحديث : « هذا من جوامع الكلم التي اوتيها النبي (ص) ؛ لاننا لو قدرنا ان احدنا قام في عبادته وهو معاين ربه لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت ، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على احسن وجوهها الا اتى بها . فقال صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله في جميع احوالك كعبادتك في حال المشاهدة » . وهذا موجود مع عدم رؤية العبد ، فيجب ان يعمل بمقتضاه . فتقدير الحديث : فان لم تكن تراه فاستمر على احسان العبادة فانه يراك ...

وقوله : « **متى الساعة** » ؟

متى — لا يسأل بها عن الذوات ، وانما يسأل بها عن الازمان ، وعلى ذلك يكون التقدير : متى تقوم الساعة ، اي : في اي وقت تقوم الساعة ؟ .

وجواب الرسول عليه السلام « ما المسؤول عنها باعلم من السائل » يدل على ان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ لقوله بعد « في خمس لا يعلمهن الا الله » ، ولكنه مع ذلك اخذ يبين العلامات التي تدل على قربها ، فقال :

« وساخبرك عن اشراطها » الاشراط : جمع شرط ، والمراد بالعلامات الدالة على حينها ، ثم بينها ، فقال :

« **ان تلد الامة ربها** » وفي رواية «ربتها» ، والمراد بالرب : السيد والمالك ، ولعل معنى ذلك احد امرين :

1) ان السبي يكثر ، فيسبى الولد وهو صغير ، فيعتق ويكبر ويصير مالكا ، ثم تسبى الام بعد ذلك ، فيشتريها ويستخدمها استخدام الجواري

2) ويجوز ان يكون المراد بالرب المربي ، والمراد حينئذ : حدوث مثل هذه الحالة المستغربة التي تدل على فساد الاحوال وانعكاسها ، اي : ان الساعة يقرب قيامها اذا انعكست الامور ، فصار المربى مربيا ، والسافل عاليا ، وهذا مناسب لذكره صلى الله عليه وسلم العلامة الاخرى :

« **واذا تطاول رعاة الابل البهم في البنيان** » .

البهم : جمع ابهم ، وهو الاسود ، او المجهول النسب ، وعلى ذلك يصح ان تكون وصفا للابل بالنسبة للمعنى الاول ، ويصح ان تكون وصفا للرعاة بالنسبة للمعنيين : مجهول النسب او الاسود .

ويمكن ان يكون البهم جمع بهماء وهي : السوداء ، وحينئذ تكون وصفا للابل فقط ، وفي رواية اخرى « البهم » بالفتح وهو لا يتمشى مع ذكر الابل في هذه الرواية ؛ حيث قال : « رعاة الابل البهم » لان البهم جمع بهمة ، وهي الصغير من اولاد الضأن والغنم ، وهو مما يضعف هذه الرواية ، نعم يجوز الفتح اذا لم تذكر الابل ، مما يتفق مع رواية مسلم « رعاة الشاء يتطاولون في البنيان » .

قوله : « **في خمس لايعلمهن الا الله** » يريد انها مغيبة عنا ، وقد جاء ذلك مصرحا به في رواية اخرى « في خمس من الغيب » وهذا يدل على انه لا مطمع لاحد في علم هذه الخمس ، وهي المذكورة في قوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس باي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » .

فمن ادعى علم شيء منها ـ غير مستند فى ذلك الى حديث على الرسول ـ كان كاذبا فى دعواه ، اما ظن الغيب فقد يكون .... ولكنه ليس بعلم ، وهو الذي نفاه الله عنا ، وقد روي عن ابن مسعود انه قال : « أوتي نبيكم عليه السلام علم كل شيء سوى هذه الخمس ، فاياكم ان تفتروا بما يرويه من لاثقة له بالعلم بشيء من هذا » .

وقوله : « جاء يعلم الناس دينهم » . يدل على ان الدين يطلق على ما هو اعم من الاسلام والايمان والاحسان ، وان جاء فى بعض الاطلاقات بما يرادف الاسلام ، واسناد التعليم الى جبريل مجاز ، لان الذي كان يجيب ويذكر التعاليم هو الرسول ، ولكن لما كان جبريل سائلا كان سببا فسمي معلما ....

أهم ما يستنبط من الحديث

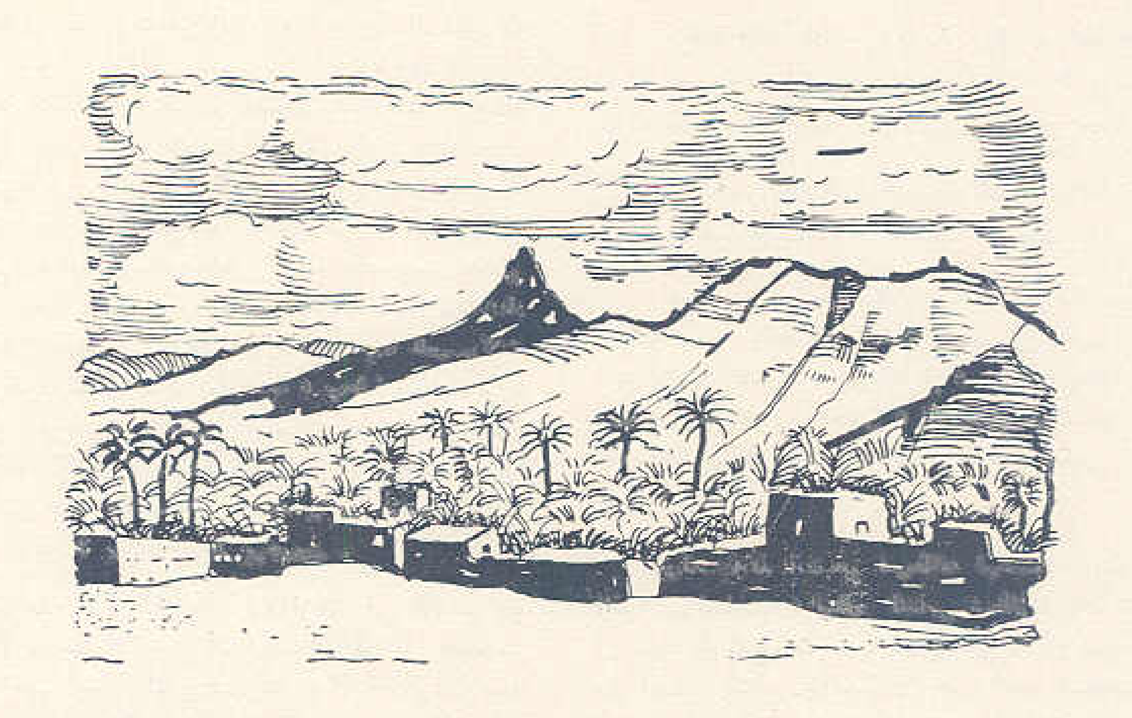
1) وجوب الوقوف عن الفتوى عند عدم العلم ؛ فان ذلك لا ينقص من جلال من توقف .

2) ان الملائكة قد اعطوا القدرة على التشكل باشكال ، مصداقا لقوله تعالى : « فتمثل لها بشرا سويا » وان جبريل ـ كما كان يتمثل للرسول بصورة دحية الكلبي ـ كان يتمثل بغير صورة دحية ؛ لاننا ذكرنا فى رواية الحديث ان جبريل اتاه فى صورة رجل حسن الهيئة ، لكنه غير معروف ، وكان دحية معروفا عندهم .

3) ان من الامور امورا اختص الله تعالى بعلمها ، فلا يصح فيها اللجاج ، وعلى راس هذه الامور تلك المغيبات الخمس التي سلف ذكرها فى الآية المعروفة .

طنجة ـ محمد كمال شبانة

عضو البعثة التعليمية العربية بالمغرب





للأستاذ
حسن بغدادي القادري

- 3 -

البحث الثاني :

قال الله عز وجل : (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) سورة الانعام ، الآية 28 ، ان هذه الآية الكريمة وامثال امثالها مما سبق او ياتي ذكره فى بحوثنا التى اخترنا ادراجها تحت العنوان اعلاه ، وذلك من الآيات التي اشكل امرها والتبس فهمها على بعض المفسرين ، فاختلفت فيها الآراء والانظار بالترجيح والتصويت ، وتعددت المفاهيم ، بالوجهين او الوجوه، وقد يتعدى تفسيرها من الواضح البين — الذي هو الحق والصواب — الى تفسيرين او اكثر مما تاتي به الروايات المختلفة ، فترى بعضهم يقدم هذا الوجه او ذاك ، مما يراه احدهم احق واولى بالتقديم والتصويت فى حين يراه الآخر بالعكس ، فيؤخر ما يستحق التقديم ، ويقدم ما يستحق التاخير او الرفض تصويبا واستحسانا ، وذلك حسب تمكن المفسر وتعمقه فى العلم والفهم ، وما عنده من استعداد للبحث والاستطلاع ، وقد يكون ذلك تبعا للميولات الخاصة من المشارب والمذاهب ، وهذا شر انواع التفسير ، واضرها بالعقل ، واضلها للفكر ، وبالاخص قاصر الفهم الذي لا يستطيع ادراكا ولا يهتدي سبيلا، وقد يفتتن هذا بالاشخاص المقلد رايهم فيصبح من المقلدين الذين لا يهتدون ولا يرعوون .

ان هذه الآية الكريمة : (مافرطنا فى الكتاب من شيء) لا يفهمها كثير من الناس — ان لم نقل جلهم — الا على احد الوجوه التى فسرت به الآية وعرفت به لديهم ، من ان (الكتاب الوارد ذكره فى هذه الآية هو القرآن الكريم ، حسبما شاع وذاع ، وتقرر فى الاذهان منذ امد بعيد ، وكذا قوله (من شيء) ، فالشيء عنده على حقيقته للاستغراق والشمول يعلم كل شيء ولا يخرج عنه شيء ، على ان صاحب هذا الفهم لو تامل قليلا لكان هذا حقيقة (للكتاب المبين) الذي يراد به اللوح المحفوظ ، لا للقرآن الذي يكون استغراق فيه مجازا كما جاء فى قوله تعالى فى صورة النحل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

ولكنه هكذا فهم — وهو لا يريد ان يفهم ما سبق له ان فهم — فهما لا يبغي ان يحيد عنه ولا يريم ولو جئته بالادلة الساطعة كالشمس ، ولسان حاله ينشد:

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

حتى ان بعضهم يتكلف شططا فيرهق نفسه ، ويجهد فكره واعصابه تمحلا ليجد فى القرآن حتى اسم دابته وعلفها ، حتى اذا لم تسعفه الالفاظ ذهب ليجدها بحساب « الجمل » الابجدي او ياخذ بعض الحروف من اوساط الكلمات واطرافها عسى ان يعثر على ما يبتغي .

وقد ياخذ احدهم شيطانه فيتعمد انتهاك حرمة القرآن وقداسته ، ليظهر للناس شطارته بانه يستطيع ان يجد كل شيء — او ما يبتغي على الاقل — فى القرآن من اسماء الناس والحيوان حتى اسم شخصيته المحترمة ، واسم حاكمه المستعمر ليجد عنده حظوة.

كان ذلك منذ اربعين سنة (وانا اعرف الشخص الذي قام بهذا الدور متعمدا الكذب على الله والافتراء عليه وعلى الناس) بان قال لاحد كبار المستعمرين من الذين حصلوا على نصيب من الكتابة العربية والتهجي الاعرج على طريق الترجمة ، وكان الشخص القائم بهذه اللعبة الملعونة قد ادعى بانه شريف Noble والقى في روع صاحبه الاجنبي : بان كل شريف مذكور اسم اسرته في القرآن ، وكان اسمه دادي ثم جاء اليه بمصحف كبير ففتحه على الآية – التي صادف ان كانت بآخر الصحيفة – وهي قوله تعالى : (عند ذي العرش المجيد) وكانت نقطة الذال باهتة او ازالها بالفعل – واراها له واضعا طرف احدى يديه على الحرفين (العين والنون) فقرا النصراني (ددي العرش المجيد) ولما كان الاجنبي لا يعرف القراءة جيدا – او لا يفرق ما بين (دادي الاسم – ولا (ددي) المختزلة ، صدقه مندهشا مع تقديم خالص التحية واحتراماته الشخصية بعد ما ترجم له بان احد اجداده كان ذا عرش مجيد ، وصاحب ملك كبير . وهناك شخص آخر (آخر عينه من هذا الطراز) كنت اعرفه واعرف صاحبه اجنبي ، وكان من كبار المحامين يدعى : مسيو كوك Coq يود ان يختلط بالمسلمين العرب ، وهو يتحبب اليهم كثيرا ليتعرف عنهم وعن عقائدهم وعوائدهم اكثر فأكثر (لحاجة في نفس يعقوب) ومن جملة ما عرف عن القرآن : ان كل شيء – مما كان ويكون – موجود في القرآن ، ولا يفهم من هذا التعميم الا ان اسماء الاشخاص مذكورة في القرآن ، فقال لصاحبه العربي – الانديجان – وهو يحاوره : الا تجد لي اسمي مذكورا في كتابكم ؟ فأجابه ان نعم ، ثم سعى ليأتي اليه بالمصحف مع احضار نصيب من الطيب والبخور ليريه الاسم المطلوب ، بعد ما استعد لذلك ، واضعا طرف كفه على الحروف الثلاثة – الواو والتاء والراء – كما وضعها اخ له من قبل ، فامكن لهما ان يقرا جميعا (كوك قائما) بعد ما حجبت الحروف المطلوبة سترها من قوله (وتر) ثم افهمه بان معنى « كوك قائما » اي قائما باعمال المسلمين ومصالحهم فشكر له ذلك والحقه بمكتبه الخاص لشطارته وغزارة علمه .

والى عهد قريب كان الناس الذين عاصروا زمن الحكايتين يتحدثون بهما ويتندرون قائلين : ان هذا الشاطر او ذاك ضحك كل منهما على ذاك النصراني المغفل .

وما درى ان هذا النصراني هو الذي ضحك على دقنيهما لغباوتهما عند ما كان يتغابى حتى يمكنه ان يطلع على الاسرار والخفايا فيراسل بذلك الجرائد والمجلات الغربية ، او كتابا يدر عليه الارباح .

ويمثل هذا الالعاب الف احدهم كتابا – وكم كتبوا والفوا – سماه (العقائد والعوائد والفوائد)طبع بالجزائر وفيه ما يندي له الجبين من المساخر ، من العقائد والعوائد .. وهو وحده الذي جنى الارباح والفوائد .

نثبت هذا للتاريخ ، والاسى يملأ قلوبنا باحر الزفرات ، كلما علتنا ذكريات الايام الخوالي من التاريخ البغيض ، لا اعاده الله ولا اعاد ايامه السود بفضل رجالاته الغر الميامين ، وفتيان الاسلام المجددين في ميادين العز والمجد من ابناء يعرب وقحطان .

هذا وقد تذكرت بهاتين الحكايتين ما قرأته في تفسير الامام السلفي المرحوم جمال الدين القاسمي ناصر السنة وقامع البدعة في مرابع الشام الخضر، في تفسيره المطبوع بالقاهرة قريبا في سبعة عشر جزءا ، والحكاية بنصها كما يلي :

سأل بعض الملحدين بعضهم عن طبخ الحلواء اين ذكر في القرآن ؟ فقال في قوله تعالى : (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

ثم استطرد – في هذا الموضوع – حكايات ، منها الغث والسمين ، وذلك بالجزء السادس من تفسيره « محاسن التأويل » عند تعرضه لتفسير آية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) سورة الانعام .

وفي تفسير المنار للشيخ محمد رضا حكاية مماثلة جاء بها عند تفسيره لهذه الآية ، واليك هي ، لتطلععلى ما لم تعلم ،للعبرة والاتعاظ :قال (ومن الناس من قال : ان القرآن قد حوى علوم الاكوان كلها ، وان الشيخ محي الدين بن العربي وقع عن حماره فرضت رجله ، فلم يأذن للناس بحمله الا بعد ان استخرج حادثة وقوعه ورض رجله من سورة الفاتحة .. وهذا القول لم يقل به احد من الصحابة ، ولا علماء التابعين، ولا غيرهم من علماء السلف الصالحين ، ولا يقبله احد من الناس الا من يرون ان كل ما كتبه المتون في كتبهم حق ،وان كان لا يقبله عقلولا نقل ، ولا تدل عليهاللغة، بل قال ائمة السلف : ان القرآن لا يشتمل على جميع فروع احكام العبادات الضرورية بدلالة النص ولا الفحوى ، وانما اثبت وجوب اتباع الرسول (ص)

فصار دالا على كل ما ثبت في السنة ، واثبت قواعد القياس الصحيح ، وقواعد اخرى ، فصار مشتملا على جميع فروعها وجزءياتها ، ولا يخرج شيء من الدين عنها) .

وان قبول الناس للخرافة المزرية عن ابن العربي هي التي جرات مثل مسيح الهند احمد القادياني على ان يقول ذلك التفسير الذي فسر به الفاتحة ، وزعم انه معجزته الدالة على كونه هو المسيح المنتظر ، وكله لغو وهذيان ، ومن اغربه زعمه ان اسم الرحمن في الفاتحة دليل على بعثة خاتم الرسل محمد (ص) ، واسم الرحيم دليل على بعثته هو .. ا هـ ج 7 من تفسير المنار ص 395 ط الثالثة (دار المنار) .

اعود فاقول : لا نكران ان الآية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) قد فسرت بالوجهين من كون « الكتاب » هو اللوح المحفوظ ــ كما فسره المحققون من العلماء قديما وحديثا ــ وقد اعتمدوه واقتصروا عليه ، حيث راوا ذلك الفهم هو الحق وانه اكثر صوابا واقوم قيلا لعدم تكلفهم التأويل الذي يرغب عنه السلف ما وجدوا لذلك سبيلا .

او ان « الكتاب » الذي جاء في الآية هو القرآن ــ كما فهمه الآخرون وفسروا الآية مضطرين الى ارتكاب التأويل في ان « من شيء » في الآية مجاز ، وليس الشيء فيها من عمومه وشموله ، حيث ان القرآن ــ كما يشهد به الواقع ــ لا يوجد فيه كل شيء منصوصا عليه لا باللفظ ولا بالتلويح فذهبوا يؤولون من هنا ومن هناك ليستقيم لهم الفهم الذي ذهبوا اليه معضدا بالروايات الواهية ، والاوهام الخيالية .

وفي القرآن ــ والحمد لله ــ ما يغني عن تأويل المؤولين ، وفلسفة المتنطعين ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النحل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

فليكن التفسير هناك بما يناسب التبيان وتنزيل الكتاب على الرسول الكريم ، والكتاب هنا هو القرآن قطعا لا شك فيه ولا ريب .

هذا وغني عن البيان والتدليل ان نقول : ان القرآن ــ وهو كتاب الله الخالد ــ فيه حقائق وتفصيل كل شيء مما يتعلق بسعادة البشر واسعادهم في الحياة والمعاد ، ما فرط في شيء ، ولا اهمل شيئا من طرق الهداية الا ارشد اليها ، ودلل عليها ، وفيه تبيان كل شيء من اصول الدين والخبر ، وامهات الفضائل والاخلاق ، واسس الاحكام وقواعد الدين ، عقيدة وشريعة ، فيما يرجع الى الخالق تعالى في توحيده وربوبيته ، والى المخلوق في حقوقه ومعاملته، وكل ما يصلح حاله ومئاله ، في دينه ودنياه .

ومن هذه الناحية جاء الاثر : ان القرآن لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا ، وكل ما تقتضيه المصلحة او يتطلبه التشريع . وهذا ما يستفاد من قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) .

حقيقة ان كلمة (شيء) في هذه الآية ليست على حقيقتها ، بل هي مجاز (قطعا) فلا يعم الاشياء كلها بحيث لا يخرج شيء من الاشياء .

وهذا التعبير جاء على ما تعرفه العرب من لسانهم وطريقة استعمالهم وتفننهم في اساليب الكلام وبراعة الخطاب ، بلاغة وتلحيما ، ومبالغة التهويل والتكثير ، ذلك فنهم ، وتلك طريقتهم ، وذلك ما يعرف او يعلم بالقرائن الدالة ، والحقائق الكاشفة التي يفصح عنها الواقع الملموس ، او الامر المحسوس.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة النمل : (واوتيت من كل شيء) مع ان بلقيس لم تؤت مثل ما اوتي سليمان وانما المراد المبالغة فيما اوتيته ملكة سبأ من متاع الدنيا في كل ما يحتاج اليه الملك المتمكن ومن هذا النوع في القرآن كثير لمن يستقرىء ويتدبر.

والقرآن تبيان لكل شيء وفيه كل شيء من كل ما يقتضيه انزاله ، وتتطلبه مقاصده العليا من امور الدين ، وبيان احكامه نصا على بعضها ، واحالة على السنة حيث امر الله في القرآن باتباع الرسول وطاعته في كل ما امر به ونهى عنه ، فيكون ذلك من القرآن ، قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول : مالي لا العن من لعنه الله في كتابه ـ يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمتوصلة ، فجاءته امراة ـ وقد قرات جميع القرآن ـ فقالت : يا ابن ام عبد ، تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة والمستوشمة ، فقال : لو تلوته لوجدته ، قال الله تعالى : (وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وان مما اتانا به رسول الله انه قال : لعن الله الواشمة والمستوشمة .

واما ما جاء في سورة الانعام من هذه الآية الموضوعة الآن على بساط البحث ـ وهي قوله تعالى: (مافرطنا في الكتاب من شيء) فالموضوع يختلف ، والمقام غير المقام ، وان « الكتاب » هنا يطلق على القرآن ، وقد يطلق على غيره ـ كما ياتي قريبا ـ وكذلك قوله (من شيء) فانه في هذه الآية وارد على حقيقته استغراقا وشمولا ، لا يند عنه شيء ، ولا يخرج منه اى شيء مما كان او يكون ، في ظلمات البر والبحر ، في السماء والارض وما بينهما وفيهما من رطب ويابس ، كل شيء في « كتاب مبين » وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه في آيات اخرى ب « ام الكتاب » وب « امام مبين » .

وهذا الموضوع قد تكرر في القرآن مرارا في نحو عشرين آية باساليب مختلفة ، والفاظ متقاربة ، وكلها شارب على وترة واحدة ، ومورد واحد ، والجميع مساق لبيان حقيقة واحدة من شؤون علم الله الغيبي ، وقدره الازلي ، وعلمه الشامل المحيط بكل شيء ، وان ما من شانه من كل ما كان وما يكون الا وهو مسطر عند الله في كتاب احصى فيه كل شيء من مقادير المخلوقات وارزاقهم ومواليدهم ، وآجالهم واعمالهم ، ما قل وجل ، ما طار وما نزل ، ما استقر في الارض وما سكن ، ما ظهر من الكون وما بطن ، حتى ما انزله الله على انبيائه ورسله من سر وحيه ، ومسطور كتابه ، وكل منها في كتاب مكنون مصون محفوظ ، اجلها واعظمها القرآن ، آياته بينات،وكلماته مجليات ، ولفظه واضح مشرق ، يفسر بعضه بعضا في كثير من آياته واحكامه .

اليس قوله تعالى في سورة الانعام (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) ؟ هي نظير ما جاء في اول سورة هود (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ومثلهما ايضا في سورة الانعام ـ مرة اخرى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) .

اما ما استظهره الرازي من ان المراد بالكتاب : « القرآن » واحتج بان الالف واللام اذا دخلا على الاسم المفرد انصرف الى المعهود السابق ، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن .

اقول : ان هذا ليس بصحيح ، فكم من مرة جاء في القرآن « كتاب » معرفا كما قال ، ومع ذلك يدل على شيء آخر مثل قوله تعالى : (قال اني عبد الله آتاني الكتاب) وقوله : يسالك اهل الكتاب) وقوله : « كان في الكتاب مسطورا » وقوله « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها » وقوله «فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم » وقوله وان فريقا يلوون السنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب » وقد تكرر الكتاب في هذه الآية ثلاث مرات ، ولكل واحد معنى يخالف الآخر :

ـ فالاول ـ ما كتبوه بايديهم ـ وهو المذكور في قوله تعالى « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم »

ـ والثاني ـ التوراة .

ـ والثالث ـ لجنس كتب الله ، ومثله قوله تعالى في سورة يونس : « وما كان هذا القرءان ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » فانما اراد بالكتاب ها هنا : ما تقدم من كتب الله دون القرءان ، الا ترى انه جعل القرءان مصدقا له .

وكذلك قوله : (فالذين آتيناهم الكتاب) اي القرءان وغيره بالحجج والعلم والعقل ، وقوله : (قال الذي عنده علم من الكتاب) اريد به : علم الكتاب، وقيل : علم من العلوم التي ءاتاها الله سليمان في كتابه المخصوص ، وبه سخر له كل شيء.

وقوله : (وتؤمنون بالكتاب كله) اي بالكتب المنزلة فوضع ذلك موضع الجمع ، لكونه جنسا

كقولك : كثر الدرهم في ايدي الناس ، والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ، انتهى من مفردات الراغب الاصبهاني بزيادة وتصرف .

وقد جاء في كتاب « الوجوه والنظائر » لقاضي القضاة محمد بن علي الدامغاني ، وكتاب « نزهة العيون النواظر في الاشباه والنظائر » لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (مخطوطان) كل منهما في باب « الكتاب » قال ابن الجوزي : ذكر بعض المفسرين : ان الكتاب في القرءان على احد عشر وجها :

احدها : (اللوح المحفوظ) ومنه قوله تعالى في الانعام « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

والثاني : (الكتابة) ومنه قوله تعالى في ءال عمران (ويعلمه الكتاب والحكمة) .

والثالث : (العدة) ومنه قوله تعالى في البقرة « حتى يبلغ الكتاب اجله » .

والرابع : (التوراة) ومنه قوله تعالى في ءال عمران « يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم » .

والخامس : (الانجيل) ومنه قوله تعالى في ءال عمران « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » الى ءاخر الوجوه التي ذكرها الدامغاني وابن الجوزي ، وقد اقتصرنا على خمسة منها — وهي ما جاء فيها ذكر الكتاب معرفا ب « ال » والباقي غير ذلك مما لا يدخل في باب الاحتجاج به على الرازي المستظهر بان « الكتاب » ب « ال » في القرءان لا يطلق الا على القرءان ، وكفى ما به الحاجة .

ولهذا البحث تتمة ناتي بها في العدد الآتي — ان شاء الله — وسنذكر فيه ما جاء في القرءان من الآيات المماثلة لآية (الانعام) المذكورة اعلاه في مطلع البحث الثاني ، مع اقوال مشاهير المفسرين ، ودلائل اخرى ، فالى اللقاء بتوفيق الله تعالى . (*)

— يتبع —

الرباط — حسن بغدادي القادري

ملاحظة : صدر البحث الاول وكان لازما في آخره بكلمة (يتبع) ليعلم القارىءان لذلك البحث بقية ، وكان من ذلك في النفس شيء لعدم اتمام البحث مدعما بالادلة والشواهد القاطعة على ان الاية لا علاقة لها بالمصحف المعروف ، وبهي المحدث عن مسه ، وانما النهي جاء في السنة النبوية كما ورد ، وذلك ما ابتناه في تتمة البحث المنشور بالعدد الموالي ، مرحبين بما تجود به قرائح المنتقدين ، ونفثات المعترضين عما نشر او ينشر في باب (اضواء على آيات قرءانية) ، خدمة للحقيقة ، وبيانا لما هو اولى واحق ، وكل ذلك من باب التعاون على البر والتقوى من غير اثم ولا عدوان ، مذعنين شاكرين .

كذلك نلاحظ للخطا المطبعي الواقع في العدد الموالي من كلمة « والانزلاق » من السماء ، وصوابها : (والانزال) الصفحة 24 العمود الثاني السطر 18 . وربما يكون غير ذلك من الاخطاء التي تقع رغم الارادة عند الطبع بعد التصحيح الاخير ، راجين من القاريء اللبيب اصلاح ذلك مع الاعتذار وتقديم خالص الشكر .

صاحب المقال

عدالة الشريعة الاسلامية

للأستاذ : احمد الزيرقي

ان لكلمة العدالة تقديسا واجلالا في افواد البشر ، وفي الفطرة الانسانية السليمة ايضا ، وقد شهد الواقع بذلك في الطبائع الآدمية على تفاوت طبقاتها واعصارها وتباين بلدانها واختلاف السنتها واجناسها وعلى تخالف كثير او قليل في فهم العدالة نفسها ، وكثيرا ما يسمع من احد المتنازعين — وقد صدر ضده الحكم التسخط والتأسف ، متهما الحاكم باهانة العدالة وهضم حقها في جانبه .

وقد يكون الامر كذلك فيما اذا وقع انحراف في تطبيق العدالة ، او كانت بنود القانون من بنات الافكار البشرية ، التي هي عرضة للاخطاء والسهو ، او روعي في وضع القانون صلاحيته لامة خاصة ، اعتبارا بوضعها الخاص .

فمن الاحسن لسعادة البشرية جميعها وجود قانون قد استمد فصوله من العدالة الحقة ، المعصومة من الخطأ ، ليكفل للافراد والجماعات حرمتها ونظامها ، حتى لا تهدر الحقوق ، ولا تسود الفوضى ، وينال الكل ما له من الواجبات ، ويحترم — عن طيب نفسه — ما لغيره من الحقوق ، اينما حل وارتحل من الكرة الارضية التي قد يصير سكانها في يوم ما — بفضل التقدم العلمي — كعائلة واحدة ، او كامة واحدة ، فمن المعلوم انه لا بقاء لامة بلا عدل ولا نظام ، بل الحيوان والمعدن والسموات والارض ، لا قيام لها الا بالعدل والنظام .

ونحن الآن نعيش في النصف الثاني من القرن العشرين ، الذي خطت فيه الانسانية خطوات واسعة في التقدم العلمي والفكري ، وقطعت فيه اشواطا كبرى في طريق الرقي المادي ، وبلغ النوع البشري في الميدان الاختراعي الى حد محاولة اختراق الاجواء ، والطمع في غزو الكواكب السابحة في الفضاء ، غير اننا لم نسمع من حاول ان يشق غبار الشريعة الاسلامية في خلق قانون يفوز بالصلاحية لتحقيق حاجيات المجتمع البشري في الميدان العدلي ، ولم تر مثل الشريعة الاسلامية في تحقيق ذلك ، على اختلاف الازمان ، وتباين الافكار وتباعد الاقطار ، ولم نر مثل الشريعة الاسلامية في اجتثاث واستئصال كل ما قد تتعثر به العدالة في طريقها الى القيام بمهمتها ، او يكدر صفوها من الاعتبارات الدينية او العاطفية او القرابة او غيرها ، من الامور التي اعلن الاسلام اهدارها — في جانب العدالة — منذ اربعة عشر قرنا .

لقد اثار المشركون حفيظة المسلمين بالتصدي لهم بالمنع — ظلما وعتوا — في واقعة « الحديبية » من ممارسة الشعائر الدينية ، ومزاولة مناسك العمرة ، وقد كان من الطبيعي ان ينتقم المسلمون — عند القدرة — رادين على الاعتداء بالمثل ، قضاء لحق المظلومية ، وارضاء لغريزة التشفي .

ولكن القرءان ذكرهم بان روح الاسلام الكريمة تحتم الضرب عن كل ذلك صفحا ، ويلفت نظرهم الى وجوب الوفاء بحق اداء الشهادة لله ، واحترام جانب العدالة ، واطراح كل ما تقتضيه طبيعة الشنئان والبغض لقوم ، ويلفت القرءان الكريم نظرهم الى وجوب سد كل المنافذ التي قد تتسرب منها عواصف تطفىء نور العدالة ، او عوامل تفل الشهادة لله .

ويعتبر القرءان كل ما خالف ذلك من قبيل الاعتداء الذي لا تعترف به ولا تقره الشريعة الاسلامية ، ويعلن ان الواجب يقتضي التعاون على البر والتقوى الذي كان من ابرز مميزاتها — في نظر الاسلام — الاخذ بيد العدالة ، وسد باب الملاحظات التي تعرقل السير في سبيل نصرة الحق ، وان التقصير في شيء من ذلك معدود — في راي الشريعة الاسلامية — من قبيل التعاون على الاثم والعدوان الممقوت في ملة الاسلام ، وبالتالي تعتبر الشريعة المتهاونين في امر القيام بالعدالة كما يجب ، قد تعرضوا لشدة عقاب الله تعالى الدنيوي والاخروي ، اقرا هذا باعتبار وامعان في

ءاية من ءايات سورة المائدة ، وهي قوله تعالى « ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب »

على ان شريعة الاسلام لم تقف عند هذا الحد في ميدان تحقيق الحق وابطال الباطل ، بل ذهبت الى ما هو اوسع من ذلك ، فهي تقتلع جذور الجور ، وتجتث عروق الحيف وتبيد جميع الطفيليات التي قد تنال من ترعرع شجرة العدالة ، وامتداد عروقها ليثبت اصلها ، وتصعد الى السماء فروعها ، ويمتد ظلها ، وتوتي سلطتها كل حين .

لقد فرضت العدالة الاسلامية رقابتها حتى على الضمائر ، ونادت قلوب المومنين طالبة الاستواء على ساق الجد والتيقظ في القيام بالقسط ، واداء الشهادة على وجهها الواقعي ، وبكيفية ترضي الله وترضي الضمير ، لا على المشهود عليه فقط ، بل وعلى ذات الشاهد ، وعلى نفسه التي بين جنبيه ، وعلى امه وابيه واقاربه الادنين ، وان داعي الايمان يوجب التصريح بالواقع المر ، من الشهادة على النفس، وعلى الوالدين والاقربين ولو كانت النتيجة ستنتهي الى الاعدام وانهاء هذه الحياة ، ورضوان من الله اكبر .

فمن اعظم واجبات النظام الاسلامي — في بساط القيام بحق العدالة واداء الشهادة — تناسي الاعتبارات كلها ، التي منها التماس رضى الغني لغناه ، او مراعاة عاطفة الشفقة على الفقير لفقره ، بل الواجب هو الانسحاب من ميادين هذه الاعتبارات كلها ، وترك شانها لله وحده ، فهو اولى بالجميع ، وانما نحن مامورون بارضاء جانب العدالة ، ومجانبة اتباع الهوى الذي قد يضلنا عن الحق وينكبنا طريق الصواب ويقودنا الى هاوية الحيف .

يقول الله تعالى « يا ايها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .

فانت ترى من ختام الآية الكريمة ، كيف سدت علينا جميع منافذ التملص عن القيام بالقسط واداء الشهادة على وجهها ، بحيث لا يتاتى فيها ادنى التواء او تحريف او اعراض عنها وكتمانها مهددة المخاطبين على كل ما عسى ان يقع من التقصير في ذلك .

واذا لوحظ سبب نزول الآية الكريمة فسيزداد ذو العقل السليم اعجابا بعدالة الشريعة الاسلامية، ويقر — طوعا او كرها — بانها العدالة الوحيدة التي لا تقيم وزنا لاي اعتبار عنصري ، ولا لاية عداوة دينية مهما ارتقت الى اقصى درجاتها في الاستحكام والشدة، وان الواجب يقضي برفع العدالة فوق كل اعتبار .

فقد ذكر المفسرون عن سبب نزول الآية الانفة الذكر ، ان شخصا — يدعى طعمة بن ابيرق — قد هم قومه بالدفاع عنه بالكذب والشهادة على يهودي شهادة زور باطل ، وانت ترى الآية قد ختمت — كما ذكرنا — بتهديد ترتعد له فرائص المتقين .

وبسبب هذه القضية نفسها ورد في القرءان الكريم ، نهي عن المرافعة والدفاع عمن ثبتت ادانته وتحققت خيانته قال تعالى : « ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفروا الله ان الله كان غفورا رحيما، ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ، هانتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة امن يكون عليهم وكيلا » في حق من يا ترى قرر القرءان الكريم هذه الاحكام ؟

انها في حق قوم يرون ان جميع من سوى جنسهم وكل من ليسوا على ملتهم يباح لهم ماله ، وانه في امكانهم تناول كل ما يملك متى سمحت لهم الظروف وسنحت لهم الفرصة — بدون خوف تبعة ولا توقع حرج — وقد بين القرءان الكريم نفسه سلوكهم ذلك في هذا الميدان بقوله « ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » .

وللشريعة الاسلامية موقف حازم ودقة ملاحظة عند التطبيق واستيفاء حق العدالة حتى لا يتخذ التنفيذ شكلا صوريا او يتخلله تقاعس ، بل يكون التطبيق حقيقيا واقعيا لا هوادة فيه ولا شفقة تعتريه ولا تردد ، وفي هذا المعنى يقول القرءان الكريم في شان القيام بحد من حدود الله « ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المومنين » .

وقد ثبت في كتب السنة الصحيحة ان رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام قد انحى باللائمة على

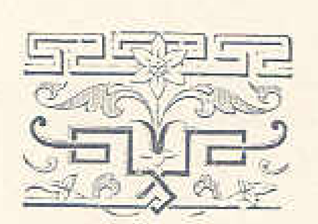
بعض اعيان المسلمين الذين يرومون الانفلات من قبضة العدالة ، والتقصي عن حد من حدود الله ، واقسم بالله ان لو سرقت بنته وفلذة كبده فاطمة لقطع يدها ارضاء للعدالة ، وقد قال عليه السلام فى هذا الصدد على ما رواه الشيخان وغيرهما ، انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، اما نظر الشريعة الاسلامية بالاجلال والتعظيم لمن بر بالعدالة وتوخى رضاها من الحكام ، فقد ورد فى ذلك ءايات كريمة واحاديث نبوية فى الوعد لهم برحمة الله ورضوانه ، كثيرة ، فمن ذلك قوله تعالى « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، ان الله يحب المقسطين » وقوله عليه الصلاة والسلام ، على ما روى مسلم وغيره ، ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمان ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا .

وقد نظر الاسلام بنظر شزر الى المتهاونين بشان العدالة واعد لهم عذابا اليما ، فمن ذلك قوله تعالى : « اما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » ، وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان ، ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة .

ان كل من نظر ودرس عدالة الشريعة الاسلامية يكون مضطرا الى القطع بان المسلمين لو حافظوا عليها كما ينبغي وطبقوها كما يجب ، لكانوا حكام الامم جميعا ، ولصاروا سادة العالم باسره .

كيف لا وهي من وضع الله الذي خلق العوالم فقدرها تقديرا وكان بمصالح عباده خبيرا بصيرا وليس لمحمد بن عبد الله فيها الا تبليغها بكامل الامانة كما امره ربه ، فالبشر مهما ارتقوا الى اعلى الدرجات فى سمو التفكير واوتوا من العلوم اوفر الحظوظ وحاولوا وضع القوانين ، فلن تعدو ان تصلح ــ على فرض صحتها ــ الا لامة خاصة لها طبائع وعادات خاصة وفى مكان وزمان خاصين .

فليت شعري كيف يسمح امرؤ ــ ينتسب للاسلام ــ لنفسه بارتياد عدالة من غير عدالة الاسلام ، او كيف يقال انه مومن بالله وبرسوله وانه حسن النية يريد بامته تقدما ، ويروم لها اصلاحا وهو يرضى بحكم غير حكم القرءان ، او يستمد قانونا من سوى كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد افحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون .



المصارف والبنوك في نظر الإسلام

للأستاذ موساوي زروق

ما حكم الاسلام فى المعاملات المصرفية ؟ ذلك هو السؤال الذي لا يزال المجتمع الاسلامي يعيشه بما فيه من حيرة وقلق نفسي ، ولم يجد لحد الان جوابا من اهل العلم من ائمة المذاهب الاسلامية يكون فيه المخرج من هذا الارتباك الذي نحياه فى معاملاتنا ، صحيح ان هذه الحيرة لم توقف التيار ، ولم تعرقل سير القافلة فاغلب الناس يتعاملون مع البنوك اخذا وايداعا ، وكل المجتمعات الاسلامية تعيش هذا الواقع ، وهو واقع املاه العصر بحيث اصبحت فيه البنوك امرا لا مفر منه الا بتغير النظم الاقتصادية واعتناق مذاهب بعيدة لا تتفق مع ديننا فى بعض مبادئها وفى كثير من اساليبها ، او اقامة دولة اسلامية لها من الاكتفاء الذاتي ما يغنيها عن الاستيراد والتصدير لمن تحتاجه من الامم او يحتاجها وذلك ما لايمكن ...

وليس معنى ذلك انني اصدر حكمي مسبقا بضرورة وجود المصارف والبنوك بشكلها الحالي ونظامها السائد . كلا ، وانما اقصد من كلامي اننا نعيش مشكلة كان من اللازم ان تحل من زمان ، وان يصدر فيها راي قاطع بالتحليل او التحريم من هياة مسؤولة كهياة كبار علماء الازهر ، وكلما نجده فى موضوع البنوك والمصارف مجرد آراء شخصية ، تارة تحلل بشرط ، وتارة تحرم مطلقا ، وحار المتحرجون بين الاباحة والتحريم ... وانا نفسي فى هذه الكلمة لا ازعم انني ساقدم حلا شافيا مخرجا من المازق ، وانما سابدي برايي الذي اومن به ثم ادعو رجال الحل والعقد من علمائنا الى ان يجمعوا على راي يكون فيه الخلاص والاطمئنان ...

أصل البنوك : نظام البنوك ماخوذ من نظام ابتدعه اليهود فى المدن الساحلية التجارية من ايطاليا وفرنسا ، كانوا يعرضون المسكوكات فوق المناضد ليقرضوها بفائدة ، واول بنك عرفه التاريخ هو بنك انكلترا الذي اسس على هياة شركة اهلية تالف من اجل ان تقرض للملك وليم الثالث سنة 1694 مبلغا كبيرا من المال يفوق المليون جنيه لظروف قاهرة وفى مقابل امتيازات وفوائد ، ولا يزال الى الان كذلك .. فالمهمة الاساسية للبنوك هي اقراض المحتاجين بفائدة مئوية تزيد وتنقص حسب قانون العرض والطلب زيادة على تقبل الودائع ، ولكن المشكلة تكمن فى هذه الفوائد التي تؤخذ على القروض او تعطى للمودعين والمتعاملين احلال هي أم حرام ؟ الواقع ان العلماء مختلفون فى ذلك ، فهناك الامام محمد عبده والاستاذ المراغي يجيزون صراحة ان يقترض المحتاج فى العقد الاول بفائدة ولا يحرمون الا الزيادة المضاعفة الفاحشة او الربا المركب عند حلول الاجل وعجز المدين عن الدفع مستندين فى ذلك على ما فهمه الصحابة وخصوصا ابن عباس من الربا المحرم الذي هو ربا الجاهلية المذكور فى الاية الكريمة " لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، وقد سبق لنا ان راينا فى المقال السابق تفسير ابن جرير الطبري للاية ولذلك يصرح محمد عبده والمراغي ويقولان : ولا شيء منها اي من الزيادة المحرمة او المعبرة ربا — فى العقد الاول كان يعطيه المائة بمائة وعشرة او اكثر او اقل ، وبناء على رايهما فى تفسير الربا المحرم تكون المعاملات المصرفية من الربا الجائز لانها غير مضاعفة عند حلول اجل الدين ، واما عند العقد الاول فلا شبهة مطلقا فى التحليل ...

وهناك الاستاذ رشيد رضا الذي اختار للعامة استعمال الحيل الشرعية التي اجازها الشافعي وابو حنيفة واستعملتها تركيا فى عهدها الخليفي للتعامل مع

البنك الزراعي الذي انشأته واسمت التعامل معه مبايعة شرعية ، ومن العجب ان الاستاذ اقرها ووجد فيها المخلص وكان التحايل على الدين يغير من الواقع شيئا ، ذلك ان التعامل مع البنوك وانا اعتقد الحرام واستغفر الله كلما انبني الوازع الديني واحاول الاقلاع افضل واشرف من ان ارتكب حراما محللا بالتلفيق والتحايل على الذي يعلم الظاهر وما اخفي ... واما اهل العلم فالاستاذ رشيد رضا يذكرهم بقاعدة اليسر ودفع الحرج، ويقول من اضطر من اهل العلم والتحري وهم اعرف الناس بالاضطرار اقدم من غير حرج في ربا النسيئة ، ومنه على ما يفهم من كلامه ربا البنوك ولكن هناك من علمائنا من كان صريحا جريئا كالاستاذ شلتوت ، وخلاف ، والابراهيمي ، قالوا باباحة التعامل مع البنوك اباحة مطلقة ، واعتبروا ذلك نوعا من التعامل التجاري لا استغلال فيه ولا تضعيف او ما يشبه التضعيف في الفوائد الماخوذة على القرض ...

ونجد في مقابل هؤلاء موقفا معاكسا من الاستاذ سيد قطب احد اقطاب الاخوان المسلمين الذي يرى ككثير من علماء المسلمين انه لا توجد ضرورة للتعامل مع البنوك ، ولا يجوز الاستقراض منها بفائدة سواء كان القرض للاستهلاك او للانتاج ، وهو اذ يقرر هذا المبدا لا ينسى المضطرين ، بل يرى ان النظام الاسلامي في الدولة الاسلامية يقسم الناس فئتين : فئة محتاجة مضطرة ومن الواجب ان تقرض من غير فائدة ان لم تعط ما تحتاجه صدقة من غير رد ، واما غير المحتاج فلا داعي لان تفتح امامه ابواب الثراء الفاحش على حساب الطبقات المحرومة ، ويبقى امامنا شيء واحد هو ان الغينا البنوك التي تعطي وتاخذ بفائدة فلا يمكن للاقتصاد ان يزدهر نتيجة لقلة استثمار رؤوس الاموال في مؤسسات مصرفية ، وهو يرى ذلك حقا ولكن هناك طريقان لاصحاب رؤوس الاموال لكي يستثمروا مدخراتهم وفائضهم المالي :

الاول ان يعتمدوا على انفسهم في استثمار اموالهم ، والثاني ان يستثمروه في شركات مساهمة تربح اسهمها او تخسر ، وكلا الحلين يقرهما الاسلام ويرغب فيهما ، اما استثمار الاموال في معاملات مصرفية فهو عمل ربوي آثم اساسه غير مشروع لانه اثراء من غير عمل وربح من غير خسارة .

البنوك في وضعها الحالي : والواقع ان البنوك في وضعها ونظامها الحالي لا يقرها الاسلام ولا يحلها الا اضطرارا لانها لا تخدم الا طبقة معينة ، ولا يستفيد منها الا اصحاب الضمانات المادية ومن له ضمان من ملكه يفوق ما ياخذه من البنك ، فهو ليس بمحتاج او مضطر وانما يجد من البنوك سندا قويا ليزداد ثراء وغنى ، ومن هنا كانت البنوك التجارية اداة فعالة لجعل المال دولة بين الاغنياء فقط اما المستضعفون فلا امل لهم ولا معين ...

غير ان هناك البنوك التعاونية والرسمية كبنك الدولة او البنك الزراعي الذي تؤسسه الدولة وهذه مضطرة للتعامل مع الخارج بالربا لكي تؤدي مهمتها وتحقق المصلحة المتوخاة منها ، ثم من الضروري ان يعاد النظر في نظام البنوك جميعا حتى تصبح عاملا مساعدا في جميع الطبقات ، اما ان تبقى مقصورة على الموسرين فذلك مايتنافى مع العدالة الاجتماعية وروح الاسلام . وذلك ان يعاد تحديد الصفة اللازمة للمتتفع منها وندخل فيها عناصر جديدة كحسن الخلق ، ووجود الاستعداد فنيا ، وتحقق الاحتياج ، ولو فعلنا ذلك لساهمنا في رقي الشعب خلقيا وماديا وانقذنا كثيرا من ابناء شعبنا الذين لا ينقصهم في الحياة الا راس المال الذي استاثر به ارباب الملايين واصحاب الضمانات .

وبعد فهناك طرفان في قضية البنوك : الدولة والشعب ، اما الدولة فهي مضطرة للتعامل مع الدول المرابية ولذلك لا مانع مطلقا من ان تستقرض وتقرض بفائدة للطبقات التي تستحق ، وهناك الشعب هذا الشعب الذي حرم الله الربا من اجل حمايته والدفاع عن مصالحه والحيلولة دون استغلال ضعفه والعمل على انقاذه من سيطرة اصحاب الاموال يجوز له كلما دعته الحاجة والزمته الظروف ان يتعامل مع البنوك وان يستقرض منها بفائدة الى ان يتحقق الامل الذي يراود المصلحين وتؤمن به الرسالات وتدعو له الديانات وذلك بوجود بنوك ومصارف لا تستعمل من اجل الربح ولكن من اجل الشعب ولصالح الشعب وعندئذ تقل الفروق بين الطبقات وينعدم الاثراء من غير عمل ويصبح المجتمع في امن من ان تستغل فاقته ويشعر الناس جميعا حاكمين ومحكومين اغنياء ومعوزين بالاخوة والمحبة وتعيش الامة في تعاون مثمر وسعادة شاملة ذلك ما نرجو ان يتحقق وعسى ان يكون قريبا .

الربــاط ــ موساوي زروق

أبحاث ومقالات

مناهج الأندلسيين في دراسة النحو



كان لاقبال الاندلسيين على الاسلام اثر كبير في انتشار اللغة العربية حتى بين المسيحيين الذين كانوا يرون فيها لغة الدولة والحضارة ، وقد ساعد على ذلك اول الامر كثرة الوفود العربية التي كانت تهاجر من المشرق والتى كان اغلب اعضائها من رجال الدولة والجيش ، ليس لهم من غاية غير ارساء قواعد الحكم العربي وحمايته من الثورات والنزاعات التى كانت تنشب حتى بين العرب انفسهم ، ومع ذلك فقد كان لهم دور خطير فى نشر اللغة بين السكان ، خاصة وقد رافقهم بعض الصحابة والتابعين الذين كانوا الى جانب مهمتهم الاولى وهي الافتاء فيما يعرض للفاتحين من مشاكل تتصل بالغنائم والضرائب ، يعملون على تعليم الناس وتفقيههم فى امور الدين الجديد وافهامهم كتاب الله وسنة رسول الله ، فلم يلبث الاندلسيون وقد تغلغل الاسلام في قلوبهم ، ان اتقنوا لغته واخذوا يستعملونها الى جانب لهجتهم العربية العامية واللغة الرومانية اللاتينية التى هي لغة السكان الاصليين .

ثم كان ان استقرت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى ظل الامويين ، فكثرت وفودهم على الجزيرة الجديدة ، لاسباب ربما كان اهمها الفرار من العباسيين ، وكان لاغلبهم علم واسع بالثقافة الاسلامية وخاصة ما يتعلق منها باللغة والدين فانشاوا مساجد كانت بمثابة المدارس والجامعات ، اهمها مسجد قرطبة الشهير الذي لعب دورا علميا خطيرا ليس فحسب بالنسبة للاندلس والاقطار العربية المجاورة ، وانما كذلك بالنسبة للبلاد الاروبية التي لم تكن قد عرفت بعد هذا اللون من التعليم .

ولعل الكتاب والسنة كانا مدارى الدراسة في ظل هذه العملية الاولى ،فهم يقراون القرآن ويحفظونه ويحاولون تفسيره والنظر فى قراءاته ، وهم يهتمون بالحديث ويروونه ويشرحونه موفقين بينه وبين نص الكتاب فى استنباط الاحكام ، ثم هم من خلال هذا او ذاك يلجاون الى الشعر العربي واخبار الادب ربما لمجرد الاستشهاد على صحة قراءة او رواية ، وزاد فى اثناء هذه النهضة الثقافية عودة البعثات الاندلسية الاولى التي كانت تتعلم فى الشرق ، والتي تتلمذ اعضاؤها علي كثير من اعلام اللغة والدين فى العراق والحجاز اوفى مصر والشام ، فجودي بن عثمان النحوي المتوفي سنة 198 هـ قابل الكسائي والفراء وبعض اصحابهما ، وهو اول من ادخل كتاب ابن الحسن ، والغازي بن قيس المتوفي سنة 199 هـ لقي الاصمعي والامام مالك ، وكان يحفظ موطاه ، وهو اول من حمله الى الاندلس ، كما ادرك نافع بن ابي نعيم وقرا عليه ، وصحح مصحفه ثلاث عشرة مرة ※ وهو اول من ادخل قراءته ، والافشنيق المتوفي سنة 307 هـ لقي ابا جعفر النحاس وروى عنه كتاب سيبويه ، ثم روي عنه بعد ذلك وقرا عليه ، وكان يعقد للمناظرة فيه مجلسا كل جمعة ، وذكر الزبيدي انه (لم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم حتى ورد محمد بن يحيي عليهم

※ كما عند الزبيدي لدى ترجمته

وذلك ان المؤدبين انما كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني اليهم في ذلك ، ولم يأخذوا انفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال بمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا ابنية ، ولا يجيبون في شيء منها حتى نهج لهم سبيل النظر واعلمهم بما عليه اهل هذا الشأن في المشرق من استقصاء الفن بوجوهه واستيفائه على حدوده ✻) .

وهنا لا نغفل الاشارة الى ظاهرة كان لها أثرها في منهج الاندلسيين العلمي الا وهي اخذهم بمذهب مالك ونبذهم لمذهب الاوزاعي الذي كان عليه اقليم الشام ، والذي ساعد على انتشاره اول الامر ان كان اغلب الوافدين على الاندلس من اهله ، وبالرغم عما قيل من ان السبب في هذا التحول راجع الى النقص الذى كان يحسه الاندلسيون تجاه المشارقة والى الرغبة في مخالفتهم ، فان السبب الحقيقي يكمن وراء العلماء الذين درسوا مذهب مالك بالشرق ، وسعيهم الحثيث في نشره بعد ان عادوا الى بلادهم ، ثم الى طبيعة المذهب نفسه ، فهو مذهب لا يعتمد على المنطق والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل ، وهذا يوافق مزاجهم الذي ينفر من الفلسفة والتفريع ويتمسك بالاثر والرواية ، فهم كما قال المقدسي في احسن التقاسيم : (لا يعرفون الا كتاب الله وموطا مالك فان ظهروا على حنفي او شافعي نفوه وان عثروا على معتزلي ربما قتلوه) .

ولعل انشاء اول مدرسة للعلوم اللسانية كان بعد وفود القالي الى الاندلس سنة 340 هـ حيث اخذ يقرىء اماليه محاولا بواسطة نصوصها الادبية تعليم اللغة والنحو ، وليس ابو علي بدعا في هذه الطريقة فمثله فعل المبرد في كامله والمرتضى في اماليه .

ولم يكتف القالي بتطبيق قواعد النحو على اماليه ، بل زاد على ذلك فألف رسالة عن « المقصور والممدود » واخرى عن الافعال عنوانها « فعلت وافعلت » ، وفي هذه الفترة نجد عالما اندلسيا آخر كان له باع في كثير من فروع الثقافة هو ابو بكر محمد بن القوطية المتوفي سنة 367 هـ ، يسير على نفس النهج في مبحث الافعال فيؤلف « المقصور والممدود » و « تصاريف الافعال في اللغة » وهي كتب روى اغلبها ابن القطاع وكانت له بمثابة المعلم في هذا الباب افاد منها كثيرا في تآليفه .

والحقيقة اننا في هذه الفترة من تاريخ الاندلس العلمي لا نستطيع ان نتبين معالم بارزة لدراسة النحو بالرغم من ميل الاندلسيين الواضح الى منهج السماع وتتبع القراءات ، فهم لا زالوا عالة على المشارقة يهتمون بمصنفاتهم ايما اهتمام ، يدرسونها لطلابهم ويشرحونها في كتب لم يصل الينا منها غير القليل ، وربما ان حاولوا التاليف صاروا على مناهجها في كثير من التقدير والاعجاب ، فابو الحجاج يوسف بن عيسى المتوفي سنة 475 هـ يشرح كتاب سيبويه . وعبد الله بن محمد البطليوسي المتوفي سنة 521 هـ يضع شرحا لجمل الزجاجي تحت عنوان « الحلل في شرح ابيات الجمل » كما يضع نقدا لها يسميه « اصلاح الخلل الواقع في الجمل » الى جانب تاليف له هو كتاب « المسائل المنثورة في النحو » ✻ ، وابن سيدة الضرير المتوفي سنة 458 هـ يؤلف في النحو

كتاب « العالم والمتعلم » ويشرح كتاب الاخفش (ويغلب ان الاخفش هو علي بن فضل الذي توفي في بغداد سنة 314 ✻ هـ) ولا نريد ان نترك هذه الفترة دون ان نشير الى ابي بكر الزبيدي صاحب الطبقات المتوفى سنة 379 هـ فقد الف كثيرا من الكتب المهمة في النحو منها (الواضح في النحو) و (ابنية الاسماء) و (لحن العوام) ، والزبيدي وان لم يسر على منهج الشروح في تاليفه النحوي فقد سار عليه في تاليفه اللغوي بوضعه مختصرا لكتاب « العين » .

ومع ذلك فقد ظل الاندلسيون يشرحون مصنفات المشارقة حتى بعد هذه الفترة حيث نجد ابن خروف الاشبيلي المتوفى سنة 602 هـ يشرح كتاب سيبويه وجمل الزجاجي ، واذن فالنحاة الى

✻ الطبقات ص 335 .

✻ ذكره السيوطي في البغية لدى ترجمته

✻ هكذا يقول المستشرق بالنثيا في « تاريخ الفكر الاندلسي » ص 185

هذه الفترة لم تتضح بعد معالم دراستهم ولو حتى فى التحيز الى مدارس الشرق فهم يدرسون الكسائي الكوفي ، وسيبويه البصري ، ويشرحون كتبهما فى غير تعصب لهذا او ذاك .

ولكننا لا نصل الى القرن السادس والى عصر الموحدين حتى تقابل ثورة عارمة ضد الشرق تدعو الى نبذ مذاهب الفقه بما فيها مذهب مالك ، والى الاخذ بظاهر الكتاب والسنة ، وقد حمل لواء هذه الثورة الظاهرية الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف الذي (امر باحراق كتب المذاهب بعد ان يجرد ما فيها من حديث رسول الله والقرآن) (※) قصده من ذلك (محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث)

والحقيقة ان الموحدين كانوا يسعون الى اخضاع العالم الاسلامي لسيطرتهم ، خاصة وانهم لم يكونوا راضين عن سلوك العباسيين والفاطميين فى الشرق ، فتسموا بالخلفاء وجعلوا من مراكش عاصمة تضاهي مدينة السلام ، ووصلوا فى فتوحاتهم الى حدود مصر ، والدعوة فى واقعها ثورة على المشرق تحاول فى عنف رد بضاعته اليه ، سواء فى الفقه او فى غيره من فروع الثقافة ، وكان رافع لواء هذه النزعة فى النحو قاضي القضاة ابو العباس احمد بن مضاء القرطبي المتوفى سنة 592 هـ ، فقد الف « المشرق فى النحو » و « تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان » ، وبالرغم من ان الكتابين لم يصلا الينا فقد رجح الدكتور شوقي ضيف (※) انهما ضد النحو المشرقي الفهما ابن مضاء معارضة لعلماء المشرق وآرائهم فى النحو ، اما الكتاب الذي وصلنا والذي تظهر لنا من اولى صفحاته حملة ابن مضاء على النحاة المشارقة فهو « كتاب الرد على النحاة » الذي دعا فيه الى الاخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة ، معتمدا على اربعة آراء

اولا : الغاء نظرية العامل لفظيا كان او معنويا ، وذلك مثل ادعاء النحاة من « ان النصب والخفض والجزم لايكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع فيها يكون بعامل لفظي ومعنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم فى قولنا : ضرب زيد عمرا ، ان الرفع الذي فى زيد والنصب الذي فى عمر انما احدثه ضرب (※) وهو فى هذا يهاجم البصريين الذين يذهبون الى ان الفاعل مرفوع بالفعل ، والخبر بالمبتدا ، وهذا بالابتداء ، وفى رايه (ا ن العمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره) ، وفى استدلاله على فساد هذه النظرية يشير الى العوامل التي يحذفها النحاة ويقدرونها ليبين فساد تاويلاتهم وبطلان تقديراتهم خاصة بالنسبة للقرآن ، كما يشير الى الضمائر المستترة وفساد تقديرات النحاة فيها ، والى ضمائر التثنية والجمع فيرى انها ليست ضمائر كما يزعم النحاة ، وانما هي علاقات تدل على التثنية والجمع كما تدل التاء الساكنة على التانيث ، ثم يعقد ابن مضاء فصلين عن التنازع والاشتغال ليبين (ماتجره نظرية العامل من رفض بعض اساليب العرب يضع النحاة مكانها اساليب لاتعرفها العربية) (※) ولم ينس فى ختام حديثه عن الغاء العامل ان يتعرض لفاء السببية وواو المعية وما يذهب النحاة اليه من ان الفعل المضارع بعدهما منصوب بان محذوفة ، غايته اظهار فساد نظرية العامل وتقديراتها الغامضة .

ثانيا : الغاء العلل الثواني والثوالث ، وان كان يعترف بضرورة الابقاء على العلل الاولى ، ومن الامثلة على ذلك فى الفاعل ما يسوقه النحاة من ان كل فاعل مرفوع ، وهي علة اولى وضرورية ولكنهم غالوا فى التعليل ، فقالوا ان الفاعل رفع للتمييز بينه وبين المفعول به ، وزادوا علة اخرى فقالوا ان الفاعل رفع لقلته والمفعول نصب لكثرته ، وما دام الرفع ثقيلا والنصب خفيفا فللقليل الثقيل وللكثير الخفيف.

(※) المعجب ص 157 .

(※) فى مقدمته لكتاب « الرد على النحاة » لابن مضاء ص 12 .

(※) كتاب الرد على النحاة ص 58 .

※ نفس المصدر .

※ كتاب الرد على النحاة ص 27 .

ومع ذلك فابن مضاء لا يرفض العلل الثواني عامة وانما يجيز بعضها كالحال في التقاء الساكنين حين يحرك الاول ، فان قيل : لم حرك ؟ اجيب بانه لقي ساكنا وكل ساكنين التقيا فان احدهما يحرك وهي علة اولى ، وان قيل : لم لم يتركا ساكنين ؟ رد بان النطق بهما ساكنين لا يمكن الناطق وهي علة ثانية ولكن ابن مضاء يراها ضرورية .

ثالثا : الغاء القياس كقولهم بان الفعل المضارع اعرب لشبهه او قياسه على الاسم ، وكان الاسم اصل في الاعراب والفعل فرع له ، وهو لا يرى مانعا من ان يكون الاعراب اصلا فيهما جميعا بدلا من الاغراق في الشرح والتخمين في التعليلات ، ولذلك لوجود علة الاعراب في الفعل كما توجد في الاسم وهي الاحوال المختلفة التي يتعرضان لها من نفي واثبات واستفهام وغير ذلك .

رابعا : الغاء التمارين غير العملية او الواقعية والتي لم ترد في كلام العرب كقولهم (ابن من البيع مثال فعل فيقول قائل : بوع اصله بيع فيبدل من الياء واوا لانضمام ما قبلها لان النطق بها ثقيل ※) .

واول ما يلفت نظرنا في آراء ابن مضاء وضوح النزعة الظاهرية التي سادت عصره والتي كان ممثلا صادقا لها ، فهو حين يتحدث عن العوامل التي يحذفها النحاة ويقدرونها ينبه الى فساد تاويلاتهم خاصة بالنسبة للقرآن ، وهذا من باب الظاهرية التي لا تقول بغير النص ولا تحيد عن حرفيته ، ثم هو حين يدعو الى الغاء القياس والعلل الثواني والثوالث يبدو متأثرا ابلغ التاثير بنزعتها التي تنفي التعليل وترفض القياس والقياس كما هو معروف يدخل في باب العلل لانه يقوم على اساسها .

اما الملاحظة الثانية فهي ان ابن مضاء وجه حملة نحو نحاة البصرة خاصة ، ربما لانهم كانوا اكثر ميلا للتقنين والتنظيم على اساس من التعليل ، وربما كذلك لان النحو البصري كان اكثر شيوعا وانتشارا .

اما الشيء الذي يسترعي النظر في محاولة ابن مضاء فهي انه قرا كتاب سيبويه وانتصار ابن ولاد وغيرهما من كتب النحو التي كانت سائدة في عصره مع الشروح المتعددة لها ونقل منها بعض النصوص في كثير من مواضع كتابه ، اكثر من هذا انه يذكر ابن جني وينقل من خصائصه في صفحات عدة معتمدا عليه في غير قليل من الاراء التي اوردها كرجوعه اليه في فكرة تزييف العامل واستناده اليه في تبرير معارضته اجماع النحاة على العامل .

ولكن احدا لم يستجب لدعوة ابن مضاء سواء في المغرب او المشرق ربما لهدفها الهدام ، وطويت صفحاتها بعد عصره وبقي النحاة في الاندلس ، امثال ابي علي الشلوبيني صاحب « التوطئة » المتوفي سنة 561 هـ ، يسيرون غير مستقرين على منهج محدود الى ان كان القرن السابع وظهر عالم لعله اوسع نحاة العرب شهرة ، هو جمال الدين محمد بن مالك المتوفي سنة 672 هـ الذي سار على منهج السماع والاحتجاج بالقراءات وروايات الحديث ، لا يجد آية او خبرا حتى يستشهد بهما على حكم ربما خالفه النحاة فيه ، ولا غرابة في هذا فقد كانت له عناية فائقة في الحديث لدرجة اسند اليه امر تصحيح رواية البخاري ، كما كان اماما في القراءات بشهادة ابن الجزري الذي ذكر في طبقاته لدى ترجمته انه حين ذهب الى دمشق ، نزل بالعادلية الكبرى وولي مشيختها الكبرى وكان من شروطها القراءات كما ذكر ان له فيها منظومتين ، وتظهر عنايته بالحديث والقراءات في كثير من الاحكام التي ذهب اليها معتمدا على خبر او رواية كاجازته الاتيان في فعل مسند الى الظاهر بعلامة تدل على التثنية او الجمع مستشهدا على ذلك بحديث (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وكزعمه انه يصح الفصل بين المضاف والمضاف اليه بما نصبه المضاف كالمفعول محتجا بذلك بقوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم) في قراءة ابن عامر ، ولكنه في اغلب احكامه يساير البصريين او الكوفيين وقد يخالف بعضهم او يخالفهم جميعا .

وقد الف ابن مالك مصنفات عدة منظومة ومنثورة لا زال يتناقلها الطلاب والدارسون الى اليوم منها « التسهيل » و « المقصور والممدود » و « الفوائد في النحو » وهو الذي لخص منه التسهيل

※ كتاب الرد على النحاة ص 161 .

كما اشار الى ذلك السيوطي في البغية ، ومنها « الكافية » ثم « الالفية » التي اختصر فيها الكافية والتي ظلت على مر العصور مدار دراسة النحاة يضعون لها الحواشي والشروح ربما لما فيها من تنظيم للقواعد وتنسيق في الاحكام .

ولا نريد ان نذكر ابن مالك دون ان نشير الى معاصره « شيخ النحاة » ابو حيان الجياني الذي غادر الاندلس الى بلاد الشرق * حيث قابل ابن النحاس في القاهرة واخذ عنه وخلفه في استاذية النحو، وذكر السيوطي في البغية لدى ترجمته انه التزم الا يقرىء احدا الا في كتاب سيبويه او التسهيل او مصنفاته ، وبلغ من انتصاره لامامه البصري ان وقعت بينه وبين ابن تيمية مسالة نقل فيها ابو حيان شيئا عن سيبويه ، فقال ابن تيمية : لقد اخطا سيبويه في ثلاثين موضعا من كتابه ، فاعرض عنه ابو حيان واخذ يرميه بكل سوء وكان من قبل يعظمه .

وذكر السيوطي كذلك انه هو الذي جر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غوامضها ، ومن مؤلفاته « التنخيل في شرح التسهيل » و « الاسفار » شرح فيه سيبويه ، و « التجريد لاحكام كتاب سيبويه و « المبدع في التصريف » و « غاية الاحسان في النحو » و « اللمحة الشذرة » و « عقد اللآلي في القراءات » و « نحاة الاندلس » و « نهاية الاعراب في التصريف والاعراب» و « شرح الشذا في مسالة كذا » وقد ذكر لي استاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف انه يقع في حوالي ثمانية مجلدات مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وانه يعتبر الاصل الذي رجع اليه السيوطي في « جمع الهوامع » بل يرى ان كتاب السيوطي هو تلخيص لكتاب ابي حيان ، هذا الى جانب تفسيره المحيط وكتب كثيرة الفها في نحو الفارسية والتركية ، واغلب الظن انه لم يصل الينا من هذه الكتب غير تفسيره الذي تبدو فيه عناية واضحة بالتوجيهات والمسائل النحوية.

ولن ننتظر كثيرا بعد ابي حيان لنرى الوطن الاندلسي يسلب من اهله ويستولي النصارى عليه ، فيغادره كثير من رجال العلم ، وكان فيهم غير قليل من النحاة ، ليستقروا في المغرب الاقصى ويقيموا فيه نهضة علمية اصبح بفضلها ولا زال مركزا من اهم مراكز دراسة النحو ، وليس معنى هذا ان المغرب لم ينجب نحاة من قبل اذ يكفي ان نذكر ابا موسى الجزولي المتوفى سنة 607 هـ صاحب المقدمة المشهورة باسمه والتي الفها املاء على جمل الزجاجي والتي كانت لاهميتها مدار عناية العلماء الذين وضعوا لها الشروح العديدة ، ونذكر محمد بن هشام المتوفي سنة 570 هـ صاحب كتاب « الفصول والجمل في شرح ابيات الجمل » و « شرح فصيح ثعلب » ، او نذكر محمد بن آجروم الصنهاجي المتوفي 723 هـ صاحب المقدمة المشهورة باسمه ، لتظهر لنا مكانة المغرب المرموقة في علم النحو العربي قبل سقوط غرناطة ووفود علماء الاندلس اليه .

وبعد ، فهذه مناهج الدراسة النحوية عند علماء الاندلس حاولت في هذه الصفحات القليلة ان ابرز معالمها بالرغم من الصعوبات التي تعترض الباحث في هذا الموضوع والتي ترجع في اغلبها الى قلة المصادر ، ولعلنا لا نستطيع ان نقول ان هناك مدرسة اندلسية في النحو تقف الى جانب مدرسة الكوفة والبصرة وان كان الاندلسيون قد اصطنعوا السماع والنقل والاثر معتمدين على القراءات مبتعدين عن القياس ، فهم كوفيون تارة وبصريون تارة اخرى وهم بين هذا وذاك مرات كثيرة .

وربما كان الاندلسيون بحكم اعجمية بلادهم اكثر حاجة الى دراسة نحوية حرة تصنع قواعد قياسية لتنظيم اللغة وتقنينها ولو على حساب بعض الشواذ ، ولكنهم ساروا حسبما كان يمليه عليهم مزاجهم الذي كان ميالا الى الاخذ حتى بالشواذ في غير كثير من حرية التصرف ، وما احوج لغة واسعة كاللغة العربية الى مثل هذه الحرية لتنظيمها وحصر قواعدها وتصفيتها من الشوائب وحمايتها من الاضطرابات خاصة في بيئة اعجمية كالاندلس .

باريس — عباس الجراري

---

* وكان ذلك سنة 678 .

التكاملية في الأدب

للاستاذ: عبد القادر السحيمي

الادب ليس الا التعبير عن طبيعة الاشياء في صورها الحالمة ، او التعبير عن الحقيقة كلها ! .. وانه لذلك ، وبصفته كائنا حيا يتجاوب وطبيعة النمو ، ونموه يتمثل ويتم دائما عن طريق تعدد ، وتجدد صور المرئيات البصرية ، والمدركات المعنوية . وانه لذلك ايضا تعد عملية استقبال الصور البصرية ، في مناحيها المختلفة ، بمثابة عناصر الغذاء الضرورية لنمو الكائن الادبي ، واستمرار نضارة الحياة فيه ..

والادب بهذه الصفة الحيائية الانطلاقية يخضع بالضرورة لشتى حركات التجديد والتطور الثانوية في روح الحضارة . وعلى هذا الاعتبار ، اذا ما نحن قارنا مثلا صورة لبيئة فطرية ساذجة ، مقوماتها الحسية حمار مربوط الى جذع نخلة ، وكوخ قائم من القش ، وكلب هزيل ينبح وشياه تجتر ، وراع يترنم بنايه المثقب ، وثلاثة احجار فوقها قدر كابية ، وشاعر محدود الثقافة يستوحي فنه البسيط من جو هذه البيئة الجدباء ، ويختلق حبه وحبيبته ، واحلامه الجنسية المكبوتة من احلام الخيال . وله ذوق خاص في الجمال ، فعيون حبيبته واسعة كعيون البقرة الوحشية ، وطولها كالنخلة ، وبطنها منبعج « كالزبلين » لدرجة ان شاعرا وصف امراته بأنها تدخل البيت اليوم وعاجزتها في الغد !..

شاعر بيئة كهذه ، لا يمكن ان تقارن انتاجه الادبي بشاعر ، او كاتب يعيش في جو حضارة القرن العشرين ، ويطوي صدره على جانب خصب من الثقافة الانسانية ، ويشهد الكلب ، ولكنه في هذه المرة ليس مربوطا الى جذع نخلة ، وانما هو يقود قمرا صناعيا يطوى به ابعاد الارض في لمح البصر ! .. وهو كذلك يشهد معجزات الراديو ، والتليفزيون ، والرادار ، وارسال الصور المطبوعة بالبرق الى الصحف العالمية في كل مكان من العالم في بعض لحظات .. وكذلك الاكتشافات الفيزيائية الذرية ، والالات الالكترونيكية ، ويشهد مسرحيات شكسبير ، ودوستويفسكي والبير كامو ، والروايات السينمائية بالالوان الطبيعية بآلة « سكوب » او « السينيراما » وعرض الباليه في الاوبرا ، وكنوز لوحات الفن الخالدة في متحف « اللوفر » وروما، ويشبع حاجاته الجنسية، ويركب عربة شبروليت الفخمة ، ويتناول فطوره في « بكين » وغداءه في « السويد » وعشاءه في « باريس » ويعيش الحياة في عمق ، في عالم مسحور، بالدهشة والافتتان !..

على هذا الاعتبار ، اذا ما نحن اردنا اليوم ان نقارن بين صورة متكاملة من صور الادب الحديث بجميع خصائصه الفنية ، بمعطياته الوجودية ، بمضامينه واشكاله ، وبفلسفته الهادفة المعاشة والملتزمة ، او غير الملتزمة . وبين صورة من الادب الجاهلي العربي ، وغير العربي في ابعادها التاريخية فان التفاوت سيكون كبيرا .. ومع ذلك كله ، فان هنالك بعض الادب يعطينا الحقيقة الانسانية كليا مهما بعد به الزمن وانبعث من قلب الصحراء الملتهبة ! ..

كيف نستقبل النص الادبي ؟

لقد مر النص الادبي بمراحل تطورية . فقبل ظهور الكتابة سواء على الحجر ، او الجلد والاوراق ، كان الانسان يستقبل الكلمات عن طريق حاسة السمع فقط بالرواية والحفظ ، ومع ظهور الكتابة التي دون بها افكاره على الورق ، بدا الانسان يستقبل النص الادبي عن طريق حاسة السمع والبصر ايضا ..

وبتقدم المعارف والحضارة الانسانية اكتسب النص الادبي قيما جمالية هي من طبيعة الخلق الفني ، كانت في حقيقة الواقع منفصلة ، وخارجة عن طبيعته الاصلية ، ولكنه اكتسبها عندما ظهر المسرح ، والسينما والاذاعة .

اولا – المؤثرات الصوتية المستمدة من حيوية الطبيعة كجمجرة العاصفة ، وا نهمار المطر ، ونباح الكلاب ، وخوار البقر ، وشذو الطيور ، او المستمدة من واقع الحياة المعاشة الصادرة عن الافعال والانفعالات الانسانية ، كعملية تمزيق الاوراق ، والثياب ، ودفع الباب في عنف .. فهذه الحركة المثيرة مقصودة لذاتها في تشخيص طبيعة الشخصية في النص الادبي سواء في المسرح ، او السينما او الاذاعة .. فهذا السلوك يعبر عن ثورة مكبوتة في النفس ، او على عذاب الضمير ، او القلق ، والضجر .. هذه المؤثرات على اختلاف فعلها ووقعها على النفس ، وقدرة ايحائها ، مقصودة لذاتها عند المخرج في لقطة يقتضيها موقف من مواقف الحركة الدرامية ، وغير الدرامية . فهذا السلوك يعبر عن طبيعة عدم المبالاة او الثورة النفسية ، او القساوة ، وغير ذلك من شتى ردود الفعل ، والانفعالات ..

فوقع الاقدام جيئة وذهابا يدل على القلق ، كذلك ضرب وسط الكف اليسرى بقبضة اليمنى ..

فالنص الادبي الذي يقدمه المسرح او الاذاعة او السينما ، ليس هو ذلك النص المكتوب بحروف سوداء على الورق ، بل هو شيء اخر يختلف كل الاختلاف ، انه « مخلوق اجتماعي » ينبض بحرارة الحياة ، وخصائص الاحياء !..

ثانيا – مادة الالوان ، والصور ، التي تشكل عنصرا حيويا من عناصر الجمال والاثارة ، وخلق الاجواء من مناظر واضواء وظلال على نحو يتوافق ومواقف المسرحية ، وروح موضوعها . كما ان عنصر الصور الملونة يكون اليوم قيمة جمالية في فن الطباعة الحديثة في عالم الكتب والمجلات . فالصورة المعبرة اصبحت اليوم تكمل الفكرة المكتوبة بل انها اصبحت من عوامل رواج الكتب . وهناك صور معبرة تغني عن فكرة حية مكتوبة ! ..

ثالثا – الطبيعة الاتساقية ، واعني بها الموسيقى التصويرية ، فانه حين يعجز فن القول بوسائله ، واداته اللفظية عن التعبير عن موقف من مواقف الطبيعة الانسانية في مآسيها وافراحها ، حيث لا يكون هناك مايقال ، وان قيل ، فلا يكون له موضع للنفاذ والتاثير ، عندئذ فقط تقوم الموسيقى التعبيرية بهذا الدور على ابلغ وجه وافضله ، واروعه واعمقه واصدقه ..

رابعا – طبيعة الالقاء ، باصوله الصوتية التاثيرية ، وقيمة الفنية الجمالية . وقد اصبح يمثل مدارس ، واتجاهات في عالم المسرح ، وعملية الالقاء تتمشى مع ما يلائم مختلف المواقف وطبيعة الشخصيات فضلا عما يضفيه فن الالقاء على النص الادبي من قيمة جمالية ترفع من درجته .

وقد اهتدى عميد الادب الدكتور طه حسين الى هذه الحقيقة فقدر ما للالقاء من اثر ، ووقع على النفس ، بصرف النظر عن قيمة النص الادبي ، من الوجهة الفنية والجمالية . فقد كان الشاعر حافظ ابراهيم يجيد القاء الشعر وكان بذلك يؤثر على نفسية الدكتور طه حسين فينصرف عن نقد شعره ، وقد كان من شأنه ان يتناول بالنقد شعر حافظ وشوقي ، في جريدة السياسة . ويذكر الدكتور طه حسين ، انه عندما كان يرجع الى البيت وبعيد قراءة قصيدة حافظ ، مجردة من العوامل التاثيرية كان يجد بها عيوبا تعرضها للنقد ، والتقويم ، لذلك حرم على نفسه ان يستمع الى الشاعر حافظ ، حتى لا يقع مرة اخرى تحت تاثير العوامل الخارجة عن طبيعة النص الادبي !

وهكذا الامر في المسرحية الشعرية ، فقراءتك لها في الكتاب ، تختلف عن سماعك ومشاهدتك لها على خشبة المسرح ، وقد اضفى عليها الجو المسرحي عناصر جمالية متعددة ذكرنا منها اربعة .

ورغم ان المسرحية الشعرية لم تعد تحظى باقبال جمهور المشاهدين بعد ان انتهت فترة ازدهار المسرحية الشعرية بانقضاء عصر شوقي ، فان شاعرا اخر تقبلته الحياة بعد شوقي ، عز عليه ان تموت المسرحية الشعرية ، فأخذ يغذي المسرح المصري بالمسرحيات الشعرية التاريخية على نحو ما كان يفعل شوقي . هذا الشاعر هو الاستاذ عزيز اباظة وقد اختلف النقاد في قيمة هذا الانتاج ، واشتد الجدل والخلاف حينما فوجيء القراء بالشاعر العزيز يقدم اليهم مسرحية شعرية تمثل واقع الحياة اليومية

الحديثة وتعالج المشاكل الاجتماعية المعاشة . وهكذا ارتفعت اصوات النقد من جديد ، حول مقدرة الشعر بقيوده الرصينة على تصوير الحياة الواقعية الحديثة ، وهل فى مقدور الشعر ان يجاري طبيعة المسرحية النثرية ، بما وصلت اليه من شيوع ومرونة ، ويسر ، وطواعية فى الاداء ، والتعبير عن شتى الحالات النفسية الانفعالية . ومهما يكن من شأن هذا الخلاف ، فالذي يعنينا نحوه ، هو ان قراءة مسرحية العزيز ، وهي مطبوعة فى كتاب ، تختلف قيمتها الادبية باختلاف وسائل الاداء والعناصر التأثيرية والقيم الجمالية التي تتوفر على خشبة المسرح او الاذاعة ، فهناك فرق بين الوضعين لان المؤثرات الصوتية ، والالقاء باصوله الفنية ، والغناء ، والالوان والمناظر ، والاضواء والظلال والحركات والانفعالات كل ذلك من شأنه ان يخلق النص الادبي خلقا جديدا !. والامر كذلك بالنسبة الى الاذاعة ، فقراءة القصة او الشعر عن طريق الاذاعة تصاحبها اليوم موسيقى تعبيرية ، الى جانب عنصر الالقاء الفنى والمؤثرات الصوتية .

وأما النص الادبي فى الرواية السينمائية ، فانه يختلف اختلافا بينا عن طبيعة النص الادبي فى الكتاب او الاذاعة ، لان السينما بامكانيتها المادية الضخمة ، ومجالها الواسع فى الحياة والابعاد الزمانية والمكانية التي تشغلها ، تجعل اداءها يتسم بطابع خاص ، يتمشى وطبيعة الحياة ! .. فالزمن فى الرواية السينمائية يطوى فى ساعتين ، وان كان يشمل حياة الابطال ، وهم فى سن الطفولة ، وينتهي وهم شيوخ فى بعض الاحيان ، ولهذا فان للسينما طبيعتها فى اخراج النص الادبي ليشهد الحياة . فالمخرج لو اراد ان يصف لنا طبيعة الشخصية الروائية ، ولتكن طبيعة هذه الشخصية مثلا شاذة ، متصفة بالقساوة ، وعدم المبالاة فى هذه الحالة ، لا يلجأ المخرج الى عملية الراوي القاصي ، وهو الوصف فيقول مثلا عن هذه الشخصية انها قاسية القلب تتعدى بالضرب المؤلم على الصغار الابرياء ، ولا يسلم من اذاها الحيوان الضعيف الوديع، ولكن المخرج لكي يشعرنا بطبيعة الشخصية ذات المزاج الحاد ، يلجأ الى لقطات صامتة ، تشعرك فى الحال بطبيعة الشخصية ، كأن يظهر هذا الشخص ، وهو يدوس بقدمه تعمدا على ذنب قطة او يجذب فى عنف عش طير ، فيهوى على الارض ، بما فيه من افراخ صغار ، لا تزال ترتعش لحداثة ولادتها . فالوصف هنا بالكلمات لا يكون له موضع للنفاذ فى بعض الاحيان، لان هناك مواقف انسانية يعجز فن القول عن التعبير عنها .. هنا فقط تقوم « الكمرا » او الموسيقى التعبيرية ، او المناظر باضوائها وظلالها بعملها التأثيري المطلوب . ولتوضيح هذه النظرية نعرض لثلاثة امثلة حية تصور لنا مدى تأثير بعض العناصر من القيم الفنية والجمالية على طبيعة النص الادبي الصامتة ، وكيف ان الكلمة تفقد تأثيرها فى بعض المواقف الانسانية وفى مئاسيها وافراحها ، وضعفها وانتصاراتها وصراعها ، حتى يمكن القول بوجاهة احدى نظريات علم الجمال القائلة ، بانه « ليس هناك شيء جميل فى ذاته ، وانما هو جميل فى المجموع » ! .. وان بعض القيم تضاعف التأثير بوجه عام ..

ومن امثلة ذلك رواية الاشباح لـ « ابسن » فقد شاهدت تمثيلها فى دار الاوبرا بالقاهرة . والحوادث فيها تصور لنا ان الجريمة الاخلاقية يتوارثها الابناء عن الآباء، وانها تخلق فى دمهم . فالاب «الكابتان الفنج» يأثم فى حق خادمته الشابة ويكون لهذا الاعتداء الاخلاقي ثمرته الآثمة ، فتقلق زوجته الفاضلة مسز « الفنج » وترسل ابنها الصغير « اوزفالد » ليدرس فى الخارج ، حتى تبعده عن جو البيت الفاسد ، ويعود الفتى بعد ان كبر الى البيت بعد ان مات والده . ويظهر المنظر التالي على المسرح : متكأ عريض فى الوسط تجلس فوقه مسز « الفنج » وبجانبها القس صديق العائلة ، وقد اخذا يتحدثان عن مستقبل « اوزفالد » وكيف انها كانت على صواب حين ابعدته عن جو الرذيلة ، التي خيم ظلها على البيت ، وتدور فجاة فترى ابنها يقبل الخادمة ، ولم تكن سوى اخته من ابيه ، تلك الثمرة الآثمة فتصيح الام : « انها الاشباح ظهرت ثانية » !

ان المخرج لم يظهر الفتى ، وهو يقبل الخادمة ، بل اظهر باب الصالة الزجاجي الكبير ، ولم يظهرهما الى العيان ، وانما سلط عليهما الاضواء وراء باب الصالة وهما متعانقان فى ركن الصالة المختفي ، ولم يظهر لنا سوى ظلهما ممدودا على الحائط الذي ظهر من الباب الزجاجية ، فى هذا المثل نرى اثر عملية الاضواء والظلال فى اعطاء النص الادبي كل هذه القوة ، وهذه الروعة ، التي كان يمكن ان تفقد اثرها ، لو ان المخرج اظهر المنظر مجسما امام جمهور المشاهدين . فالجديد هنا هو الاخراج .. هو عنصر الاضواء والظلال ..

المخرج تمثل النص الادبي فى عمق ، وجعله ينبض بروعة الحياة ، ومع هذه الحياة اثارة ، وتحليل للطبيعة الانسانية فى ضعفها وقوتها . وقد

اصبح اليوم للاضاءة مكانها في عالم المسرح الحديث حتى ان فرقة المسرح الوطني الشعبي في فرنسا اخرجت رواية « لورنجاسيون » LORENZATION للفريد دي موسيه بطريقة الاضاءة التي استغنت بها عن المناظر « الديكور » .

وهذا مثل ثاني من احدى الروايات السينمائية ، لا اذكر عنوانها ، ولا مؤلفيها ، ولكني اذكر موضوعها وحوادثها . امراة شبقة جميلة رشيقة ، رقيقة الشعور (هي الممثلة ريتابونج) متزوجة من رجل ذي شخصية شاذة ، لان المرض اقصده في السرير ، لا يتحرك من شدة ءالام اطرافه ، فتحيطه الزوجة برعايتها ، وتفني في تمريضه . وعندما تخرج لقضاء حاجات البيت ، واستشارة طبيبه الشاب ، تدور في راس الزوج فكرة خاطئة وءاثمة حول سلوك زوجته مع طبيبه . وتبدا الحركة الدرامية تشتعل ، فهو يكتب تقريرا مطولا ليرسله الى محاميه يتهم فيه زوجته بانها تتآمر على قتله بالاتفاق مع طبيب العائلة الشاب، حتى يخلو لهما الجو ، وانها كانت تناوله الحبوب المخدرة اكثر مما صرح به الطبيب بغية القضاء عليه !. ولكي يؤكد صحة دعواه اخذ هو نفسه يغافل زوجته ، حين تخرج لقضاء حاجيات البيت ، فينزل من السرير زاحفا ، متالما ، ويتناول الحبوب بزيادة !. ثم هو يسلم تقرير الاتهام الى زوجته داخل رسالة مغلقة ، ويرجوها ان ترسلها الى البريد لانها رسالة تخص بعض شؤونه !. وتذهب الزوجة بحسن نية بالرسالة ، وتسلمها لساعي البريد العجوز الذي كان مارا بالحي صدفة ، وعندما تعود الزوجة الى البيت ويتاكد الزوج من انها سلمت الرسالة الى البريد ، ينفجر بالضحك الساخر ، ويخبرها بالحقيقة وان الرسالة لم تكن سوى دليل موتها ! فتصعق الزوجة وتخرج هائمة تبحث عن ساعي البريد العجوز لتسترد منه الرسالة !. وبعد ان تجده ترجوه ان يعيدها اليها ، ولكنه يخبرها في سذاجة ان القانون يمنع ذلك !.. وانه اذا كان ولابد من استرجاعها ، فعليها ان تذهب وتتصل بمدير البريد مباشرة !. وتذهب اليه ، ولكن المدير يشرح لها سلسلة من الاجراءات القانونية تجعلها تياس ، وتعود الى البيت مذهولة من هول المفاجاة .، وعندما تصل الى مدخل البيت تسمع طرقا على الباب ويفاجئها ساعي البريد فيناولها الرسالة في بساطة ، والتي لم يكن قد ذهب بعد بها الى البريد .. وهنا تتجلى روعة الطبيعة الانسانية ، وعبقرية المخرج في هذه اللقطة الخالدة في الفيلم كله ، فقد امسكت البطلة الرسالة في ذهول ، ولم تصدق ما تراه ، فاسندت مؤخر راسها الصغير على الحائط ، وصدرها يتنفس ، واستسلمت لنوبة من الشهيق الممزوج بدموع الفرح ، والالم ، والانتصارات الانسانية على الظلم والموت ، ولم تفه بكلمة فلم يكن هناك ما يقال .. ولان الكلمات في مثل هذه اللحظة لا يمكن ان تؤدي رسالتها .. وهنا تقوم الانفعالات المعبرة على الوجه بجانب المؤثرات الصوتية ، والموسيقى التعبيرية التي عملت عملها المثير .. هنا كما قلنا من قبل تظهر اهمية القيم الفنية الخارجية ، التي يؤدي تظافرها الى اعطاء النص الادبي حيويته يتسم عن طريقها التمثل الحي للادب ..

وهذا مثل ثالث وهو الاخير ، من رواية «الاصابع الخمسة » والحوادث في هذا الفيلم واقعية ، حدثت اثناء الحرب العالمية الاخيرة للسفير البريطاني في تركيا . فقد استغل خادمه « شرشون » ثقة سيده فيه ، وبدات تسول له نفسه ان يعمل في الخفاء لخيانة سيده من اجل الثراء بسرعة . فنجده يتصل بالسفارة الالمانية في تركيا ويخبرها انه مستعد بأن يزودها بالوثائق الحربية البالغة الخطورة مقابل ثمن . وهكذا اخذ يعمل في نصف الليل ، عندما يكون سيده قد نام ، فيذهب الى مكتبه ، ويفك رموز مفتح الخزانة الحديدية ، ويصور المستندات بئالة تصوير دقيقة كاصبع اليد !. ثم يضع كل شيء في مكانه .، وفي النهار يتصل بالسفارة الالمانية ، ويسلمها الوثائق، وياخذ الثمن باوراق المارك الالماني ! . الى ان جمع ثروة طائلة ، وسافر الى امريكا الجنوبية قبل ان يفتضح وليعيش في النعيم الذي كان يحلم به .، وينزل في افخم فندق في المدينة .. وهنا تنكشف له الحقيقة ، حينما يطرق البوليس عليه الباب ليقبض عليه لان اوراق المارك التي يروجها مزيفة !. وفي لحظات انهارت احلامه ، ولم يفه بكلمة !. لانه لم يكن هناك ما يقال !. بل بعثر اوراقه المالية في الهواء !. وانفجر في نوبة من الضحك المثير ، الضحك الممزوج بالمرارة والخيبة ، وسخرية القدر !. وكانت لقطة خالدة تنبيء عن عبقرية المخرج ، فلم يكن في مقدور الكلام ان يصور هذا الموقف الانساني بهذه الروعة التي قامت بآدائها المؤثرات

أعود فأقول ، ان النص الادبي لم يعد اليوم كلمات سوداء مطبوعة على الورق ، بل اصبح مخلوقا اجتماعيا ، اصبح هو الحياة نفسها .

الرباط — عبد القادر السميحي

فاس في ثورة دائمة

للاستاذ
ابراهيم حركات

ثارت فاس اكثر من مرة في تاريخها ، وكانت ثوراتها راجعة الى عوامل مختلفة بعضها سياسي ، وبعضها اجتماعي . ورفع الفاسيون علم الثورة ضد عدد من ملوك المغرب وعمالهم ، وسنرى بعد عرض شيء من هذه الثورات الاسباب الحقيقية التي أدت بالفاسيين الى ان يكونوا ثائرين بطبعهم على الظلم وفساد الاوضاع ، ونظرا لكثرة هذه الثورات في تاريخ فاس فانني اعتذر عن عدم استقصائها في هذه العجالة واكتفي منها بما يلي :

في عهد الادارسة :

كان يحيى محمد بن ادريس ملكا على المغرب بعد والده يحيى ، ولكنه كان فاجرا ، وقد دخل على النساء يوما في احد حمامات فاس فثار عليه اهل فاس وكادوا يفتكون به . ثم عينوا عليهم اميرا منهم هو عبد الرحمن بن ابي سهل ، وتمكن يحيى بعد هذه الحادثة من استرجاع فاس . وتولى بعده علي بن عمر ابن ادريس ، فخرج عليه ثائر خارجي بجبال مديونة يدعى عبد الرزاق الصفري ، وتمكن من الاستيلاء على عدوة الاندلس بينما صمدت ضده عدوة القرويين .

ولما ظهر العبيديون واعتقل مصالة يحيى بن ادريس الذي مات مغربا عين عاملا على المدينة يدعى ريحان الكتامي ، فثار ضده الحسن الحجام بمساعدة اهل المدينة وقتله كما قتل كثيرا من اشياعه .

وثار الفاسيون مرة اخرى ضد الشيعة سنة 322 وعينوا عليهم عاملا هو احمد بن بكر الجذامي وقتلوا عامل الشيعة حامد بن حمدان وجرد اليهم العبيديون جيشا بقيادة ميسور الخصي فاغلقوا فاسا دونه وبقي محاصرا لفاس مدة سبعة اشهر ، واخيرا صالحوا ميسورا على أن يحتفظوا بعاملهم الجديد الذي عينوه بانفسهم وهو حسن اللواتي

في عهد الزناتيين :

بعد اختفاء الادارسة من فاس وظهور الزناتيين عين اهل فاس عاملا لكل من العدوتين ولكن زيري الصنهاجي قتلهما معا .

ولما ضعف زيري بن عطية تجاه الامويين وانهزم امامهم قرب طنجة رجع الى فاس فاغلق اهلها ابواب المدينة في وجهه واخرجوا له اسرته وزادا ودواب .

ولما تولى الفتوح بن دوناس نشبت الحرب بينه وبين اخيه عجيسة في فاس ، فمال بعض السكان الى الاول ، والبعض الى عجيسة ، واستمرت الحرب داخل البلد ثلاث سنين الى ان استولى الفتوح على مجموع فاس .

في عهد المرابطين :

فتح يوسف بن تاشفين فاسا مرتين ، الاولى سنة 455 بعد ان اهلك من اهلها ومن احوازها اربعة ءالاف نفرا ، ولكن تميم بن معنصر استعادها وعاد يوسف لفتحها سنة 622 ، وفي هذه المرة كان القتال بين المرابطين من جهة والزناتيين من جهة اخرى ، وكان القتال في شوارع البلد وازقته وحتى في بعض المساجد كالقرويين رجامع الاندلس حيث قتل ازيد من ثلاثة ءالاف زناتي .

وما كاد المرابطون يدخلون فاسا حتى هدموا الاسوار التي كانت تفصل بين عدوتي القرويين والاندلس ، وقيل ان يوسف كان يقول : انما اسوارنا سيوفنا وعدلنا ، وقد نسبت هذه العبارة الى عبد المومن الموحدي ايضا .

فى عهد الموحدين :

فى سنة 540 حاصر عبد المومن الموحدي فاس حصارا طويلا وقطع الماء عنها ثم حبسه مدة فى سد وارسله بعد ذلك فاغرق قسما من البلد الذي اعتصم به اهله وتهدمت من اجل ذلك دور عديدة بلغت الفين، ومات كثير من سكان البلد ، واخيرا استولى عليه عبد المومن وهدم قسما كبيرا من اسواره ثم جددها يعقوب حفيده .

فى عهد بني مرين :

لما تولى ابو بكر المريني حاول ان يستولي على فاس من غير لجوء الى القوة ، وقد توصل الى ذلك فى البداية عن طريق الشيخ ابي محمد الفشتالي الذي وقع ما يشبه ميثاق ود مع الامير المريني خارج باب الشريعة ، وبعد دخوله فاسا سنة 646 اخرج عاملها الموحدي السابق من غير ان يسيء اليه ثم عين عاملا جديدا للمدينة من الحشم ، وكان اسود اللون واسمه السعود بن خرباش ، وقبل ان يغادر فاسا لمتابعة فتوحه ترك بضع مئات من جند الموحدين بينهم مائتان من النصارى على راسهم شريد الفرنجي ، وقد وزعت هذه الحامية بين رجال الدولة الجدد وكانت فرقة النصارى فى عداد جند العامل المريني ، وفكر اهل فاس فى الثورة ، والرجوع الى طاعة الموحدين فاتصلوا بالقاضي ابي عبد الرحمن المغيلي واقنعوه بتزعم الثورة والفتك بالسعود ريثما يصل عامل الموحدين ثم يتم الاتفاق مع شريد الفرنجي الذي كان يقود الحرس الخاص بالعامل . وفى صبيحة يوم من سنة 647 دخل على العامل جماعة من زعماء الثورة وبينهم ولد القاضي المذكور ، ثم خاطبوه بكلمات عالية ، فهم باعتقالهم ، وحينئذ دخل شريد وعصابته ففتكوا بالسعود وطافوا براسه فى انحاء المدينة تشهيرا به ثم نصب شريد واليا موقتا ، ولكن المرتضى الذي استصرخ به اهل فاس كان اعجز من ان يسترجع بلدا اصبحت ضواحيه كلها فى قبضة بني مرين فطلب تدخل يغمراسن داهية بني زيان الذي كان يرى فى هذا التدخل فرصة لضم اطراف المغرب الى مملكته

واثناء ذلك كان ابو بكر المريني قد احاط بفاس احاطة السوار بالمعصم ، وظل ينتظر فرصة اقتحامها مدة تسعة اشهر ، ثم عندما علم بهجوم يغمراسن المحتمل انسحب نحو الشرق ليصطدم بجيوش يغمراسن فى ايسلي حيث دارت معارك كثيرة قبل الموحدين وبعدهم، ولم يفز يغمراسن من المرينيين بطائل ، بل انهزم امامهم تاركا وراءه اسلابا وافرة ، وعاد ابو بكر يشدد الحصار على البلد الذي سبق ان عاهده على الوفاء ، والظاهر ان اهل فاس كانوا يخشون من بني مرين ما كانوا يخشون من بني عمومتهم المغراويين واليفرانيين الذين تداولوا فاسا خلال حروب طاحنة ، وما كاد ابو بكر يخيم بجيوشه على مقربة من البلد حتى خشي اهله مغبة مغامرتهم ، وطلبوه الصفح عما صدر منهم ، فوافق على دخول البلد سلما ، ولكنه اشترط عليهم ان يعوضوه عن الخسائر المادية التي تكبدها المرينيون فى هذه الثورة فادوا اليه مبلغ مائة الف دينار وهو قدر عظيم بالنسبة للوضع الاقتصادي يومئذ ، وهكذا عادت فاس الى طاعة بني مرين سنة 648 بينما كان نفوذ الموحدين فى طريق الزوال .

ولما ثار ابو عنان المريني على والده ابي الحسن واستبد بملك المغرب دونه ، نزع الى طاعته اهل فاس القديم وامتنع اهل فاس الجديد من بيعته ، واغلب الظن ان ذلك يرجع الى ان سكان فاس القديم كانوا محافظين ، بينما كان اكثر سكان فاس الجديد من الشعبيين الذين قطنوا المدينة المستحدثة ، وحاصر ابو عنان البلدة مستخدما المنجنيقات ، ولكن لم يفد منها شيئا سوى ان اهلها ضاقت حالهم حتى دخل عليهم ادريس بن ابي العلاء موهما اياهم انه يشايع عاملهم منصور ، وتبعه جماعة فتمكن من اعتقال العامل وقتله ، ثم استسلمت المدينة الى الملك الجديد .

فى عهد الاشراف :

ظل اهل فاس متمسكين بطاعة بني وطاس مدة بعد ان خضعت لطاعة السعديين مناطق كثيرة من المغرب ، كمراكش ، واسفي ، والسوس ، ورفع علم الثورة ضد السعديين الفقيه ابو عبد الله الونشريسي الذي راى ان بيعة الوطاسيين ما تزال فى عنقه ، ولم يستطع ابو عبد الله الشيخ ان يفتح المدينة فدس الى الشيخ الونشريسي جماعة من السفلة الذين اغتالوه امام باب من ابواب القرويين ، ثم استولى على البلد سنة 956 هـ بعد عراك عنيف ، وبعد وفاة زيدان بن احمد المنصور تولى عبد الله بن الشيخ بفاس

واتخذ جنده وبطانته من شراقة عرب احواز تلمسان، وكانوا سفلة يجاهرون بالمنكر ، ويقتحمون على الناس دورهم حتى ضج منهم اهل فاس ، وثاروا بزعامة ابي الربيع سليمان الزرهوني الذي اتى قتلا على شراقة وانصار السلطان ، وحاول عبد الله بن الشيخ استرضاء اهل فاس واصلاح ذات البين بينهم وبين شراكة فرفضوا بكل شدة وامعنوا في قتالهم حتى قضوا على كل اثر لاستبدادهم ، ثم ان شراقة نصبوا لاهل فاس كمينا حيث وضعوا ايديهم في ايدي الملاقة سرا وطلب هؤلاء مساعدة الفاسيين ، فتقاطرت جموعهم بحولان وخرج شراكة من كمينهم ثم حكموا السيف في رقاب من خرج من اهل المدينة وكانوا عدة مئات .

ورفض اهل فاس دخول عبد الله بن الشيخ من سلاطين السعديين الى مدينتهم حيث كرهوا دولة السعديين بعد تسليمهم العرائش الى البرتغال ايام الشيخ . وبينما كان ابو الربيع من انصار السلطان الجديد كان الفاسيون ضده حيث عينوا عليهم زعيما ءاخر هو ادريس بن احمد الجوطي فقتله ابو الربيع وتعصب لـه فريق من السكان ، وعمت الفتنة البلد حتى حدثت مجاعة اودت بحياة كثير من اهله وانتهى امر ابي الربيع باغتياله سنة 1026 فخلفه في رئاسة فاس الفقيه المربوع ، فكانت فاس في هذه الاثناء خارجة عن طاعة السعديين ، وعمل المربوع على تنصيب رجل كان يتعبد في زرهون واسمه عبد الرحمن الخنادقي : نصبه ملكا بفاس ، وقام وزير عبد الله بن الشيخ يحارب انصار الملك الغير الشرعي حتى قتله ، ولجا الفاسيون الى الاعتراف بسلطة عبد الله ابن الشيخ بعد ان ضاقت بهم الحال ثم قتل المربوع سنة 1028 بعد ان تابع ثورته ضد عبد الله بن الشيخ في قليل من انصاره ، ولم يحسن عبد الله السيرة في سكان فاس ولا في رعيته عموما ، فكان يبعث بقواده لينهبوا الدور والمتاجر ويرجعوا اليه مثقلين بالاموال والامتعة ، وظلت فاس يتداولها رؤساء من اهلها طيلة حكم السعديين منذ موت عبد الله بن الشيخ سنة 1032 .

وضاق اهل فاس بحكم السعديين ، وكانوا قساة على الشعب منذ وفاة عظيمهم احمد المنصور ، ولا ينكر مع هذا نضالهم ضد النصارى الغاصبين من برتغال واسبان ، ولكن بعد ضعفهم اصبح الشعب نفسه يقود الجهاد في شخص زعمائه وصلحائه وخصوصا العياشي الذي اعترف اهل فاس بزعامته وسلطته متحدين الحكم السعدي الفاشل ثم اعترفوا بسلطة محمد الحاج الدلائي ، وحدث سوء تفاهم بينهم وبين عامله ابي بكر التاملي فلجأوا الى محمد بن الشريف الذي كان قد بدا محاولاته لتأسيس الدولة العلوية . ولم يكن جيش المولى محمد من القوة بحيث يمكنه ان يرد حامية الدلائيين عن فاس ، وهكذا حاصر التاملي المدينة حتى قطع عنها الماء مدة طويلة ، فاضطر الفاسيون الى الانقياد الى الدلائيين من جديد ولم يخضعوا بسهولة للمولى الرشيد حتى لقد اصابوه برصاصة في اذنه وهو يحاصرهم .

ثم استولى المولى الرشيد على فاس من الدلائيين ، فاقتحم فاس الجديد اولا ثم فاس القديم بعد مقاومة شديدة سنة 1076 هـ .

وثارت فاس مرة اخرى في عهد المولى اسماعيل بسبب سوء تصرف القائد العسكري زيدان العامري وحولت الدعوة الى ابن محرز الذي قضى المولى اسمعيل في محاربته ومطاردته سنوات طويلة من حكمه، ولبثت فاس خارجة عن طاعة المولى اسماعيل ازيد من سنة حتى عادت الى حكمه سنة 1084 .

وعندما عزم المولى اسماعيل على تمليك العبيد رفض علماء فاس الموافقة على ذلك فأصدر السلطان منشورا يوبخهم على تمردهم ويأمر بعزل عدد منهم من وظائفهم .

ثم تولى احمد الذهبي ولد المولى اسماعيل ، وفي عهده نهب جيش الودايا فاسا فثار اهلها لحربهم وحضر السلطان لحصار فاس التي اغلقت ابوابها دونه ، واستخدم في حصاره الاسلحة المستحدثة يومئذ من مدافع ومهاريس وبنادق ، ثم عرض السلطان نفسه الصلح على اهل فاس تلافيا لسوء العقبة ، ثم خلع السلطان المذكور في خبر طويل ، ورفع من جديد الى الحكم بعد ان فشل اخوه ابو مروان في اقرار السلطة وعاد احمد الذهبي يحارب فاسا بعد ان فسد ما بينه وبين اهلها بسبب جور جيش الاودايا ، وكان ابو مروان اخوه في قبضتهم وبينه وبين احمد الذهبي عداوة شديدة ، وحاول ان يسترضي الفاسيين باطلاق سراح مساجينهم الذين كانوا في يده ، ودخل ممثله الى فاس يخطب في اهلها ويدعوهم الى الطاعة ، فحملوه الى حيث قتلوه وصلبوه ، وخرج جماعة من ثوار فاس الى ناحية البلد ، فاستولوا على كثير من مواشي الاودايا وطال حصار احمد الذهبي لفاس ما يقرب من نصف عام وكانت المدينة خلال ذلك تتلقى

قنابل المدافع وحجارة المجانيق حتى سقطت مبان كثيرة منها وعمت المجاعة بسبب انقطاع الموارد الخارجية ثم انعقد الصلح على تأمين اهل البلد وتسليم ابي مروان الى اخيه بعد ان توثقوا منه حتى لا يناله منه مكروه ، ولكنه غدر به وقتله خنقا ثم مات بعده ببضعة ايام .

وتولى بعده المولى عبد الله بن اسماعيل فانقاد اليه أهل فاس ثم حدث بينه وبينهم سوء تفاهم حيث طالبهم بالتنازل عن بساتينهم لصالح الدولة فرفضوا محتجين بحقهم فى الملكية ، وبأن شروط البيعة لا تتضمن هذا التنازل فقام يحاصرهم ويخرب بساتينهم وزروعهم ، وطال الحصار حتى اذعن الفاسيون للسلطة الحاكمة ، واحتفظوا مع ذلك باملاكهم ، وكان المولى عبد الله شديدا على من كانوا يسمون بجيش العبيد ، فثاروا به وولوا اخاه عليا .

وكان عامل فاس فى عهده اولا مسود الروسي وكان متهورا ، فقتل احد زعماء البلد ، وقام الفاسيون لحربه حتى عزله السلطان الجديد .

وفى عهد السلطان المولى سليمان ثار اهل فاس على عاملهم محمد الصفار بسبب تهتكه وخلاعته فكتب اليهم السلطان خطابا طويلا ذكر نصه كاملا صاحب الاستقصا . ومما جاء فى رسالته :

« واما الفسق فهو عادة وديدن كل من قام فى الفتنة . وكم مرة رمت قطعه فلم اجد اليه سبيلا ، لان جل كبرائكم بالمصاري والعرصات ، وانما اولي عليكم البراني لانكم لا تحسدونه وان اكل وحده .. »

ثم يضيف الخطاب :

« .. وانظروا ما اجبتكم به وما كتبتم لنا به واعرضوه على فقهائكم فمن قال الحق منا ، ومن قال الباطل اخبرتم بحظكم من الفتن » .

وفى اواخر عهد السلطان المذكور اعتدى عبيد الاودايا على اليهود فنهبوا اموالهم وهتكوا أعراضهم ثم قتلوا منهم عددا كبيرا ، وراموا ان يفعلوا مثل ذلك بمسلمي فاس فقاموا ضدهم قومة رجل واحد، وعينوا عليهم لجنة تمثل الاقسام الرئيسية من البلد فدبرت اموره حتى غرم الاودايا ما اتلفوه للسكان مسلمين ويهودا .

وفى عهد السلطان الحسن الاول امتنع اهل فاس من اداء المكس الذي كان قد فرضه السلطان محمد ابن عبد الله على البضائع الواردة من المدينة ثم خلعوا عاملهم محمد بنيس واستصفوا امواله وكادوا يقتلونه حتى اضطر الى الالتجاء الى ضريح الامام ادريس ، وتزعم الثورة الدباغون خاصة ومنعوا العامل الجديد ادريس السراج من الالتحاق بالسلطان بعد ان كادوا يأتون على حياته هو ايضا ، وقد كانت له يد فى سوء تصرف بنيس ، فاضطر السلطان الى حربهم وحصارهم ثم مال الى الرفق فى اجتذابهم وبعث اليهم منشورا يحذرهم مغبة تمردهم فركنوا الى الطاعة ونفى السراج الى مراكش .

واذا اضفنا الى ما تقدم ثورة اهل فاس ضد اقرار نظام الحماية ، هذه الثورة التي سبقت اقرار النظام المذكور بشهور عديدة وجرت معها ثورة بني مطير وغيرهم ، ثم قيام الحركة الوطنية بهذا البلد نفسه وظهور زعماء اقوياء كانوا على راس الثورة الشعبية العارمة التي ادت الى استقلال المغرب فسنستخلص من ذلك سلسلة طويلة من الثورات التي لا يسع المجال لذكرها كلها فى هذا البحث الوجيز

فما هي العوامل الحقيقية التي جعلت من عامة اهل فاس ثوارا بطبعهم ؟

1 — ان الاصول الاولى لسكان المدينة اصول عربية تقاطر معظمها من الاندلس وخصوصا من قرطبة وبالتالي اثر وقعة الربض، بالاضافة الى هجرات اخرى فى عهد الادارسة والزناتيين وغيرهم ، وقد ورثت هذه الاصول العربية عن سكان قرطبة لغة لسانهم كما نقل فقهاء فاس عن فقهاء الاندلس صراحتهم وجديتهم وتدخلهم فى سياسة الدولة بشكل مباشر او غير مباشر ، ولم يكن فقهاء الشرق يبلغون تعصب فقهاء الغرب وشدتهم ، ولكن يبدو ان وضع المسلمين فى الاندلس بين الممالك المسيحية ، وقد كان وضعا خطيرا فى معظم تاريخهم ، حدا بالفقهاء الى ظهورهم باستمرار على مسرح السياسة فى الاندلس ، وحيث ان فقهاء فاس درسوا بقرطبة ايام عزها فقد نقلوا عن فقهائها كما تقدم نفس الاهتمام بالشؤون السياسية

2 — ان التجاء العناصر العربية الراقية من الاندلس الى فاس جعلها تشكل مجموعة لها من المقومات والخصائص ما تمتاز به كثيرا عن باقي المناطق المغربية،

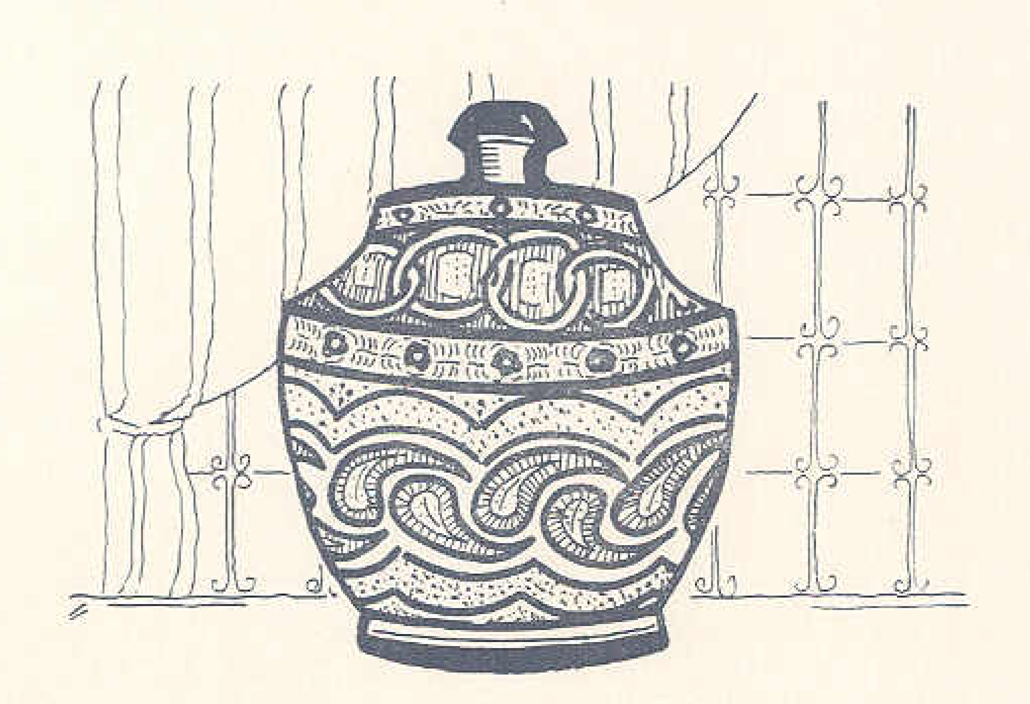
وهكذا شكلت الصناعات والعلوم والفنون التي نقلت عن الاندلس نوعا من التركز في فاس ، مما جعل سكان هذا البلد ينظرون الى انفسهم نظرة اعتزاز وتفوق ، وهذه الحالة النفسية من شانها ان تؤدي الى التمرد على كل وضع يحاول النيل من اصحابها .

3 — لم يحسن الملوك دائما معاملة السكان ولم تكن فاس التي طبع اهلها على رهافة الحس والثقة المفرطة بانفسهم لترضى بعمال يسومونها الخسف . لذلك كان الفاسيون يعمدون الى خلع العمال الذين لا يحسنون التصرف وينصبون عليهم عمالا من بينهم في انتظار أن تقبل السلطة الرسمية الامر بالواقع او تعين من جهتها من يقبله اهل البلد .

4 — كان تهتك بعض العمال والملوك وسوء اخلاق الجيش من اكبر دواعي الثورات الفاسية ، كما راينا في عهد يحيى بن محمد بن ادريس وزيدان السعدي ، وفي ثورة الفاسيين ضد زيدان العامري قائد المولى اسماعيل ، ومحمد الصفار عامل المولى سليمان

ومن اهم ما يلاحظ في معظم ثورات فاس ان الطبقات الارستقراطية كانت تشترك فيها جنبا لجنب مع الطبقات الفقيرة ، واحيانا كانت السلطة المحلية تؤول الى شعبيين مما يدل على الوعي الذي كان يسود فاسا منذ قديم .

فاس — ابراهيم حركات



من تراثنا الفكري في الاندلس

أبو محمد بن عبدون اليابري

للأستاذ محمد الامين محمد

- 2 -

※ يمم ابن عبدون وجهه شطر اشبيلية يحدوه امل كبير فى ان يظفر لدى المعتمد بالشهرة والجاه اللذين كان يهفو اليهما منذ حداثته واللذين شغلا فكره منذ ان احس بتفتح مواهبه فى الشعر وفى الادب بوجه عام ، ولم يكن سوء الحظ الذي مني به اثناء مقامه لدى المنصور بن الافطس بالامر الذي يضعف عزيمته، ويفقده الثقة فى نفسه فيعدل فيه عن ميدان الادب الى ميدان آخر يظفر فيه بالمال ويحقق ما تصبو اليه نفسه فيقعد مثلا لاقراء علوم اللغة والادب كما كان يفعل الكثيرون من معاصريه ممن كان لهم مثل حظه من الثقافة والمعرفة ، ولكنا نحسب ان مما اطمع ابن عبدون ان يقصد المعتمد باشبيلية هو ما عرف عن المعتمد من انه يكرم الشعراء والادباء ويعلي من منازلهم ويغدق عليهم امواله وعطاياه بغير حساب ثم ما شاع عنه من انه لايستوزر الا شاعرا او اديبا . ثم اذا ما اضفنا الى ذلك ان ابن عبدون قد سبق له ان وفد على المعتمد حينما كان هذا وليا على «شلب» فاكرم وفادته ؛ نستطيع من هذا كله ان نعلل لارتحال ابن عبدون الى اشبيلية بالذات وعدم توجهه الى ملك آخر من ملوك الطوائف الذين كان ابن عبدون نفسه يعلم دون شك تسابقهم على اجتلاب فحول الشعراء ، واغداق الاموال عليهم حتى لقد بلغ الامر باحد الشعراء ان اقسم الا يمدح احدا من ملوك الطوائف بقصيدة الا اذ دفع له مائة دينار (※) . فابن عبدون اذا لم يكن يلتمس الرفد فقط بذهابه الى اشبيلية ، ولو كان يلتمس ذلك وحده لاختار مملكة غير اشبيلية يقل فيها تنافس الشعراء ويخلو له فيها الجو ، وانما كان يطمع فى الوزارة ، ولما لايمني نفسه ان يكون وزيرا فى بلاط المعتمد مثلا وهو يرى الشاعر ابا بكر بن عمار الذي كان افاقا يتكسب بشعره لدى ملوك الطوائف جميعا قد رفعه شعره الى مرتبة الوزارة ، بل لقد اصبح من اقرب المقربين الى المعتمد ، فليجرب ابن عبدون حظه وليمدح المعتمد فقد يكون ذلك من الاسباب التي تنهض به الى الوزارة ، ثم من يدري فقد يصبح شاعر المعتمد المقرب ... وكذلك فعل فرفع الى المعتمد قصيدة افرغ فيها كل امكانياته كشاعر وكانما اراد ان تكون عنوانا لشاعريته ، فصور فيها رحلته الى المعتمد والمع الى ما يتحلى به هو من فضائل، ولم ينس ان يدل بنفسه وبادبه الذي يحسده عليه الكثيرون .... (※)

سارُوا ومسك الدياجي غير منهوب
وطرة الشرق غفل دون تذهيب

على ربى لم يزل شادي الذباب بها
يلهو بأنق ملفوظ ومضروب

كالفيد فى قبب الازهار اذرعة
قامت له بالمثاني والمضاريب

فرحت استخبر الانفاس لا الطم الـ
ـلادراس عن موعد فى الحي مكذوب

※) راجع الجزء الاول من هذا البحث فى العدد الثالث من هذه السنة .
※) نفح الطيب ص 2 ص 128 .
※) القسم الثاني من الذخيرة ورقة 432 .

هيهات لا ابتغي منهم هوى بهوى
حسبي اكون محبا غير محبوب

ما كل من سيم خسفا عاف مورده
ان الاباء لظهر غير مركوب

يا دهر ان توسع الاحرار مظلمة
فاستثنيني ان غيلي غير مقروب

ورب عاو على اثري بليت به
بلاء ليث الشرى فى الليل بالذيب

اسكنت عنه ولو لم يزد جر غضبي
وشمت صارم تاتيي وتتريبي

سرى بذكري الى اسماعهم ادبي
مسرى النسيم الى الاناف بالطيب

ولقد تلقى المعتمد قصيدة ابن عبدون واجازه عليها بسخائه الذي عرف به مع الشعراء الذين كانوا يقصدونه وينشدونه مدائحهم فيه ، ولكنا نحسب ان القصيدة لم تنل من اعجاب المعتمد الدرجة التي كان يقدرها لها الشاعر ومن ثم فقد اكتفى بان منح ابن عبدون جائزة ولم يامر بان يضم الى شعرائه ، ولم تقع جائزة المعتمد من نفس ابن عبدون موقعا حسنا فقد كان هذا يمني نفسه بما هو اكثر من الجائزة كما سبق ان اشرنا ، على انه لم ييأس وبدات آماله تستيقظ من جديد لتحقيق الامل الذي اخرجه من بلده يابرة وجعله يقصد اشبيلية ... فليحاول اذا محاولة اخرى ولينشد المعتمد قصيدة ثانية يصف فيها حاله وينفض مجمل امره ويجعلها مدحا مباشرا عله ان يبلغ بها من نفس المعتمد ما يبتغي فينخرط فى حاشيته ويكتب فى ديوان شعرائه ؛ ولقد كان حرص ابن عبدون على بلوغ مرتبة سامية فى بلاط المعتمد يعني اكثر من معنى ، فبالاضافة الى الترف الذي كان معروفا به المعتمد مما عساه ان يذكي رغبة شاعر كابن عبدون ان يعيش الى جواره ، فالمعتمد كذلك شاعر رقيق واديب متبحر فهو ان الحق ابن عبدون ببلاطه كان ذلك شهادة منه يعتز بها ابن عبدون ؛ وهكذا قدم ابن عبدون الى المعتمد قصيدة ثانية نقتطف منها ما يلي :

*) ان الممالك والسيوف شهود
لكم اماء والملوك عبيد

شامتكم فى المكرمات عزائم
جار على احكامها التاييد

من معشر اخذوا باطراف العلا
والافق غفل والليالي سود

جاءوا فثارت فى البسيطة انجم
وسطوا فثارت فى السماء اسود

ياروضة وصف النسيم اريجها
رقي علي فانني غريد

لا ذنب للامال الا انها
اصف الاوار وماؤها مورود

ركبت اليك جناح كل عزيمة
شهب لها من ان تراك سعود

مالي ارفرف حول دوحك ضاحيا
حوض الردى من خلفها مورود

لقد كانت قصيدة ابن عبدون هذه تمثل اصدق تمثيل صرخات نفسه وحرمانه وتعثر حظه ، فهو يصرح بانه لم يدخر جهدا فى سبيل تحقيق آماله ، والوصول الى هدفه ، فاذا ما حيل بينه وبين مايبتغي فالذنب ليس ذنبه وانما هو ذنب الاقدار التي سدت دونه سبل اهدافه ، فلم تتصل اسبابه بالمعتمد ولم يظفر منه باكثر من الجائزة التي تعطى لكل شاعر عابر يمدحه . صبر ابن عبدون فى انتظار ان يستدعيه المعتمد ليسند اليه وزارة او ولاية ، فكان موقفه اشبه مايكون بموقف المتنبي من كافور الاخشيدي ، فكلا الشاعرين قد ذهبت آماله سدى ، وكما عيل صبر المتنبي فاعتزم الرحيل ، كذلك فكر ابن عبدون ان يرتحل ولكن الى اين ؟ انه وقف حائرا لايعرف له وجهة يقصدها ، ولا مملكة يؤمها بعد أن فشل فى تجربته مع المعتمد ، وربما استطعنا ان نتصور بانه خلال موقفه هذا فكر فى العودة الى بلده يابرة قانعا من الغنيمة بالاياب ليقف نفسه على العلم والادب ، او ليقوم بالتدريس ... ولكنه ما لبث ان ابتسمت له

*) القسم الثاني من الذخيرة ورقة 436\437

الامال مرة اخرى عندما تلقى رسالة من صديقه القديم المتوكل بن الافطس يطلب اليه فيها العودة الى بطليوس ، فتملك ابن عبدون اذ ذاك شعور من السرور لايمكن ان يوصف ، فقد كانت هذه الرسالة تعني ان آماله توشك ان تتحقق ، كما كانت تعني كذلك انه سوف يسترد كرامته ويثأر لكبريائه لان المتوكل بن الافطس هو العدو اللدود للمعتمد ، ولا شك ان انتقال ابن عبدون الى بلاط المتوكل هو الشيء الوحيد الذي ستشتفي به نفس ابن عبدون الذي قضى فى اشبيلية فترة قاسية كان فيها مجهولا لايحس بوجوده احد ، ولا يعرف عنه اكثر مما يعرف عن اي شاعر آخر يتكسب بشعره ، ومن يدري ؟ فربما كان فى بلاط المعتمد من يعرفون لابن عبدون قدره وينفسون عليه مواهبه فعملوا على ان يوصدوا من دونه ابواب المعتمد حتى لايزحمهم عنده ولا يشركهم فى منازلهم لديه ؛ وربما كان المعتمد نفسه لم يرقه شعر ابن عبدون ولم ير فيه ما يراه فى شعر غيره من شعرائه المقربين .

مهما يكن من امر فان ابن عبدون لم يشأ ان يشغل نفسه بالبحث عن الاسباب التي قعدت به عن تحقيق آماله لدى المعتمد ، واعتزم السفر الى بطليوس تاركا من ورائه اشبيلية والمعتمد غير آسف ولا نادم وانشأ قصيدة فى مدح المتوكل ، وما كاد يدخل الى بطليوس ويلتقي بالمتوكل حتى انشده اياها فوقعت من نفسه اجمل موقع ، فخلع عليه المتوكل واجزل عطاءه ، وانا لموردون هنا بعض ابيات من هذه القصيدة :

(*) وافاك من فلق الصباح تبسم
وانجاب عن غسق الظلام تجهم

والليل يبغى بالاذان وقد شدا
بالفجر طير البانة المترنم

خبطت بنا ورق الظلام سوابح
ملء النواظر سيرهن توهم

فاذا سرت فالليل منها ابيض
واذا غدت فالصبح منها ادهم

من كل هفهاف العنان كأنه
نفس المشوق تعاورته اللوم

شامت لساني فيك يا ابن محمد
مقة اذا كتم الهوى لا تكتم

ومحبة موروثة مكسوبة
بدىء الزمان بها وعنها يختم

واليك من بيت الضمير حديقة
غناء تنجد بالرواة وتتهم

لله درك هل لمجدك غاية
الا وانت بها معنى مغرم

وعلاك لي درء وجودك فى يدي
ماض كرأيك فى الخطوب مصمم

وتعلمت منك الغمامة شيمة
تهمي وفيها للبروق تبسم

ولقد كانت هذه القصيدة قطرا تلاه غيث ، اذ اعقبتها قصائد كثيرة كانت كل واحدة منها سببا يزداد به ابن عبدون من المتوكل قربا وبه تعلقا ، وكانت عطايا المتوكل تنهمر عليه انهمار المطر فغذت شاعريته والهبت احاسيسه وتفتح بها معين الشعر فى نفسه ، ولم يمض وقت طويل على دخول ابن عبدون بطليوس حتى اتخذه المتوكل كبير وزرائه وصديقه الذي لايكاد يفارقه فى ظعنه او اقامته ، ولم يكن عمل ابن عبدون اذ ذاك مقصورا على الشعر فقط وانما كان يكتب عن المتوكل رسائله الخاصة كذلك ، ولا شك ان تقدير المتوكل لابن عبدون كان تقديرا قائما على الاعجاب بمواهبه الادبية فالمتوكل نفسه كان اديبا كاتبا وشاعرا ، ومع ان ماروي من شعره ونثره قليل الا انه يدل على جودة واصالة لاتقل عما نعرفه عن المعتمد بن عباد مثلا ، بعث ابن عبدون الى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب اليه :

(*) اليكها فاجتلها منيرة
وقد خبا حتى الشهاب الثاقب

واقفة بالباب لم يؤذن لها
الا وقد كاد ينام الحاجب

(*) المرجع السابق ورقة 424

(*) المطرب من اشعار المغرب ص 24 — قلائد العقيان ص 45

فبعضهـــا مــن المخـاف جامـد
وبعضهـــا مــن الحيـاء ذائـــب

فقبلهـا المتوكـل وكتب اليـه :

قـد وصلت تلـك التـي زففتهـا
مكـرا وقـد شـابت لها ذوائـب

فهـب حتـى نستـرد ذاهبـا
مـن انسنـا ان استـرد ذاهـب

فتقدير المتوكل اذا لابن عبدون كان تقدير خبير بالادب بصير بنقده ، ولقد ظل ابن عبدون الى جـوار المتوكل طوال اربع عشرة سنة كانت اسعـد ايامـه ، وكان شعره فيها كشعر المتنبي فى سيف الدولة قائمـا على الحب الصادق الذي يكنه الشاعر لممدوحه ، وهو الامر الذي نستطيع ان نلمسه فى كل مدائحه للمتوكل تلك المدائح التي تتسم بصدق العاطفة وحرارة المشاعر ودقة الانفعالات ولو اننا ذهبنا نوازن بين مدائح ابـن عبدون للمعتمد ومدائحه للمتوكل لوجدنا فروقا ظاهرة لاتكاد تخفى على الناقد فقصائد ابن عبدون فى المعتمد كانت مدحا تقليديا قـوامه وصف الممدوح بالجـود والشجاعة وكرم المحتد وهي الامور التي الفها الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي لايكـادون يتعدونهـا وان اختلفوا فى طرق تصويرها وعرضها ، بينما نرى ابـن عبدون فى مدائحه للمتوكل قد نهج نهجا آخر مختلفـا فهو لايخفي بان ما حرك لسانه لمدح المتوكل انما هـو حب جارف لايستطيع ان يكتمه لانـه حب مـوروث قديـم ، وهو حب باق لن تستطيع الايـام ان تذهب بـه ، ولسنا نلمس فى مدائـح ابن عبـدون للمتوكـل صيحات الحرمان التي كنا نحس بها فى مدحه للمعتمد عندما كـان يقـول :

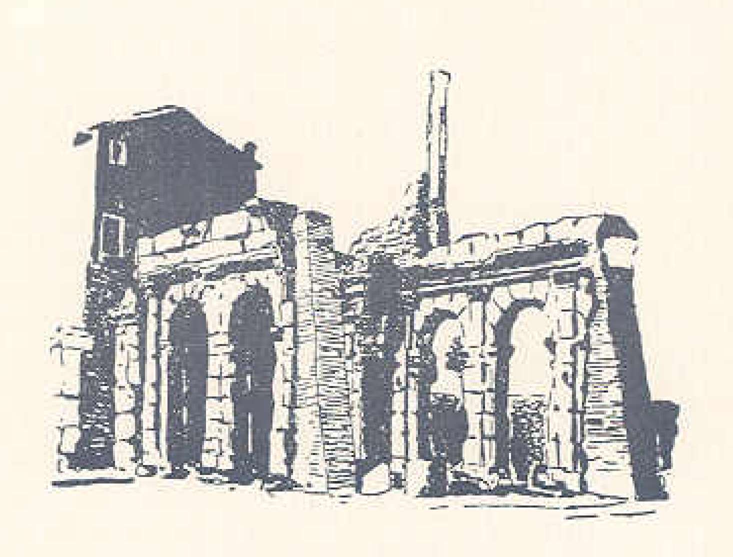
ما لـي ارفرف فوق دوحك ضاحيـا
اصـف الاوار ومـاؤهـا مــورود

وانما اصـبحت قصائده فى المتوكل عليها طابـــع الاطمئنان النفسي الذي يحس به الشاعـر .

هذا وسنعالج فى بحث مقبل المؤثرات الخارجية التي شكلت مدح ابن عبدون بوجـه خـاص وشعـره بوجـه عـام .

تطـوان ـ محمد الامين محمد

عضو البعثة التعليمية العربية



في سبيل ثقافة إسلامية صحيحة

للأستاذ
محمد العيسوي

كلنا نعلم ان التصميمات الاصلية للانظمة الثقافية فى كل امة هي خير ما يسعد به المجتمع ومن خير الوسائل لانماء ضمير المواطنين وتقوية احساسهم وكفالة مستوياتهم وانعاش المعاني السامية فيهم . وليس بوسعنا ان نتحدى هذا النظام او نوقف تياره ــ متى شق طريقه ــ او نقيس مدى قدرته وتصرفه فى توجيه الحياة الانسانية بمذاهب وتيارات وبمواقف اخرى فى الحياة بالغة ما بلغت صلتها بالانسان وبشافاقه وبانطلاقاته .

وربما يكون لهذه المواقف بعض النجاح فى فترة من فترات التاريخ ، ولكن فى الحقيقة ليس ذلك راجعا الى اصالة هذه المواقف وهذه المآخذ فى الدفع والعطاء البعيدة الصلة باللون الثقافي ، وانما لعوامل اخرى قد تكون ايضا من معطيات الثقافة ساءت نسبتها الى غيرها .

ان اكبر ما تعتمد عليه التطورات الانسانية فى تفاعلها المستمر هي الانظمة الثقافية التي ارادها الله لتكون اداة لتصفية جميع متناقضات الحياة ، ولتمثيل الظاهرات الحضارية ، وعاملا قويا من عوامل الاستمرار القومي ، وباعثا على خلق وحدة منسجمة واعية مطبوعة بطابع الشمول والتمثل والخلود . وجدير بنا ان نعرف ان اية وحدة كيفما كانت ــ لا يمكن لها ان تعيش الا على اساس وحدة ثقافية مشتركة وداخل حدودها ، فلن تبنى على اساس اقتصادي او عسكري او سياسي ، واذا قدر لاية وحدة ان تعيش على غير حرارة الرصيد الثقافي فغالبا ما تكون حاملة لعناصر فنائها ويقضى عليها فى اهابها .

مثل هذا يدفعنا الى القول ان من شان الثقافات ــ فى صفاء جوهرها ــ ان لا تعكس خلافات ولا ان تسهم فى ميلاد مشاكل قد تسيء الى الناس ، ولا ان تبعد بهم عن مجرى الحياة ، ولا ان تفصلهم عن مجتمعاتهم ، ولا ان تمهد للانسان فى اعقاب التاريخ ان يهدم ما بناه الانسان الاول بدمه ودموعه وعرقه المتصبب . وانما ابتعدت عن اداء رسالتها يوم ابتعد الناس بها عن مسالكها المألوفة ، وجفت عن الاستجابة الطبيعية لها فى اليوم الذي طغى عليها الفساد والتمحل والجمود . تلك الاستجابة التي ارادها الله تعالى لتعوض الانسان عما يجد فى نفسه من شقاء ، وفى مجتمعه من تخلف ، وفى خلقه من التكاس .

واذا قسنا الثقافات المختلفة بعضها الى بعض وعجمنا نتائجها ، ووقفنا على اهدافها ، نجد ان الثقافة الاسلامية ــ فى خصائصها الاولى ــ هي اجدى ثقافة على الانسانية ، وخير نظام ثقافي تتمثل فيه العقيدة والشريعة والمجتمع والدولة والسياسة وادب الناس وسلوكهم وحربهم وسلمهم ــ تمثيلا يهدف الى بث الروح الجماعية ، وخلق ضمير حي، وشعور قومي مشترك ، وادماج حياة الفرد وهو راضي النفس فى حياة الجماعة ، وقد مرت عليها قرون طويلة دلت فيها التجربة والاختبار الدقيق على نجاحها الواسع ، وعلى انتصاراتها المتصلة ، وعلى مسايرتها للتمدد الانساني العام .

واذا كنا نشهد مشاهد جديدة على مهاد واقعنا الثقافي المرير الذي نعيش فيه اليوم ــ مشاهد تجر وراءها ظلالا من الريبة والخطيئة والعقوق والفراغ المهول ــ فليس ذلك راجعا الى انتهاء امد انطلاقها ، او تاخرها عن اداء مهمتها ، وانما يعود بالذات الى

تلك الاساءات المتعددة من جانب المسلمين انفسهم ، ممن تسمم تفكيرهم ، وساء فهمهم للاسلام جملة وتفصيلا ، ففتحوا بذلك نوافذ الشك والتشكيك فى صلاحيتها ، وفعاليتها ، وتصرفت حظوظهم المختلفة تصرفا غير لائق ، سواء فى ذلك حاملو الثقافة القديمة او الثقافة الجديدة ، فان كلا الفريقين لم ينطبع بالطابع الثقافي الاصيل الذي يتصل بتاريخ الامة الطويل ، ليغذي فيهم ذلك الشعور المشترك الممتد مع غرائز قوميتهم المجيدة التي يكافحون من اجلها ، ولست بمتجاوز درجة الاعتدال اذا قلت ان هناك جانبا من المثقفين يتسم بطابع الجفاف والجمود عن تفهم خصائص هذه الثقافة ، وتكون فى ظل هذه الفترة الكاسفة نفسيات ضعيفة ، ومجتمعات متخلفة ، وشعور امي بالدين وبالثقافة وبالواقع فى زحمة عالم متطلع الى حياة جديدة ، لها مفاهيمها ولها مطالبها .

كان من النتائج السيئة لذلك ان ذرت قرون – فى مختلف العصور – من سدنة الفكر الاسلامي وحملة ميراثه – فى زعمهم – ملاوا فراغهم الواسع بدراسة ذاتية وفى نطاق ضيق متصلة بشعور فردي وظلوا يدورون حول نفوسهم ، ويتحللون من واقع حياتهم ، ويعقدون هذه الثقافة ويمجدونها ويهملون كل الفرص لربط ما بين دين الناس ودنياهم من صلات ترفع من قيمة الفرد وترعى نظام الجماعة .

وقد وجدوا فى المدونات والمصادر التشريعية الاسلامية مهيعا ناضرا ومجالا خصبا لاستثمار هذه الحياة الفكرية القاصرة ، وترويجها من اجل تنمية ملكة عقلية ومران فكري كما يدعون ، مع انه ما كانت تلك الوثائق الاسلامية فى يوم من الايام لتهدف الى هذا وتسوق الى الناس الخيبة والضياع .

وانما سيقت اليهم – فضلا من الله تعالى ونعمة – لتصون مصالحهم ، وتقيم عدل الله بينهم ، وتستجيب لما جد فى الحياة ، وتلائم بين حاجات الناس وبين مئاخذ الاسلام الكبرى .

وان يكن لابد من هذه الدراسة على هذا الشكل فى كتب مشحونة بالمواخذات والافتراضات والمحاكات، فلن تكون هذه الدراسة الا على انها دراسة تاريخية يعلق بها الترف الفكري على النحو الذي يطبع الناس بلون التاليف ، ولون الفكر المتحكم ، ولون المؤثرات الذي تاثرت به الطبقة المثقفة فى جدالها وفى تفكيرها وفى فهمها للاشياء .

وما كان هذا ليشغلنا عن النظر فى الاوضاع الثقافية الحديثة التي يبدو من اهتماماتها الاولى انها تبذل مجهودات جمة لاستيصال ذلك الارتباط العميق التاريخي بين الناشئة ودينها ، وتحرير الاجيال الصاعدة من ربقته ، وطبعهم بطابع متميز يعمل على تنمية قوى مجهولة فى نفوسهم لا تنتهي فى مصادرها ولا فى مواردها الى راي واضح . وهناك اتجاهات مرسومة تعمل باكثر من وسيلة معتمدة على وسائل النشر والاذاعة والافلام والارساليات التبشيرية ، واكداس الكتب والابحاث ومناهج الدراسات ونشاط السفارات – لاجتذاب العقول الضعيفة واستضعاف العقول القوية ، وانتزاع ما فيها من نزوع الى الفكرة القومية لتحل محلها ذهنيات وانطباعات يكون لها تاثيرها السيء على مستوياتنا عن طريق الفن والفكر والادب .

وقد كان كمال الدين حسين المصري وزير التربية على علم بخطورة هذه المنافسة الثقافية الكاسحة وعلى حق فيما قال : يجب على المعلمين ان يستاصلوا من اذهان الناشئة كل ءاثار السيطرة الثقافية الانكليزية والفرنسية – . وايا ما كان الامر وكيفما كان تقل هذه الاوضاع الخاطئة لهذه الطبقة من المثقفين من الطائفتين، فان الاسلام لا يكتفي بالاستغناء عنهم ، بل يؤكد على ضرورة مكافحتهم والتمييز بين الخلط الذي احدثوه ونحن نحرص الحرص كله على ان ينتهي هذا المظهر السخيف للدين – لان العدو يعتبره امضى سلاح فى يده ، لانه يعمل فى صمت ، وفى هدوء صوت وتستر عن العيون – وينتهي هذا الفهم المنحرف للدين ولثقافته ولكن لا تنتهي بانتهائه تلك الرسوم الحقيقية لهذا الدين السالمة من الاضافات المدسوسة . كل هذا مما سبق ذكره فتح امام اعداء الاسلام مجالا للحديث عنه وهم راضون عن انفسهم فيما يلفقون من تهم وفيما يتصيدون من شبه وفيما يفرضون عليه من مواقف ، فانك قد تراهم يتحدثون باعجاب عن الحركات الثقافية وعن المواقف الفكرية فى العالم ، ولكنهم حينما يتحدثون عن الاسلام وعن ثقافته نراهم تحجبهم عوامل عن النظر الى ذلك نظرة مخلصة لوجه الحق ولوجه التاريخ .

ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل اضافوا الى ذلك : انه اذا صحت الشكوى من ثقافة الاسلام ، فلان طبيعتها يخالفها الصواب دائما لانها تنظر الى الاشياء

على هذه الاسس الموضوعة — عندهم — بدقة : ضعف حس الواقع ، والكفر بمبدا التطور ، وسيطرة الاوهام والخرافات .

لذا كان مما لا محيد عنه — في نظرهم — ان تتولد عن ذلك عدة مشاكل ، شغلت بال الراصدين منهم — للسير الثقافي الاسلامي ؛ وخاصة بعد ما شاهدوا ميلاد تركيبات فكرية وثقافية نشات عنها نظم اجتماعية وثقافية ، واختلفت وسائل التعبير والاداء عنها ، ووسائل نشرها واستيعابها ، واختلفت الاشكال الدراسية ، واحتكت بهذه الاشكال مفاهيم جديدة ، وجدوا في ذلك كله دافعا قويا الى ان يشغلوا انفسهم ويشغلو الناس معهم بميلاد هذه المشاكل التي كان فعل الاسلام فيها سلبيا في نظرهم — وكان اثره فيها عديم اللون ، فامتدت المشاكل بحكم مرور الزمن — الى ميادين ضحلة انتهت به الى نقطة التخلف والاستحالة ولربما يكشف عن هذه المشاكل الواقع الثقافي الاسلامي كما يقولون في صوره الاتية : ما مدى التلاؤم بين مستويات الثقافتين ، وما مقدار الاستفادة التي تنهل منها البلاد ازاء مشاريعها الجديدة ، وازاء ملحمة التصنيع ، واخضاع الحياة للوسائل الحديثة : في نظام القرية ، وفي نظام العمل ، وفي نظام الحكم ، وفي نظام الاسرة ، وفي جميع الانظمة الاجتماعية ، لتغير نظامها المتخلف القائم وتحيله الى نظام اسعد وانفع ، وما هو السبيل الى تجنب الازدواج الضار في نظم التربية — في النظام الثقافي والمناهج المشتركة الذي لا قبل لنا به ، والذي هو واجب مفروض على حساب الثقافة الاسلامية ، لان توقف سير هذه الثقافة عن مسايرة باقي الثقافات — كما يقولون — وعدم استجابتها لمطاليب الحياة — كدراسة لا صلة لها بالواقع ولا بمستويات التطورات العالمية الاخرى ، قد ساعد كثيرا ان لم يكن العامل الرئيسي — على خلق هذا الازدواج ، كما ساعد على ايجاد جو قائم بين الطبقة المثقفة في الوطن الواحد ، وساهم في خلق مصاعب وموجات تحررية ضاعت وسط ضجتها جهود وامال معقودة بنواحي الفكر الصحيح .. ونتاج الوعي السليم في انتشال المجتمع من عاهاته ، وتقدير خطواته وفي الاخلاص له ، والاستجابة لمطالبه وحفظ التوازن بين قوى التطور فيه ، هكذا يقدمون لنا هذه التفسيرات تبريرا لمواقفهم .

وان يكن لا مناص لنا من الاعتراف بسوء حظوظ المسلمين من ثقافتهم وبسوء عرضهم لها حيث صار طابع العصر الحديث يكمن في حسن العرض والاداء ، وبفهمهم المنحرف الناشىء عن تلك الايحاءات الثقافية المتباينة التي ليست من وحي التراث القومي المشترك الذي يجمع الناس في صعيد واحد ويطبعهم بطابع الشمول والعمق في الهاماتهم الانسانية المشتركة ، وبعين — بالتأكيد — على ربط الشعور والتفكير برباط واحد — فانه لا مناص لنا من الاعتراف ايضا بسوء تقويم الناس للخلق الثقافي الاسلامي ممن يريدون انتزاع الكفالة التاريخية منه التي وهبها له الله تعالى .

ولم يبق امرا مكتوما عن الناس ما لقيه الاسلام منهم من تهوين وتشنيع وتزوير وخلط جاهل او متعمد بين الاسلام وثقافته ، وبين المسلمين وثقافتهم خلطا لا يعدو ان يكون مظهرا لمنطق الاحقاد والاطماع . وقد لا اكون مغاليا اذا ما قلت انه اصبح من العسير جدا ان توفق بين منطق الثقافة الاسلامية — في جوهرها — وبين فهم الناس لها طالما بقيت تلك الدوافع الاولى والاخيرة من دراستهم مستمدة من دراسات غير نزيهة ملفقة مجزئة لاسرار الاسلام ولمقاصده على غرار تجزئتهم لاممه وشعوبه ، وقد كان في الامكان — لو تجردوا عن الملابسات — ان يظفروا باحسن حظ من دراستهم وتتكون لديهم فكرة ممتدة سليمة عنه قد تتجاوز بصر اقدامهم ، وتتجاوز حدود الفرض الى ميدان القصد والاعتدال في البحث لوجه الحق .

وقد يكفينا في سياق الرد على هذه التجنيات — في صور مشاكل واستنتاجات — ان نذكرهم — واخال اننا في حل وفي غنى عن الرد التفصيلي — بامتداد الحياة الاسلامية بفضل تمدد ثقافتها ، فقد استوعبت امما وشعوبا وانتظمت فيها شؤون دنيا الناس انتظامها لدينهم واستظلوا بظلالها في غير قسوة ولا اكراه .

وكل ما يعلمه الانسان من بين التطورات الثقافية انها تفسح صدرها لكل التركيبات الفكرية — وخاصة عندما تجد الالف الحضاري منذ اللحظة من حياة الاسلام يقفز من بلد الى بلد لا يحرم معه اتباعه من استمتاعهم بثمرات الاحتكاك العلمي ، ولا من كل ما يقع على سمعهم وعلى بصرهم من كل ما جد في الحياة .

وقد كانت نماذج من ذوي الافكار الحية الواعية من المسلمين تظهر من حين لآخر تقيم ما مال من تعاليم الاسلام ، وترد عليه هيبته ، وتحفظ عليه

كرامته ، وتساعد الناس على فهم ما في الثقافة الاسلامية من معنى صحيح وشامل لاستدرار اخلاق الثقافات كلها والاستفادة منها وافراغها في قالب اسلامي . وكان اعظم مظهر لذلك في مطلع نهضة الاسلام الفكرية نشوء فكرة المعتزلة – كتفكير تجريدي – فقد استطاعوا ان يخلقوا جوا فكريا متحررا رائعا وسط سلطة زمنية محافظة قاهرة ، وقد كان في الامكان ان تنال منهم البلاد مواريث ضخمة ويصيبها منهم كسب كبير لولا تدخل عوامل سياسية كان من نتائجها السيئة ان تدفقت فيها تضحيات ، وكان لها ضحايا كثيرون من ذوي الافكار المخنوقة .

وانت تذكر بعض الرجال المعدودين من مفاخر الثقافة الاسلامية في كل عصر من العصور الاسلامية في القديم والحديث حتى تصل الى القرن العشرين ، فتضع ايدينا على امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والكواكبي ورشيد رضا والخولي وغيرهم قدس الله ارواحهم ، فلماذا بقيت اسماؤهم لامعة مع مرور الزمن ، وعالقة باذهان الناس ، ومرتبطة مع التاريخ ؟

لا شيء ، الا لان دعوات المصلحين تقوم على اساس تمثيل فكرة يراد لها الانتصار ، لا على اساس شخصية يراد لها البروز والظهور والشهرة على حساب الجماهير ، ثم اذا تحدثوا تحدثوا عن مواقف فكرية خالدة خلطوها بدمائهم ، وصنعوا منها ملاحم تملأ الدنيا بتلك الصيحات التي تعلو بين جوانب امتهم ، وقد استطاعوا – من اجل هذا كله – ان يؤلفوا من مجهودهم الثقافي ، ومن واقع حياتهم العملية ، ومن اوضاع بلادهم الاجتماعية وحدة لا تتجزأ من مفهوم حياتهم الثقافية وساروا على هذا المنوال – بعد ما استلوا سيوف شخصياتهم من اغمادها – يحددون لتلك الاوضاع مناهجها ، ويكافحون من اجل تطبيقها ، وينطلقون بها الى ميادين لا حد لها .

فان تك افنته الليالي واوشكت
فان له ذكرا سيفني اللياليا

وعندما يذكر الانسان ذلك ، ولا يدخل الى هذه الثقافة من بابها الضيق ، يجزم باستمرار فعلها في جميع العصور ، وباصالتها في تادية رسالتها ، وبصلابة قناتها الفكرية التي تصل بين مختلف الثقافات .

ولعلنا نستفيد اكبر استفادة مما سبق ، السر فيما يشكو منه الناس من الجمود الفكري والركود الادبي وخفة وزن الانتاج الثقافي في بلادنا الذي اشترك في تاليفه عدة عوامل ، ليست من نصيب المثقفين وحدهم ، هذه الظاهرة السلبية التي لها مجالها الواسع في حياتنا الاجتماعية كانت هي المدد الاول والاخير في فتورنا العام ، وتاخرنا الى الصفوف الخلفية من صفوف الناس .

ولم يقتصر ذلك على التخلف الثقافي وحده ، بل تعداه الى ميادين اخرى كان التخلف الثقافي اساسها . وكلما حاولنا التخلص من هذه المآزق وهذه المشاكل وهذه الصراعات الفكرية في الوطن الواحد فلن ينتهي اثرها حتى تنتهي ظروف ظهورها ، فتجد المشاكل وضعها الصحيح وحلها العملي، فيلتمس الناس الحلول لمشاكلهم من انفسهم ، ويسعون الى خلق وسائل المساهمة في التطور العام للمجتمع الذي يعيش فيه .

هذا هو الحل الايجابي لهذا الفقر الثقافي الذي يتوقف على مساهمة الناس وجراتهم وتحررهم من الاسر الفكري والاجتماعي وتكوينهم التكوين الصحيح من جهة ، واماطة الاذى عن طريقهم ، وافساح المجال لهم وتشجيعهم بشتى ضروب التشجيع من جهة اخرى .

وانا لنؤمل – كما يؤمل قادة الحركة الاصلاحية – ان تكون الشعوب الاسلامية قد استفادت – على الاقل – من دروس الفترات القائمة التي تتسم بطابع التخلف والعزلة ، وصبغت جميع اعمالها وانتاجها ونهضاتها بالسطحية والارتجال ، والتي كانت ظروفها قاسية لا زالت تتعثر في اذيالها ، لعلها تكون قد وجدت تفسيرات واضحة جديدة لمشاكلها القائمة المختلفة، ولاخطائها السالفة ، ومحترسة من الوقوع في مثلها ، ومقتنعة بضرورة اتخاذ جميع الوسائل الوقائية ، لضمان سير المبادرات الجديدة الدافعة الى العمل الجاد المنظم المثمر السريع في جميع الميادين، لاسترجاع تلك القوة الكبيرة الجسيمة الاثر ، المستوحاة من تلك المنابع الثرية الاسلامية ، لاستيصال جذور الفساد ، وتوحيد القوى النضالية المتاصلة في النفوس .





اللغـة وسيلة التعبير ورسول التفاهم البشري تتطور بتطـور العصـور ، وتختلف باختلاف البيئـات وتنمو مع الحضارات ، ولا شك ان العناية بحصـر اللغة ودراسة تطورها ضرورة من ضرورات احيائها ، فلست ترى اية امة اهملت دراسة لغتهـا وتخلت عن تعهدها ثم كان المجد حليفها ؛ لان اهمـال اللغة قـد يجر الى القضاء على مجد الامة سواء من الناحيـة العلمية او الادبية او غيرهمـا .

واللغة العربية كانت في العصر الجاهلي تصـور مقتضيـات الحياة العربية ، وتعطي الاسماء لما يحيط بها من مظاهـر ، ثم تطورت بعد ذلك بتطـور العرب لان اللغة تخلق مع الاضطرار ، فاننا نـرى ان العرب ايام العباسيين قاموا بحركة النقـل لكثير من الكتب اليونانية والفارسية والهنديـة وادخلـوا كثيرا مـن المصطلحات العلمية ، فحوروا بذلك بعض الكلمات عن معناها الاصلي الى معنـى اصطلاحي ، وعربوا بعـض الكلمات الاعجمية فادخلوها في قالبهم العربي .

وفكر العرب حينئذ في جمع لغتهـم وحصرها في معجم حتى اذا اراد الباحث ان يعرف المهمل والمستعمل من الالفاظ استطاع ان يصل الى ذلك .

وقد ذكر احمد امين في كتابه ضحى الاسلام (*) ان جمع اللغة مر على مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : جمع الكلمات حيثما اتفق ، مـن غير اختصاص بموضـوع او ترتيب حسب الالفاظ .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضوع واحد او جمـع الكلمـات المتقاربـة اللفظ والمعنى ، او جمع الكلمـات التي تتغير معناهـا ولا يتغير لفظهـا .

المرحلة الثالثة : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع اليه مـن اراد البحث عن معنـى كلمـة .

ونحن في بحثنا هذا يهمنا الطور الثالث الـذي يتعلق بوضع المعجم اللغوي الشامل لمفردات اللغـة ، وقد ابتدا هذا الطور بكتاب العين الذي اختلف مؤرخو الادب في واضعه فذهب جماعة الى انه للخليل بن احمد الفراهيدي ، وذهب ءاخرون الى انه لتلميذه الليث بن المظفـر .

ولقد حاول علماء اللغة العربية ان يهذبوا هـذه المرحلة فكثر بسبب ذلـك وضع المعاجم اللغوية ، واختلفت طرق البحث فيها كمـا اختلفت الفكـرة في اختيار مادتها ، فمن المؤلفين مـن اختار لمعجمـه الفصيح من اللغة واهمل ما دونه كثعلب ، ومنهم مـن اعتبر بعض الكلمات غير صحيحة الوضع فلم يستعملها في معجمه كالجوهري الذي الف كتاب الصحاح ، ومنهم من الف معجمه مختصـرا ومنهم من اطال فيه كابـن منظور في كتابـه لسان العرب .

ومن اشهر المعاجـم اللغوية كتاب القامـوس للفيروزبادي الذي استعمله الناس كثيرا حتى اصبح لفظ القاموس لكلمة معجم في اللغة العربية .

واذا ما استقرانا كثيرا من هاته المعاجم فاننـا نجد ان طريقة البحث فيهـا انما ترجـع الى البحث

(*) ضحى الاسلام لاحمد امين الجزء الثاني الطبعة الثالثة صفحة 263 .

عن الكلمة باعتبار اصلها ، فلا تجد اية كلمة الا اذا كنت عالما باصل وضعها ، او مصدرها ، او مجردها بحيث يتعذر على الجاهل بقواعد اللغة العربية العامة ان يبحث في المعجم عن كثير من الكلمات التي يجهلها، لان هاته الطريقة ان كانت غير مبهمة بالنسبة الى الكلمات الواضحة الاوزان الظاهرة للعيان ، فانها بالنسبة الى الكلمات التي دخل عليها الابدال او الاعلال ، او التي تغيرت تغيرا كبيرا حينما جمعت جمع تكسير لا تبدو يسيرة او سهلة التناول .

فالكلمات الآتية مثلا : اينق وقسي واتقياء جموع تكسير لابد قبل ان تبحث عنها في المعاجم القديمة ان ترجعها الى مفرداتها ، ويتصور مؤلفو تلك المعاجم بانك تعرف ارجاع الجمع الى مفرده بدون كبير عناء ، فهم يتخيلون انك ستدري بدون صعوبة كيف ترجع لفظ اينق الى ناقة ، وقسي الى قوس ، واتقياء الى تقي ، ثم هم يعتبرون انك ستكون عالما بان الف ناقة منقلبة عن واو ، وان الاصل نوق ، ويظنون انك تعرف ان لفظة تقي صفة من التقوى ، وان التقوى اسم من اتقى ، وان اتقى فعل خماسي مزيد بالهمزة والتاء وزنه افتعل ، وانك تعلم القاعدة الصرفية التي تقرر بان كل فعل مجرد اذا كان ثلاثيا مبدوءا بالواو وزيدت فيه الهمزة والتاء ابدلت واوه تاء ، وادغمت احداهما في الاخرى ، وعليه فاصل اتقى وقى ، والبحث عن تقي او اتقياء يجب ان يكون في مادة الواو ، وهذا مما يصعب على الباحث معرفته في اول عهده بتعلم اللغة ، ولذلك فبحق نلاحظ بعد تقديم هذه الامثلة ان المعجم العربي القديم لم يكن معجما تعليميا ، وانما كان موضوعا لمن يحسن اللغة العربية ويعرف اصولها ويربط المفردات بجموعها ، والافعال المزيدة بمجرداتها والمشتقات بمصادرها ، وانها لم تكن معاجم صالحة ليتناولها التلميذ في المدرسة ليتعلم بها لغته ، او لتقدم الى الاجانب الذين يرغبون في تعلم لغتنا .

وبصفتي استاذ اللغة العربية فانني الاحظ عدم اعتناء التلاميذ بتحضير كثير من القطع الادبية لانهم لا يستعملون المعجم العربي الا لماما ، فاذا سالتهم وجدتهم يشمئزون من الطريقة التي يسير عليها المعجم، فهم ما زالوا حديثي عهد باللغة ويعملون على تعلمها ولكنهم يجدون انفسهم امام معاجم تتطلب منهم ان يكونوا خبيرين بقواعد الصرف والنحو ، والاطلاع على السماعي من اللغة وعلى القياسي منها وهذا ما يرهقهم ويبعدهم عن الاستمتاع بمطالعة الكتب العربية والاهتمام بها ، فهم يتمنون لو كان المعجم مهيئا لهم تهييئا يقربهم من الغاية شأن المعاجم الاوربية .

والحقيقة ان معاجمنا لو كانت مرتبة على الترتيب اللفظي لكان انتشار اللغة العربية بين التلاميذ اكثر مما هو عليه الآن .

فالمعجم الفرنسي مثلا حينما تريد ان تبحث فيه عن   او   او
فانك تبحث عن مبتدأ اللفظ من غير اعتبار اصله

، وهذا مما يسر اللغة الفرنسية وجعلها في متناول الراغبين في تعلمها .

ولذلك لاحظ الاستاذ الوفي الصقلي مدير المدرسة الادارية حاليا حينما كان مفتشا للغة العربية ان التلاميذ لا يستعملون المعجم العربي لانهم لا يجدونه موضوعا بكيفية واضحة وقام حينئذ بجولة عامة يدعو جميع اساتذة اللغة العربية الى التفكير في وضع معجم عربي جديد يسير على نسق البحث عن اللفظ لا عن الاصل ويكون معجما مدرسيا يحبب التلاميذ في لغتهم وييسر لهم سبيل الاطلاع عليها .

وحيث كنت اشعر بنفس شعوره فقد حاولت ان اضع هذه النظرية في حيز التطبيق وشرعت في تنظيم المعجم الجديد وجمع مادته منذ سنة 1958 : وقمت بندوات شرحت فيها النظرية الجديدة في تنظيم المعجم العربي التعليمي الذي سيفيد كثيرا من اراد تعلم اللغة العربية من ناشئتنا ومن الاجانب .

ومما حفزني الى العمل على تحقيق هذا المشروع الجديد في تطور المعجم العربي شعور كثير من ادباء العرب وعلماء اللغة بما يتجلى من ضعف في ترتيب معاجمنا ، وعقم في شكلها ، فلقد ذكر الاديب اللغوي المشهور ابراهيم اليازجي المتوفى سنة 1906 في سياق الحديث حول اصلاح المعجم اللغوي العربي قوله : (.. وان ترتيب الالفاظ على وجه سهل المراجعة لا يكلف عناء ولا بحثا طويلا بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليه في اللغات الاوربية) (*) .

وقد حاولت وزارة التعليم بمصر سنة 1904 ان تقرب اللغة الى اذهان النشء فامرت الاستاذ محمود افندي خاطر بترتيب كتاب مختار الصحاح للجوهري الذي صحح

(*) المختارات للأب رفائيل نخلة اليسوعي ، الجزء الثاني طبع 1931 صفحة 10

اوضاعه الاستاذ حمزة فتح الله ، وقد رتبه محمود خاطر حسب اللفظ بالنسبة الى الكلمات التي دخلها اعلال او ابدال او ادغام ، ولكنه لم يرتبه كذلك بالنسبة الى باقي المشتقات ، (※) قال : (الاشتقاق وما يلحق ابنية المشتقات من عوارض الادغام والاعلال ، وما يتصل بهما من اشد الامور التباسا فى هذه اللغة ، فكثيرا ما تختلف على الناظر مظانه وتنفرج فيه مسافة الحدس لتعدد وجوه التغييرات بين الاصل المشتق منه والفرع المشتق ولتردد الكلمات فيه بين اصلين حتى كان منه بعض المرية عند كثير من الباحثين والمستفيدين ، وادى بهم تقليب النظر فى سبيله الى الحيرة والملل .

ثم قال .. (وانى يسهل على المبتدىء فى اول الامر ان الميزاب يطلب فى مادة (وزب) وتجاه الشيء فى مادة (وجه) ، وتترى فى (وتر) وان السلسبيل فى (سبل) ، وان السنة فى (سنه) او (سنو) والسنة للنعاس فى (وسن) ، وان قولهم عم صباحا فى (نعم) وايم الله فى (يمن) الى غير ذلك مما لا يهتدي اليه الا بعد المزاولة وطول التدريب) .

وليس بعد هذين النصين من ينكر فضل هاته الطريقة على المبتدىء فى اللغة وعلى ما ستستفيد منه لغتنا ان شاء الله فى المستقبل القريب بعد ان اتمم تنقيح معجمي الجديد ويصبح فى متناول التلاميذ وغيرهم من الذين يعملون على نشر اللغة العربية فى بلادنا .

واليكم بعض النماذج لتلاحظوا الفرق بين الطريقة الجديدة التي اتبعها فى المعجم التعليمي العربي وبين الطريقة القديمة :

فمثلا :

نجد	فى المعجم الجديد	فى المعجم القديم
تهمة	فى التاء والهاء ..	فى وهم
تراث	فى التاء والراء	فى ورث
تقى	فى التاء والقاف	وقى
اتقياء	فى الهمزة والتاء والقاف	
ديمومة	فى الدال والياء والميم لخ	دوم
آبار	فى الهمزة مع المد ثم الباء	فى الباء ثم الهمزة ثم الراء
آرام	فى الهمزة مع المد ثم الراء	فى الراء ... ثم الميم
قسى	فى القاف والسين والباء	فى القاف والواو والسين
آلات	فى الهمزة مع المد ثم اللام لخ	فى اول
توخى	فى التاء والواو والخاء لخ	فى اخو ..
ماء	فى الميم الممدودة ثم همزة	فى موه
ابابيل	فى الهمزة مع الباء الممدودة	فى ابل
اخدود	فى الهمزة والخاء	فى الخاء والدال
ارنب	فى الهمزة والراء	فى رنب
اسارير	فى الهمزة مع السين الممدودة	فى سرر
اسلوب	فى الهمزة مع السين	فى سلب
بسمة	فى السين والميم والتاء	فى وسم

وبعد الاطلاع على هذه النماذج سنشعر بفائدة الطريقة الجديدة فى وضع المعجم العربي التعليمي وما سيحدثه من تغيير فى الطرق التعليمية لكثير من قواعد التصريف .

※ مقدمة مختار الصحاح المرتب طبع سنة 1928 الطبعة الثانية .

فاس — محمد عبد العزيز الدباغ

معرض الكتب



مع اللهب المقدس

بقلم
الأستاذ رابح منصر

اود قبل ان اسطر هذه الكلمات حول ديوان (اللهب (*) المقدس) ان اقدم على صفحات هذه المجلة تحية الى استاذي الكبير شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء ، اقدم له هذه التحية لا على ما تضمنه ديوانه الشعري من ءايات الشعر ، ولا على ما في هذه الابيات من صور فنية ترتفع بعواطفنا وبعقولنا الى مستوى رفيع ، وانما اقدم هذه التحية مصحوبة بانحناءة الى الشاعر زكرياء تقديرا مني للمجهود العظيم الذي بذله في اخراج هذا الديوان الحافل بمعاني الحياة الثورية في هذا الوقت الذي اجتازت فيه الثورة الجزائرية مرحلة الطفولة ان صح هذا التعبير الى مرحلة النضج والاثمار .

وهنا اجد نفسي حائرا امام (اللهب المقدس) ، وهذه الحيرة تتمثل في الجوانب العديدة للديوان فهو لا يصور فقط فترة ثورية من اعنف ما عرفت الفترات الثورية في تاريخ الانسانية من عنف وانما يصور زحف شعب كامل نحو النور ، يصور فوق ذلك جيلا كاملا يحمل مشعلا مقدسا ليبدد به كثافة الظلام الذي يعم جوانب حياته المختلفة ، واخيرا يصور الشاعر زكرياء في (لهيبه المقدس) الشعب الثائر والامة التي امتزجت بهذه الروح الثورية فتمخضت عنها حالة نفسية ثائرة تندفع نحو الهدف في قوة واصرار ، وعن وعي انساني عميق باذلة كل التضحيات من اجل تجسيم هذا الهدف وجعله حقيقة انسانية اجتماعية كانت خلال قرن وما يقارب نصف القرن خيالا جميلا يداعب العواطف والعقول والقلوب جميعا .

واللهب المقدس يمثل مرحلة متميزة من حياة الشاعر النضالية ، مرحلة انفعل فيها مع الاحداث الثورية انفعالا شاعريا عميقا فقد عاش التجربة الثورية في جانبها العنيف كما عاشها في جانبها السياسي الهادىء ، ومزية الشاعر في (اللهب المقدس) انه عانى الزحف الثوري بجميع ابعاده ، ولذلك استطاع ان يرسم لنا خطوط هذه الابعاد في اطار شعري انيق ومؤثر وزاخر بالانفعالات الثورية الملتهبة ، وغير هين ولا يسير ان يجمع شاعر ما بين هذه الاشياء جميعا دون ان يضحي بقدر معين من صناعة الفن الشعري ومن الاناقة في التعبير التي هي ظاهرة جمالية يفقد الشعر معها كيانه العضوي ان هي اعوزته .

وشاعرنا مفدي زكرياء قد وفق في الجمع بين هذه المظاهر الفنية التي تضفي على العمل الشعري طابعا اصيلا ، والحق ان هذا التوفيق لم يكن حدثا مفاجئا للذين كان لهم اتصال بانتاج صاحب (اللهب المقدس) ، فقد عرف باصالته الشعرية وبعمق احساسه وقوة استجاباته العفوية لما يواجهه من وقائع واحداث ، خاصة اذا كانت مرتبطة بالواقع القومي الذي يحتل مكانة ممتازة في عدسة الشاعر .

وقد كان جميلا من الشاعر حين تواضع عند ما قال : لم اعن في (اللهب المقدس) بالفن والصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته

(*) اللهب المقدس : طبع مطابع دار الكتاب ، نشر المكتب التجاري ببيروت .

المطلولة .. والشعر الحق في نظري الهام لافن ، وعفوية لا صناعة » . حقا لم يعن الشاعر زكرياء بالفن والصناعة لانه في نظري ايضا في غنى عنهما ، ما دام شاعرا اصيلا ولا تستقيم الاصالة مع العناية ، وما دام الشعر الهاما كما قال شاعرنا — والالهام لا يعدو ان يكون حالة نفسية او رعشة ذاتية تعتري الفنان دون وعي منه ، اقول ما دام الشعر الهاما ، فلا مجال هنا لاعداد سابق او عناية حسب تعبير الشاعر لان الشاعر الاصيل لا يمتلك مصير التعبير عن ذاته في جميع الاوقات ، وانما هي لحظات يعتريه فيها

نوع من الذهول الشعري لا يجد معها من سبيل سوى ان يقول شعرا ، ان يقول فنا تهتز له العواطف والقلوب والعقول جميعا ، تلك هي ساعات الوحي او الالهام او الاجهاض الشعري كما عبر لنا ذلك مرة شاعرنا زكرياء في احدى امسياته الشعرية بالرباط .

وايا كان الامر فاننا في حديثنا عن (اللهب المقدس) يجب ان تظل حقيقة واحدة كبرى هدفنا في الحديث دون سواها اذا اردنا ان نفهم الجانب الممتع في ديوان مفدي زكرياء واقول (جانبا) لان جوانبه كلها ممتعة ، غير ان جانبا واحدا هو اكثر امتاعا ، ويجب ان يكون هو مركز الاتجاه ، وهذه الحقيقة التي اعينها هي الحقيقة الثورية في الديوان ، فالديوان صورة معبرة لواقع ثوري تمتد جذوره في اعماق الشاعر زكرياء الى عشرات السنين ، واكاد هنا لا اجد فارقا كبيرا بين القصيدة التي قالها الشاعر في زنزانته في سجن (بربروس) في الوقت الذي كان فيه لهيب الثورة يكتسح معاقل الاستعمار والقصيدة التي قالها في مناسبة قومية قبيل اندلاع الشرارة الاولى من ثورة الجزائر المقدسة ، فثورية الشاعر الاصيلة هي التي تضفي على الديوان ظاهرة ثورية خاصة ، هي هذه الحالة الثورية الناضجة الواعية لمعنى الثورة ولدلالتها البعيدة المدى ، والايمان بحتمية الثورة هو الاخير سيجده القارىء في اكثر قصيدة في هذا الديوان .

ولعله اجدى للقارىء ان نقدم له بعض الامثلة المعبرة عن اصالة الشاعر وثوريته وايمانه بحتمية الثورة في تحطيم واقع الاستعمار :

الذبيح الصاعد (※)

قام يختال كالمسيح وئيدا
يتهادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر ، كالملائك او كالطفـ
ـل يستقبل الصباح الجديدا

شامخا انفه ، جلالا وتيها :
رافعا راسه يناجي الخلودا

حالما كالكليم كلمه المجـ
ـد فشد الحبال يبغي الصعودا

وتسامى كالروح في ليلة القدر
سلاما يشع في الكون عيدا

وامتطى مذبح البطولة معرا
جا ووافى السماء يرجو المزيدا

وتعالى مثل المؤذن يتلو
كلمات الهدى ويدعو الرقودا

صرخت ترجف العوالم منها
ونداء مضى يهز الوجودا

اشنقوني فلست اخشى حبالا
واصلبوني ، فلست اخشى حديدا

وامتثل سافرا محياك جلا
دي ولا تلتثم فلست حقودا

واقض يا موت في ما انت قاض
انا راض ان عاش شعبي سعيدا

انا ان مت ، فالجزائر تحيا
حرة ، مستقلة لن تبيدا

قولة ردد الزمان صداها
قدسيا فاحسن الترديدا

هذه ابيات من قصيدة « الذبيح الصاعد » كم وددت لو اني عرضتها هنا ليرى القارىء ويحكم ، ونظرا لطولها ولروعتها جميعا فضلت تسجيل هذا الصدى اليسير منها ، وكان بودي ايضا ان انتقي (العيون) منها ولكنها كلها (عيون) فليعد القارىء الى الديوان فهو اهون سبيل واجداه .

※ الديوان ص 9

والابيات الشعرية السالفة الذكر تعطي صورة حية عن ديوان (اللهب المقدس) فهو يتضمن مجموعة شعرية من ارفع ما عرفت العربية من شعر منذ عهد المتنبي والبحتري والمعرى ، ولا اجد غضاضة فى وضع شعر مفدي زكرياء فى مستوى شعر هؤلاء الفحول من شعراء العربية ، فالمتانة فى التعبير والدقة فى التصوير ، ظاهرتان يتميز بهما شاعر الثورة الجزائرية ، الذي جاء شعره واضحا وضوح الثورة متدفقا تدفقها ، لقد فتنت حقا بالصورة المعبرة لهذا البيت :

وامتثل سافرا محياك جلا
دي ولا تلتثم فلست حقودا

لقد استنطق الشاعر الشهيد فعبر بذلك عن واقع الثورة هذا الواقع الضخم فى بيت من الشعر ، ان الشهيد الذي يدفع الى المشنقة مختالا يتهادى يندفع نحو جلاده يخاطبه ليؤكد له خلاصة ما فى الثورة من جلال وعظمة ومن تسامح ونبل ، فليكشف الجلاد او الاستعمار عن وجهه فليس من طبع الشهداء الابطال الحقد ، وليكشف الاستعمار عن وجهه فلا مجال للتستر فالشعب قد وعى مصيره .

هذه لقطة من اروع لقطات مفدي زكرياء الشعرية وهي ليست الوحيدة فى الديوان فهو يكاد يكون مجموعة من الروائع الفنية التي تصور بصدق مراحل نضال الشعب الجزائري ، هذا النضال الذي يسمو احيانا ويكاد يكون اسطورة فى تلك الاساطير التي يحدثنا عنها الادب اليوناني القديم .

وهذه ابيات اخرى من قصيدة (وتكلم الرشاش جل جلاله) (*) لا استطيع ان انكر القارىء ان اعجابي بها قد تجاوز كل حد ، سواء من ناحية البناء الفني او من ناحية هذه المعاني الزاخرة التي تحفل بها ، وقد ذكرتني مفدي زكرياء فى هذه القصيدة بشاعر العراق الفحل (محمد مهدي الجواهري) فى قصيدته (اخي جعفر) التي تعد من اروع وافخم ما قيل فى الشعر العربي منذ عهد ابي الطيب المتنبي حتى الآن ، والحق هؤلاء الشعراء الثلاثة لا اتردد فى القول بانهم : يصدرون جميعهم عن معين واحد ، مع ضرورة مراعاة ظروف العصر وبيئته ، وان كانت العبقرية الخلاقة لا تحفل كثيرا بمثل هذه الظروف ،

والآن لنعد الى قصيدة : **وتكلم الرشاش جل جلاله :**

اكباد من ... ؟ هذي التي تتفطر ؟
ودماء من .. ؟ هذي التي تتقطر ؟
وقلوب من .. ؟ هذي التي انفاسها
فوق المذابح للسماء تعطر ؟
ورؤوس من ..؟ تلك التي ترقى الى
حبل المشانق طلقة تتبختر ؟
ومن الذي ..؟ عرض الجزائر شبها
من كل شاهقة لظى تتسعرا ؟

اجهنم .. هذي التي افواهها
من كل فج نقمة تتفجر
ام ارض ربك ، زلزلت زلزالها
كما طغى فى ارضه المستعمر
غضب الجزائر ذاك .. ام احرارها
ذكروا الجراح فاقسموا ان يثاروا
ارض الجزائر والسماء تحالفا
فاختط حلفهما النجيع الاحمر

وتكلم الرشاش جل جلاله
فاهتزت الدنيا وضج النير
وتنزلت اياته لهابة
لواحة اصغى لها المتهتر
والنار للالم المبرح بلسم
يكوى به العظم الكسير فيجبر

لو ان مجال النشر يسمح لما توقفت عن ايراد هذه التحفة الشاعرية يسمح لما توقفت عن ايراد هذه التحفة الشاعرية كاملة غير منقوصة ، ولكن انصح القارىء بالعودة الى الديوان ان اراد الاستمتاع بهذا الفن الشعري الثائر الذي يمكن القول دون اسراف بان الشاعر مفدي زكرياء اول رواده فى شعراء العربية فيما اعتقد ، ولي رغبة جامحة فى ان احلل هذه القصيدة او بادق تعبير الابيات السالفة الذكر ، ولكن ايماني بأن الشعر يتعالى عن كل تحليل وانه ليس من طبيعة الفزياء او الكمياء ، ايماني هذا هو الذي جعلني احجم عن عملية التحليل لادع القارىء الكريم يستجيب عفويا مع هذه المقطوعة والتي قبلها لان لذة الشعر تكمن فى الاستجابة التلقائية العفوية .

الرباط — رابح منصر

(*) الديوان ص 133 .

القضايا الإسلامية الكبرى

تأليف
عبد المتعال الصعيدي
قرأه وعلق عليه
الأستاذ عبد القادر زمامة

في تاريخ الاسلام قضايا سياسية ومدنية وجنائية وعقائدية اختلفت في معالجتها وتصويرها والحكم لها او عليها اوجه النظر بين الناس سواء منهم من عاصرها او من لم يعاصرها من الباحثين مسلمين وغير مسلمين .. وهذه القضايا مبعثرة بين كتب التاريخ والشريعة والادب كما ان منها الجديد الطريف الذي عاصره الناس في عصرنا الحاضر .. والقديم المطوي في بطون المدونات التاريخية الكبرى .

والكتاب الذي بين يدي الآن تعرض لكثير من هذه القضايا وجمعها ورتبها ترتيبا زمنيا مبتدئا بعصر الرسول عليه السلام ثم ما تلاه من عصور الى الآن .. اما مؤلفه فهو الاستاذ عبد المتعال الصعيدي العالم الشهير صاحب الاثار المعروفة في اللغة والتاريخ والادب والشريعة ، وترجع اهمية هذا الكتاب الى التنوع في عرض القضايا ، فهو لا يعالج قضايا ذات موضوع خاص .. او عصر خاص كما لايقتصر على الشهير المعروف .. بل يجاوز ذلك الى الخفي المجهول فيعرض الجميع عرضا لا يخلو من طرافة وروعة ودقة واتزان .. ومعرفة بجذور القضية التي يعالجها .. وتعمق كبير في اسبابها .. فقضايا عصر الرسول من قصة الافك .. وطلاق زينب والتجسس لفائدة قريش .. وقتل بني قريظة .. والثلاثة الذين خلفوا .. وغيرها يعالجها المؤلف من وجهة النظر التاريخية والشرعية .. من غير ان يأتي بجديد غير طرافة العرض ووضوح الاسلوب وهضم الاسباب والمسببات هضما غاب عن كثير من المؤرخين وان لم يغب عن جميعهم ..

وقد سبق للدكتور هيكل في ـ حياة محمد ـ وغيره ان عالجوا نفس القضايا وتفهموا ملابساتها تفهما عميقا .. لكن الشيخ عبد المتعال اغزر مادة .. وهؤلاء اغزر منطقا وحجة ..

وقضايا عصر الخلفاء الراشدين بما فيها من قتل خالد بن الوليد لابن نويرة ، وثورة عمر بن الخطاب لذلك .. وقذف المغيرة بن شعبة .. والتحكيم في الخلافة .. وقتل الهرمزان .. واستشهاد عثمان .. والتحكيم بين علي ومعاوية .. يعالجها المؤلف بوعي وتبصر واستقصاء لوجهة النظر التاريخية النزيهة .. من غير ان يولد الاحداث توليدا .. ومن غير ان يبني فروضا على فروض كما يقع لكثير من الباحثين الذين يجهلون المادة التاريخية جهلا فيعمدون الى مادة الخيال في الفرض والاستنتاج والتوليد ، ولا ادري لم اغفل المؤلف واقعة الجمل وموقف ام المؤمنين السيدة عائشة من قضية عثمان ، وموقف طلحة والزبير من نفس القضية .. ؟ ولعله راى السكوت عنها لانها قضية سياسية وحربية وهو شديد الاهتمام بالقضايا المدنية والجنائية .

اما قضايا عصر بني امية فاهمها في نظر المؤلف قضية استلحاق معاوية لزياد وقتل سعيد بن جبير وحبس سعيد بن المسيب .. وحبس يزيد بن المهلب ، وليس في هذه القضايا من جديد عند المؤلف سوى انه جمع المتفرق .. وضم الشتيت واستنتج نتائج مهمة من سير القضايا ووجهة نظر المشرعين فيها مثل قوله في قضية سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج : (ان سعيد بن جبير اسرف في القرب من الحجاج ، فلما اراد ان ينكر عليه اسرف في الانكار ،

ووقع في فتنة عمياء سفك فيها كثير من دماء المسلمين ، وصرفوا بها عن جهاد عدو من اعدائهم الى قتل انفسهم) .

وليس معنى هذا ان المؤلف يبرر موقف الحجاج من قتل هذا السيد الجليل ، ولكن معناه انه يتعمق الحوادث ويهضم الاسباب ، فظلم الحجاج وسفكه للدماء اشهر من نار على علم .

ولا ادري لم اغفل المؤلف قضية مصادرة فاتح الاندلس العظيم موسى بن نصير ، وماساته الشهيرة مع انها من صميم القضايا ومن اهمها في عصر الامويين؟

وتتبع المؤلف قضايا عصر بني العباس بما فيها من ضرب الامام ابن حنبل ، وفتنة الحلاج ، وقضية الافشين وغيرها .. فعرضها عرضا رائعا واضح المعالم ، وتتبع سير الاحداث بمهارة واطلاع وسعة افق ، فلم يجار المؤيدين لسياسة الدولة ، كما لم ينتقد الا ما وجب نقده من انحراف عن جادة الحق والصواب .

واقرا ما كتبه عن ادانة المنصور في حبسه لابي حنيفة حين امتنع من ولاية القضاء ، ثم ضربه وموته من اثر الضرب ، فعمل المنصور كان مشينا ازاء رجل بلغ من نزاهته وعفة ضميره ان هجر وظائف الدولة لكي لا يتورط فيما يتورط فيه كثير من الناس ..

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا جميع القضايا التي عرضها المؤلف كنفي بن رشد ، وجدال ابن تيمية للاشاعرة ومحنة هذا السلفي العظيم ، غير اننا لا نطوي الحديث عن هذا الكتاب دون أن نتعرض لقضيتين هما قضية كتاب ـ الاسلام واصول الحكم ـ للاستاذ علي عبد الرازق وكتاب ـ في الشعر الجاهلي ـ للدكتور طه حسين .

فالقضية الاولى احاط المؤلف بجذورها عندما ابان موقف الاتراك في اسقاط الخلافة الاسلامية وطمع الملك فؤاد في تقمصها .. ومعارضة حزب الاحرار الدستوريين الذين كان الشيخ علي عبد الرازق من اعضائه البارزين .. وقد الف كتابه موضحا ان الاسلام عقيدة وسلوك .. لا شان له بالحكم والدولة فقامت عليه ضجة حوكم على اثرها وحرم من لقب ـ العالمية ـ .

والقضية الثانية عالجها بسعة افق وانصاف ايد فيها البحث العلمي .. وقدم طه حسين كنابغة من نوابغ العصر ولكنه لم ينزهه عن الخطا والتناقض ، فقال عن مؤلف (في الشعر الجاهلي) ما نصه :

(فالمؤلف قد تورط في هذا الموقف الذي لا صلة بينه وبين العلم بغير ضرورة يقتضيها بحثه ، لان ما اراده من انكار قضية تعلم اسماعيل للعربية من العاربة لم يكن يستدعي التشكك في صحة اخبار القرءان عن ابراهيم واسماعيل) .

وهكذا يختم الشيخ عبد المتعال هذا المؤلف الطريف بعد ان يثير اعجابنا باطلاعه وانصافه وتعمقه.

فاس ـ عبد القادر زمامة





سعدنا بعيد العرش

للفقيه
محمد معمري الزواوي

مولاي جئنا اليوم للافصاح ... عما دهانا من اسى فضاح
كنا فجعنا عند موتك مصعقيـ ... ـن وهائمين بغدوة ورواح
تتساءل الافواج فى الحزن العميـ ... ـق عن المآل وهل مواسي جراح
من يجمع الاشتات بعد محمد ... من يزهر الاوطان بالاصلاح
من يملأ الآذان نصحا مثله ... وينير رشدا أعمق الارواح
من تقصد الركبان من اقصى البلا ... د لتستنير برايه الوضاح
من يرحم الضعفاء مثل محمد ... ويزيح عنهم أثقل الارزاح
من ينشر الحرب العوان على الجها ... لة كي ينير عقولنا بصلاح
ويقول جدوا فى العلوم لتصلحوا ... والعلم ضد الجهل خير سلاح
من يرشد الفلاح للسير الجديـ ... ـد ويعتني بنصيحة الفلاح
ليقينه ان الفلاحة منبع الـ ... ـيسر العظيم مبلغ الاطماح
هي مورد الارزاق فى كل الجها ... ت بها الحياة ونعمة الفتاح
ظنوا القيامة انشبت اظفارها ... بمصابنا فى المغرب المجتاح
فتداركتنا رحمة من ربنا ... بولي عهدك مفرج الأتراح
لم تقتصر بالسعي ايام الحيا ... ة لمغرب انقذته بنجاح
بل كنت تسهر فى وسائل نفعه ... فى حاضر ومآله المنزاح
فجعلته خير ابنم لكرام اسـ ... ـلاف توارث ملكهم برجاح
كنت المهذب روحه بعناية ... وتعده ذخر اهتدا وكفاح
لقنته رشد الحياة موضحا ... سبل السعادة اكمل الايضاح

نرجو من الله الكمال لنعمة ... اسديتها كذخيرة النصاح

يسمو به العرش المفدى كلما ... هبت بنصره اطيب الأنفاح

ورضاك عنه خير ما ورثته ... لرعاية الرحمن كالمفتاح

ثم هانئا فى نعمة الله الكريـ ... ـم منعما بثوابه الفياح

اما البلاد ففى النعيم بتجلك الـ ... ـحسن المثنى خدن كل سماح

والاك محسن كل ما كلفته ... بوصاية رقي العلا برباح

اهتز بند العرش يوم صعوده ... اذ بالصلاح بدا وبالاصلاح

تشدو البلاد لانها فى نعمة ... يغدو بها للعز والافراح

بالجد والاها وبالسعي الحثيـ ... ـث مؤسسا ومتوجا بفلاح

هذي المدارس للثقافة تبتني ... كي نستفيد طهارة الارواح

ويهذب النشأ الفتي فليس للـ ... ـاقوام اس كاهتدا بصلاح

هذي الفلاحة فى ابتهاج تجدد ... بوسائل الانتاج والارباح

هذي العمارة بالمشيد وقاية ... من موبقات الفقر والأرزاح

هذا النظام مؤسسا بعناية ... تعلي النهي كزواهر الامراح

يغدو على فكر الرشاد ليكسب الـ ... ـشعب الكريم ضمانة الاشباح

اما الوسائل فى مواصلة البلا ... د الخارجية كلها بسماح

يحدو مناهجك الكريمة موقنا ... ان اقتفاك بها ضمان نجاح

احيي بذكرك عهد اسلاف الهدى ... بمجامع التدريس والأمداح

مولاي زد جدا لعز كرامة ... فى نعمة بتزايد الافراح

دامت لك العلياء كي تزهى بك الـ ... ـاوطان كل عشية وصباح

الرباط ـ محمد معمري الزواوي
وزير القصور الملكية



الشعبُ في ذِمَمِ الملوك وديعة

للشاعر الجزائري مفدي زكرياء

لمن السواجع ، ينطلقن هديلا ؟   والروض ، وضاح السمات ، بليلا ؟
ولم البراعم يرتعشن ، وقد سرى   فيهن مسحور النسيم عليلا ؟
وعلى من تحمر الورود ، من الندى   يهوى على وجناتها تقبيلا ؟
ولم الحناجر ، بالبشائر لعلعت   فتصاعدت نغماتها تهليلا ؟
ولم العذارى ، زغردت ، فغنا لها   سمع الزمان ، مرنحا ، مثمولا ؟
ولم البلاد ، ازينت ، وتبرجت   وتناهلت كاس الهنا معلولا ؟
والباسقات السمر من وجداتها   نشوى ، تدق مزامرا وطبولا
والارض تمعن في النميمة بالسما   ولطالما حسد الجميل جميلا
الاجل عيد الشعب .. صفت نجومها   آذار – فوق جبينها اكليلا ؟
آذار .. ها أناذا .. بعيدك ماثل   ولكم اقمت على الوفاء دليلا
ولكم نزلت على رباط بموطني   ووجدت من اهلي الكرام قبيلا
أرباط ... هل بك مثل ما بي لوعة   ام كان حظي من هواك ضئيلا ؟
طارت بي الاشواق نحوك ، بعد ما   غالبتها .. حينا .. وكان طويلا
وهفا الفؤاد الى حماك .. وما انقضى   هذا الفؤاد بعدوتيك نزيلا
وسما بي الالهام فيك ... وانه   لولا التقى ... لحسبته تنزيلا
والشعر ، وحي من سمائك .. جئته   ممن يعلم في سماك ... الجيلا
لا تعجبوا ... اما ذكرت محمدا   في الخالدين ، ذكرت جبرائيلا
وكلاهما اتخذ الخلود ، فعبدا   للصاعدين الى الخلود سبيلا
وكلاهما صدق الرسالة .. فاقتدى   هذا لذاك .. خليفة وزميلا
ان كان تحرير الشعوب رسالة   فلم ابن يوسف لا يعد رسولا ؟
ومن الذى ينفى رسالة مصلح   ما انفك يصنع بالحفاظ عقولا ؟
ومن الذى لا ينحني لمعلم   فتح العيون وأرشد الضليلا ؟
كلماته بالمعجزات نواطق   وحديثه ... لا يقبل التأويلا

وكفاحه للصامدين عنايـــة   ضمنت لركب الزاحفين وصـــولا
هزم المنية بالحياة ... فراعهـــا   وأراح من أزماتـه ... عزريـــلا
هو بيننا .. فتبينوا .. تجدوا له   من صلبه ـ في المهرجان ـ مثيـــلا
هو ذا ..هنا..في شعبه ..فتأملوا   تجدوا ابن يوسف ما استطاب رحيلا

* * *

ما ذا ارى ؟ .. أمحمد في عرشـــه   يتلو البيـــان مفصـــلا تفصيـــلا ؟
آمنت ... لما ان سمعتك قائـــلا :   « عهد ابن يوسف لم يزل موصولا»
انا ظله ... انا نفحة من روحـــه   مهما بذلـت ، رايـت ذاك قليـــلا
انا ذرة من طينـــه ، خـــلاقـــة   تبني الحيـــاة ، ولا تهـاب جليـــلا
انا جذوة من نوره ... انا كوكـب   من افقه ... ما ان يريك افـــولا
انا فكرة من روعه ... انا قصـــة   من مجده ... لا تقبل التبديـــلا
انا نبتة من غرسه ... وخلاصـة   من درسه ، لا تبتغي التحويـــلا
انا صارم في كفه ، يحمي الحمـــى   وكما عهدتم ... لن يزال صقيـــلا
ودعامة كبـــرى ، لوحـــدة مغـــرب   كم شاد مجـــدا للبقـــاء اثيـــلا
انا للجـــزائـــر ، لن ازال مقدســـا   عهد ابن يوسف ... لن احيد فتيلا
مهما طغى المستعمرون ، وأجرمـــوا   فسليل مكة ... لا يخاف الفيلا..

* * *

حسن فديتك ـ كنت اصدق ناطق   هزم النفاق ، وزلـزل التدجيـــلا
ملك الشباب ... وللشباب مطامح   حققت منهـــا الارشـــد المعقـــولا
وغزوت مشبوب الحماس رويـــة   ومن الشبيبة من يكون عجولا ...
تحدو مـــواكبهـــا بخبـــرة ملهـــم   وتقـــود فيهـــا للكفـــاح رعيـــلا
سقت الشراع على الخضم بحكمـــة   فمضى شراعك ، كالشعـــاع ذلـــولا
وسمعت عن كبش الفداء حكايـــة   فسبقت فيه اباك : اسماعيـــلا
ونزلت معركة الجلاء ... فلم تلـــن   للغاصبين ... ولا أجرت دخيـــلا
ورفعت شعبك فوق تاجك عـــزة   فغدوت فيـه ، الرافـــع المحمـــولا
وفتحت صدرك للعتاب ، تسيغـــه   ما لم يكـــن كذبـــا ، ولا تضليـــلا
للرأى في عصـــر التقـــدم حرمـــة   ما لم يكن فوضى ، ... ولا مدخولا
والشعب في ذمم الملوك وديعـــة   مهما يكن عبء الشعوب ثقيـــلا
والملك في ذمم الشعوب امانـــة   ما دام ظـــلا للصـــلاح ظليـــلا

والوحدة الكبرى ... رفعت لواءها ورسمت مناهجا لها واصولا

صرخت بها ـ ملء العروق ـ دماؤنا وزكا بها الحب العميق اصيلا

والمغرب العربي اقدس وحدة صنعت وشائجها ، القرون الاولى

غنيت في فجر الحياة نشيدها ووضعت في (ثالوثها) انجيلا

ووقفت في دنيا العروبة ، ضارعا متبتلا بجلالها تبتيلا

واناشد الاحرار ... على واجد حرا ، تعفف ان يكون عميلا ...

ولعل في العرب الكرام بقية ترعى الضمير ... وعهده المسؤولا ..

وتوحد العزمات ... حتى لا ترى في أرض يعرب ... ظل اسرائيلا

الصدر ضاق .. وما استطعت فصاحة ولرب صمت الحر ، أقوم قيلا

وبخاطري سر ، ينوء بحمله رضوى ، وكنت لما ينوء حمولا

لا تسالوني ... أنتم ادرى به وكفاحنا ... ما أن يزال طويلا

وتقلبات الدهر ، اكبر واعظ يجلو الغموض ، ويكشف المجهولا

* * *

يادار ... والبشرى تلوح بنودها خفاقة ... عرض البلاد ، وطولا

والموكب الميمون ، يزحف زاخرا جرف البلاد ، هضابها ، وسهولا

والذكريات الضارعات ، اعدن لي ايام كنا لا نخاف عدولا

والامسيات الحالمات ، يخلنني ما زلت اجمع بالصباح اصيلا

رفقا بقلب ... في دروبك لم يزل رغم الوقار ... متيما متبولا

قلب ... كأن نياطه بمراكش شدت ، فحط جناحه المبلولا

وكانما نبضاته ، دقاته ما ان يطيق لجرسها تعديلا

هذي التي منها نظمت خوالدي غررا على قسماتها وحجولا

وبها اهني الشعب .. والحسن الذي ما انفك فيها حارسا وكفيلا .

قصر دار السلام

الرباط 11 ـ 3 ـ 62





عيد اظل سناه العرش والوطنا ... وبايع الدهر فيه العاهل الحسنا

اهل والدمع رطب في محاجرنا ... والجرح دام فأجرى الدمع والشجنا

على الذي صنع التاريخ وامتلأت ... منه القلوب واعيا سعيه الزمنا

وصابر البغي والاهوال كالحة ... فخاض لجتها ، واستعذب المحنا

تغفو الملوك وتلهو في مباذلها ... وهو الملاك الذي لم يألف الوسنا

ابر من والد حان وارام من ... ام واطهر من صان الحمى وبنى

قضى صفوف العلا مستشهدا ومضت ... به لما نال من اعلاقها ثمنا

فكفكف الدمع لا تجزع فقد تركت ... لنا العناية بعد الخامس الحسنا

غرس سقته يد ميمونة فزكا ... وافعم الكون عطرا منعشا وسنى

وصارم من سيوف الله اصلته ... والليل داج فجلى الخطب والحزنا

وقادها لضفاف الامن مجهدة ... والموج طام فارساها وما وهنا

وكان ملاحها الهادي ورائدها ... ومن وقاها الرزايا السود والفتنا

سل الخطابة من اعلى منابرها ... وبذ فرسانها بالنثر متزنا

من راض آبدها ؟ واقتاد جامحها ... واعلن الحق صداعا به لسنا

بحكمة كالمثاني في بلاغتها ... وقدسها تتحرى الروح لا الاذنا

ومنطق لا تكاد الاذن تسمعه ... حتى تراه بصدق الفعل مقترنا

سل المحافل والآراء مجهدة ... عن كوكب عبقري يهتك الدجنا

عن المعي بنى للسلم قاعدة ... من الحياد فقوى الاس واللبنا

وسل دهاقنة الدنيا وساستها ... عن عاهل كان رمزا للهدى ومنى

اكرم بها دوحة طابت مغارسها ... اذا اختفى فنن اهدت لنا فننا

تحدث الدهر والاحداث راسية ... على اساس من الاخلاص لن يهنا
ترعرع الشعب فى احضانها ومشى ... للمجد فى ظلها حتى ارتقى القننى
كم اطلعت فى سماء المجد من شهب ... وانجبت عبقريا ملهما فطنا
فاختار من حبها دينا ورتله ... لحنا وعاش بهذا الحب مفتتنا

* * *

فقل لمن عميت عيناه واحتجبت ... عنه الحقائق : انا لم نصب بعمى
نعيذكم ان تخالوا الشمس مظلمة ... ونورها يملأ الاغوار والاكما
فالشمس شمس وان اعمت اشعتها ... عيونكم فرايتم نورها ظلما
فمن لها كحفيد المصطفى ملكا ... تربع العرش والعلياء مذ فطما ؟
ومن لها كالعصامي الذي بهرت ... صفاته من تولى الحكم او حكما ؟
ومن لها كالذي ضحى براحته ... لشعبه واستطاب النفي والالما ؟
جاءت اليه الهوينى وهي طائعة ... تقبل الترب اذ لم تلحق القدما
فبايعوا الله لما بايعوا يده ... على الولاء وادوا عنده القسما
لو صح فى عقل انسان تطلعها ... لغيره كان معتوها راى حلما
يهنئون وليس الملك تهنئة ... وليس تاجا ولا عرشا ولا نغما
ولا ارتشاف لمى حسناء ناعمة ... ولا كؤوسا ولا سيفا ينز دما
وانما هي اعباء مقدسة ... ورغبة الله يلقيها لمن عظما
هفت اليه حراما تستظل به ... فسرها انه لا يرخص الحرما
لم تاته بيعة لكنها رحم ... قدسية وصلت فى شخصه رحما
فبوركت من يد ضمت صحيفتها ... وبوركت همة لا تعرف السأما
طويت عاما ولو امهلته لشكى ... اليك اثقال ما حملته كرما
نهضت بالعبء فى حزم غنيت به ... عن ان تشد لما تمضي له حزما
وثرت بالشعب تبني من سواعده ... مشاعلا للهدى تحيي بها الرمما
وكان زحفك ميمونا فتحت به ... للعلم دنيا تحدى فتحها الهمما
انى اتجهت رايت العلم خافقة ... اعلامه ورايت الجهل منهزما

تسعون يوما بنت للعلم معجزة | كبرى ، وشدت بها ما ادهش الامما
آمنت ان حياة لا يشرفها | عقل وعلم حياة تشبه العدما
وان من شاء ان يبني على اسس | فليطلب الباتيين : السيف والقلما
فاهنأ بسبقك فالأيام لاهثة | تجري وراءك يا سباقها النهما
قد قر شعبك عينا بالذي صنعت | له يداك فوالي سيره قدما
فادفعه للمجد صفا واسترد به | امجاده ليعود الشمل ملتئما
فقد تعود ان يرقى الصعاب وان | يرتد بالنصر فى الهيجا اذا اقتحما
يابن الذي فتح الدنيا وزلزلها | تحت البغاة وقد الهام واللمما
وجاء بالدين والدنيا وفى يده | سيف يقيم به القسطاس والنظما
انا نريدك للحسنى رسول هدى | وللشواية سيفا يقذف الحمما
فما استقامت بغير العدل مملكة | ولا تحلى بغير الحزم من حكما

* * *

ودعت عاما سيبقى فى جلائله | ملء العيون ويحيا للعلا مثلا
لم يمض يوم ولم تنهض لمأثرة | ولا تقضى ولم تنجز به عملا
بهمة لسوى الاصلاح ما انصرفت | يوما وقلب بغير الشعب ما اشتغلا
راى المواهب والايدي معطلة | والشعب يخترق الابواب والسبلا
فهب للارض يجري من سوائلها | خيرا وشمر فى تنصيعه بطلا
وشاد بالوحدة الكبرى لمغربنا | على ضحاياه صرحا يرعب الدخلا
فعش لاعوامك الاخرى لتصنع من | امجادنا دولة تعلو بها الدولا
واسلم فان عيون الله ساهرة | ترعاك وارق الى ان تبلغ المثلا
لولا صنائعك البيض التي غمرت | هذي المغاني واحيا فيضها الاملا
ما ارتضت فيك القوافي وهي نافرة | ولا امتلكت لسانا كان معتقلا
انا لنرقب يوما نجتليك به | ابا يناغي ويستجدي ابنه قبلا
والشعب يرفل فى النعماء مغتبطا | اذا انتضى حللا البسته حللا

فاس ــ محمد الحلوي
استاذ بجامعة القرويين





الى صاحب العرش المفدى تهانيا ... يحف بها ازكى الولاء واصدق
مليك على عرش القلوب متوج ... يرجى نداه مغرب ثم مشرق
هو الحسن الثاني الذي عز شانه ... هو البدر فى كبد السما يتالق
هو الحسن الثاني الذي ذاع صيته ... ويملأ اسماع الزمان ويطرق
هو الحسن الميمون سعدا وطالعا ... شذا المسك من اردانه يتفتق
يقول فيزجى السحر فى كل لفظة ... وان قال قولا فالفعال تصدق
تجيء وفود الارض تخطب وده ... وتسعى اليه جهدها تتملق
اذا ما راوه مشرقا فى سمائه ... تساموا اليه بالعيون وحدقوا
تعالت هتافات فبحت حناجر ... وظلت له الايدي طويلا تصفق
بعيد مدى الادراك فى كل امره ... فحينا له عزم ، وحينا ترفق
فللباس اوقات اذا حان حينها ... تفر صناديد الرجال وتفرق
وللحلم اخرى والسياسة حنكة ... وذو الملك اولى بالدهاء واليق
له من ابيه الملك خير صفاته ... ومن جده الاعلى الرسول تخلق
وفى قلبه نور النبوة والهدى ... على وجهه منه رواء ورونق
اذا سابقته الريح جورا ومنة ... تراه يفوق الريح جودا ويسبق
وان طاولته الشهب عزا ورفعة ... فلا هي تعلوه ولا هي تلحق
وان نازعته الاسد باسا وقوة ... تجدها لدى صولاته تتفرق
ولو فاخرته الناس مجدا ومحتدا ... يكون له مجد اعز واعرق
عرفناه شهما كابرا وابن كابر ... لاسلافه ترنو العيون وترمق
وقد عطر التاريخ منهم محمد ... ابوه الذي بالخلد اجدى واخلق
ومولاي اسماعيل لم ينس فضله ... ومن قبل هزام الجحافل طارق
لاسيافهم دانت رقاب اعزة ... ملوك حواليها خميس وفيلق
لنا فى تهانيكم بملك مؤثل ... مدائح شعر تنتقي وتنمق
وان الذي يشدو بوصف خلالكم ... ليسمو فخارا وهو يشدو وينطق
سجايا لنا فيها اقتداء واسوة ... وتأسى لها الاعداء غيظا وتحنق
مكانكمو فى كل عين ضياؤها ... وحبكمو فى كل قلب موثق
اياديكمو البيضاء نعمى ورحمة ... وعطفكم السامي قريب محقق
وان عم هذا المغرب الحر فضلكم ... فانتم بابناء العروبة اشفق
وما ننس لاننس العظيم محمدا ... وذكراه نار فى القلوب تحرق
بكينا وقد فاضت دماء عيوننا ... وكادت من الدمع الحلاقيم تشرق
عليه سلام الله حيا وميتا ... ورحماته تترى عليه وتفرق
فما مات من يحيا بذر مخلد ... ومن كان فى كل الامور يوفق

عوض عبد الرحمان الترابي
عضو البعثة التعليمية العربية



الشعر عاود بعد طول زمان … سلس القيادة مرخيا لعنان

وغدت قوافيه تدفق غضة … لما استبان الصبح للعيان

راودتها ردحا فجاءت سهلة … تصف المليك الخالد البنيان

ملك البراعة واليراعة والحجى … والمجد مرتكزا على اركان

من وطد الاسلام بين ذوي النهى … واقام عزا فى ذرى كيوان

ومن الذي يعنو لسابغ حلمه … متعاظمو الدنيا على استحسان

السيد البطل الهمام المرتضى … المفرد العلم العظيم الشان

ذاك ابن يوسف سيد من سيد … من سيد من سادة اقران

فجعت به الدنيا فطال حدادها … تنساب ادمعها باحمر قان

يا من بنى فى كل قلب موطنا … نم فى الجنان مخلدا ياباني

* * *

الله اقدر للامانة بعدكم … بطلا يناصر حرمة القرآن

والشبل من اسد وسرك سره … فى كل مأثرة وكل بيان

* * *

يرعى العلوم ويحفز الهمم التي … وهنت ويغدق لامع العقيان

ويجود بالوقت الثمين معبئا … هِمما لرفع دعائم البنيان

حتى تشيد فى المصيف مدارس … لتعلم الالاف من صبيان

ويوجه الوزراء نحو عزائم … بناءة ويفوز بالايقان

وبنفسه يغدو لكل مبرة … ويحوطها ببراعة الربان

وتخاله مختص كل جماعة … لما يحدثها : اخا سحبان

والعلم انفس ما تسابق نحوه   فكر ، واخلد ما اتيح لبان
واذا الملوك تعلمت حكم الالى   نقشت عظائم فى جبين زمان
والعلم آية ربنا وفريضة   والعلم بعدهما حصيل ثان
ومليكنا الحسن الاغر موطد   للدين بالحسنى وبالسلطان
شهر العبادة بالقداسة شاهد   لموجه الدنيا الى الديان
اعطى المثال بنفسه متصدرا   درس الحديث معظما متفاني
ان الرسول دعا لنا قل قوله   ببهاء وجه مشرق نوراني

❊ ❊ ❊

ويشاء ربك ان يكون جلوسه   فوق الاريكة مشعرا بامان
فالليلة العظمى تحف بعاهل   فى عرشه فيحاط بالرضوان
الله اكرمها وعظم قدرها   وحبا المليك بها سنى الايمان
عرش تاثل واصطفى متاثلا   قطب المحامد واحد الشجعان
العرش فخر والمليك فخاره   والتاج مزهو على التيجان
والعيد بينهما طروب ساحب   ذيل الاناقة عاطر الاردان
عنوان رمز للمحبة والولا   بين المليك وشعبه اليقظان
شعبية العرش الاثيل تعانقت   وجلال ملك من قديم زمان
فاختال عيد العرش بالملك الرضا   وبشعبه فى الريف والبلدان
يرنو الى مجد تجسم شامخا   ويريك عقل الشيب فى الشبان
دنيا السياسة والرجاحة والهدى   تغزوك من خطب عذبن دواني
فاذا توجه بانيا او عاطفا   ابصرت عزما صيغ فى انسان
يحلو له القلم البليغ وتارة   بالسيف يعلو متن خير حصان
والجيش ـ منتظما ـ بخط طريقه   رهن الاشارة فائزا برهان

❊ ❊ ❊

يا ايها الملك الحبيب المرتجى   لنوائب الازمان والاخدان
انت الذي غذى المعارف يافعا   والملك غضا فى زكي بنان
فحملت اعباء الامارة وارثا   عرش الجدود منابع العرفان
السادة الصيد الذين بنوا لهم   عزا يطاول صولة الازمان
فبرزت فى عرش الجدود متوجا   بحصافة وتوقد وسنان
والعرش يشرف بالابي يصونه   ويذود عنه عوادي الحدثان

والتاج يلمع كلما لمعت به	همم المليك الدائم اللمعان
باني المعاهد والسدود ورافع	شان البلاد وغارس للجاني
والجامعات برعيه وعهاده	زخرت بعلم لذ للظمان
يستاف عطرك كل انف شامخ	فى الناطحات فينحني لك عان
ويراك ذو بصر حريا بالعلا	ويراك مكفوف بناظر ران
واذا رجاك مؤمل نال المنى	قبل السؤال وصين من طغيان
واذا امتشقت على الخطوب مهندا	خرت لعزمك طاقة الازمان

* * *

بطل الجزيرة قد اتاك مهنئا	بالعيد مقمورا بكل تهاني
صلة لود بين والدك الرضا	وولي عهد فى ربيع زمان
هذا سعود على السعود محلق	هذا سعود معانق لك دان
يطوي المراحل حاملا فى ردنه	قبس القداسة من قرى العدناني
ان المهابة لم تزل وضاءة	فى شخصه عطرية الاكنان
قد ضمخت بالطيب من حرم الهدى	وبمشرب طفحت على الاركان
هو فى العلو مكانة وجلالة	وعبيره سار بكل مكان
تابى عليه طوية محمودة	الا تجشم رؤية الاخوان
وكانه وكان وجهك نحوه	قمران دون سناكما القمران
وكان عيدك ـ والمليك اتى له	عيد لعرشك حوله عيدان

* * *

لازال ملككما بقصد ظافرا	ما غردت ورق على افنان

فاس ـ الحاج أحمد بن شقرون
عميد كلية الشريعة



أنا خالدٌ لا تندبوا الأحياء

شاعر الثورة الجزائرية
مفدي زكرياء

مالي اراكم تنشدون رثاء   وتجددون مآتما وعزاء ؟
عجبا لكم ... اتؤبنون محمدا   ومحمد من دوخ الاحياء ؟
اتؤبنون محمدا ... ؟ ومحمد   صنع البقاء .. وعلم الاسماء ؟
ايموت من وهب الحياة لجيله   فمضى يشيد على الخلود بناء ؟
ايموت .. ؟ والنفحات من انفاسه   قد عطرت في المغرب الارجاء ؟
ايموت ... ؟ والفلذات من اكباده   تغزو الحياة عزيمة ومضاء ؟
ايموت والوحدات من ذراته   درجت توحد بيننا الاهواء ؟
ايموت والبركات من صلواته   تغشى الجزائر غبطة ورجاء ؟
ماامات ... يا من ابنوه ... وانما   ضاقت به الدنيا فحل سماء
اسرى الى الملكوت ينشر سفره   ويشع حول الصاعدين سناء
ويتزل الآيات نورانية   يهدي بها المتطلعين سواء
ويبارك الزحف المجيد (بمغرب)   ما انفك يرفع في ذراه لواء
ويقود للبشرى سفينا ماردا   نسجت يداه شراعه الحمراء
فرض الجلا... فمضى يجند في السما   شهبا تحقق في البلاد جلاء
لاتندبوه ... فليس يطرب للبكا   من هز اعطاف النجوم غناء
ما كل من سكن التراب بميت   ولرب حي يستحق رثاء
ولرب اصنام تحرق حولها   علب البخور ضراعة وولاء
والانهزام يشل من سرطانها   قلب البلاد يشيع فيه فناء
الفاس اجدر بالجذوع ... فحطموا   هذي الجذوع ... وهشموا العملاء
واللحد اولى بالخوالف ... فاعصفوا   بالخانعين وزلزلوا الجبناء
محمد هزم الخطوب شجاعة   وسما على خدع الحياة اباء
ان تكبروه ، فلا تقيموا ماتما   او تكرموه ... فاصلحوا الاخطاء
واستعرضوا ذكراه في ناديكم   واستبدلوا هذا الرثاء ثناء
يا ملهم الاجيال ... سعيك خالد   ابدا ... يبث بروعنا الايحاء
ومعلم الاحرار روحك لم تزل   ابدا ... تواكب من يروم فداء
ومقوم الاخلاق ... هديك لم يزل   للعاملين محجة بيضاء
ومفتح الابصار ... نهجك لم يزل   للحاكمين مشاعلا وضياء
وخليفة المختار ... من اوليته   لم يال بعدك في الكفاح عناء
(حسن)..وماحسن سواك.. محمد   فيه حللت .. وحل فيك صفاء
والشعب شعبك .. انت قائد زحفه   ناديت ... فاستصرخت فيه دماء
والمغرب العربي كم اسمعته   للوحدة الكبرى ـ هناك ـ نداء
والشعر شعرك منه صغت روائعي   اوليس وحيك يلهم الشعراء ؟
دم كالوجود ... وقل لمن قد ابنوا: انا خالد ... لاتندبوا الاحياء

ذكرى الملك الراحل

للفقيه السيد
محمد معمري الزواوي

الحمد لله وحده   والصلاة والسلام على رسول الله

مــــــولاي

تملأ الذكرى افكارنا والحنان قلوبنا حينمـا نترحم على تلك الروح الزكيـة المطهـرة روح والـدك المقدس الذي يتنعـم اليوم في كرامة ربه وجميل رضاه ، ونملي على مسامعك الكريمة مـا كنـا ننشده امام جلالتـه المقدسـة لما كان حيا بيننـا .

انى العيـد يستوفي السرور جديده   وعـزة عرش ان يجـدد عيده

ولا نزال اذ ما نكرر هذه التهنئة لجلالتك الكريمـة نشكره على مـا اسدى للدين والوطن من النعمـة العظمى اذ انبت لنا خلفا كريما يذكرنـا بجليل اعماله مزايا صالح السلف متقنا كل التدابيـر العصريـة بعلـم وحزم ، راجين من الله الكريم الوهاب ان يزيدك نصرا وتأييدا لتعاد هـذه التهاني لجلالتك الفخيمة مرارا عديدة وسنين زاكيـة مديدة انه السـميع العليـم يجيب كل من دعاه الرؤوف البر الرحيم ينيل عبده المخلص كـل مناه ءاميـن .

سعدنا بعيد العرش للحسن الثاني   وبعده عيد الفطـر موسـم غـفـران

هنيئا اميـر المومنين بفالـه الـ   ـمبشر يمنا ان تواصل عيـدان

كذاك يفيض اليسر اثر جهودك الـ   ـعظيمة تزهي كل صقع وميدان

صعدت على عرش الجـلال موطـدا   يقينك في الرحمن اكمـل ايمـان

فتحت بخير عهـد زهـو ونعمـة   بتدعيـم اس اليمن اوثـق اركـان

جمعت باعراس السعـادة اسـرة   ونسقتها نظمـا قـلادة عقيـان

وزينت ذاك الحفل في جمع امـة   حواليك يدني لها خيـر احسـان

فاسديت للشعب الوفي براهن اعـ   ـتنائك تزهيه عواطـف تحنـان

ولما فشا داء البطالـة اينعـت   عنايتـك الجلـى بانفـع اعـلان

فاسست تجنيد الجنود بوفـرة لينفع كل القطـر تعميـم بنيـان
ويحظى جميع المبلسـين بنعمة الـ ـتكسب اذ في جده خير اتيـان
وجندت حزبا وافـرا لتعمـم الـ ـمدارس كي يحظى الشباب بعرفان
لتخرج من ليل الجهالة شعبك الـ ـكريم الى نور الهدى بعد حرمان
ويبصر طرق السعي نحو صلاحـه ويحظى من الفـوز القـوي بريـان
يزاحم كل الناس في هـذا الحيـا ة سعي مجلي السبق في كل ميدان
وتزهر ارباع البـلاد بنشـر مـا بصرها خصبـا كاحسن بستـان
تشجـع اعمـال الفلاحـة ناشـرا لها راية التجديد في كـل امكـان
هنا تغرس الاشجار ما بين مثمـر وما بين نفع العود او ظـل افنـان
هنا ترتئي للناس جمـع جهودهـم لتحسين انتـاج بتسميـد بلـدان
ولم يكفك الارشـاد في مبـدء الـ ـصلاح بل ازددت امتنانا باتيان
فجدت بما اورثتـه من نفائس الـ ـبلاد على المحتاج في خير احسان
تؤسس في كل الشؤون نفائس الـ ـجديد باسبـاب الرقي باتقـان
ففي الطب آيات اهتمامـك بالاسى دليل ضميـر ملؤه جـد تحنـان
تعدد انشـاء المفاحص ساهـرا على راحة المرضى لتفريج احزان
وتعني بتكثيـر الاطبـاء مسعـدا جماعاتهم سيرا بتدريـب اعـوان
تعـد لكـل مـا يسهـل مهنـة دواء وآلات الشـفـا كعنـوان
تعمم اصلاح الرعايـا مسهـل الـ ـتدابير فيها واضعا خير بنيـان
بكـل قبيـل مـركـز لجماعـة تيسر فيـه حـاج روح وجثمـان
كناد لأعضـاء المجالس مجمـع لنشـر مناهيـج الحيـاة باعـلان
ففي (امرهم شورى) كريم هداية لينجد كل في ازدها خيـر اوطـان
وتبنى مساجـد الهدى في عنايـة لتنبثـق الانـوار في خيـر اديـان
ويشـرق للاسـلام نـور هدايـة وتفعـم اعمـاق القلـوب بايمـان
وتصفـو ارواح العبـاد زكيـة تشرف بالاخلاق في طهر احسـان
بيـوت صـلاة اذن اللـه رفعهـا ليـذكـره كـل بسـرو اعـلان
يسبحـه فيهـا عبـاد تمكنـت بهم طاعـة الرحمن اكـرم ديـان
ايا امة القـرآن زبـدي تمسكـا بآياتـه الجلـى بافصـح تبيـان
عليك تعاليـم الكتـاب فانهـا الـ ـمنار الى رشد الورى خير عنوان
فلا رشد الا في التخلق باهتـدا الـ ـحنيفة في صفو وكامـل ايقـان

تبين لنا طرق النجـاح بهـذه الـ   ـحياة وسبل الفوز فى المرجع الثاني

فكل شؤون المـرء فيهـا موضـح   رشيد اهتداء فى سلامـة عرفـان

كرامـة اخـلاق وسبـل سلامـة   بخير حيـاة لا هتـدا كل انسـان

وتدبير شان فى اقتصـاد توسط   وعدل لدى الاحكام فى ايما شـان

اذا حث(لا تجعل)على البذل فى الغنى   عليك بلا (تبسط) وقايـة مديـان

وشكر الايـادي موجـب لدوامهـا   ومن ينكر المعروف يجز بحرمـان

وحث بتوحيـد الجهـود محـذرا   عواقـب تفريـق يتـم بخـذلان

وخفض جناح الذل للوالدين يضـ   ـمن اليسر فى كل الشؤون برجحان

وطاعـة اولي الامـر كـرامـة الـ   ـشعوب ومفتاح الهنا كل احيـان

بهـم للرعـايـا عـزة وكـرامـة   بتدبيرهـم نظـم الحيـاة باتقـان

بهم يـدرك الـسـراء كـل مهـذب   يميز فى الناس رجحـان ميـزان

فياقـوم جدوا طاعـة لاميـركـم   وفوزوا ببذل النصح فى كل ميدان

ليـسعدنـا رب الورى بوقايـة الـ   امير بفضـل من عـدا اي فتـان

امولاي واصـل جـد حمد لنعمـة   كوابل غيـث بالسلامـة هتـان

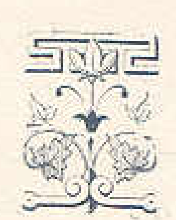
يؤيد فيك السـعي للدين مرشـدا   رعاياك كي يزهي الهدى كل انسان

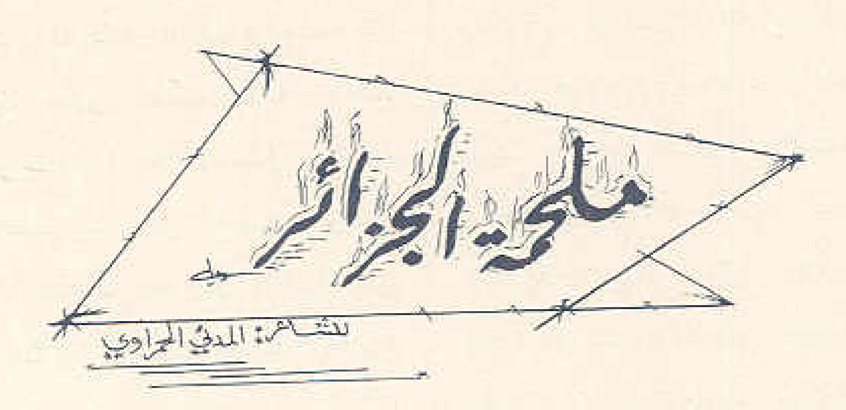
فيحيا كريمـا شاكـرا متنعمـا   مثال كمـال بين اهـل واخـدان

يديم لـك التأييـد عـزا ونصـرة   متوج شكر فى سعـادة رضـوان

الرباط ـ محمد معمري الزواوي

وزير القصور الملكية





ملحمة الجزائر

للشاعر: المدني الحراوي

اعد ايها التاريخ مجدنا والفخرا   وصغ من معالينا المخلدة الدرا

ورتل على سمع الزمان مدائحا   تبيض وجه العرب ما دامت الغبرا

ونبيء بني الدنيا جميعا باننا   لنا همم فى العز لا تقبل الحصرا

لكل شعوب الارض يوم مخلد   وايامنا الغراء تستوعب الدهرا

فبالعز نحيي كل يوم وليلة   ولسنا بغير العز تصطحب العمرا

فقيه لنا ماء وخبز ، وغيرنا   له فيهما عيش ولو صاحب القهرا

ولا عجب ، فالعرب اول امة   على الارض سنت عزة النفس والفخرا

ففي دمهم عز عريق وسؤدد   ولا يعرفون الذل سرا ولا جهرا

اماجد احرار بطبع وفطرة   وغير همو امسى ـ بتعليمهم ـ حرا

وهذه دنيا العرب فى كل حقبة   تسجل للاجيال امثلة غرا

مآثر ـ عبر الدهر ـ تشهد اننا   اباة حماة لا نباع ولا نشرى

شغلنا حياة الناس فتحا وعزة   ففي كل صقع نجمنا يسبق الفجرا

شمائلنا فاحت على الكون فانتشى   وهام بها حبا وماد بها سكرا

روائع من عدل وعلم وحكمة   بها استغنت الغبراء عن انجم الخضرا

مفاخرنا فى السلم والحرب لم يطق   سوانا لها شفعا فما فتئت وترا

فما امة كالعرب تبلغ شاوهم   وان اغرقت برا وان ايبست بحرا

وان ابدعت للمحق كل قذيفة   تحرق اقصى الارض فى لمحة صغرى

هم الناس ، والاقوام شبه وان ابت   عقول تظن الترب ـ فى رايها ـ تبرا

وما عرفت ارض الورى من مزية   فنسبتها للعرب لا تعرف النكرا

الم يخرجوا للناس نورا وحكمة   ومن ينكر الشمس المضيئة والبدرا؟

الم يملكوا شرقا وغربا فاقسطوا   وامرعت النعماء فى ظلهم دهرا ؟

وهل عرف المعمور كالعرب ساسة   طووا صفحة الآلام وانتهجوا اليسرا؟

وهل عرف النصر الشريف سواهمو   فان حاربوا لادس يستجلب النصرا؟

لهم شرف فى السلم والحرب واحد   وليسوا كمن يحتال فى حربه مكرا

مواقعهم حمر على كل بارز   ينابذهم بالحرب ، بيض على الاسرى

فقل للذي يرتاب فى العرب :هل درى   بموقفهم فوق (الجزائر) والصحرا؟

هنالك شاء الله آخر وقعة   يديل بها للعرب من دول كبرى :

فرنسا واهل الحلف من كل دولة   تشايعها فى الغصب مذ اضمرت شرا

فجاءوا باعداد الحصى وبعدة   كمن لقتال الجن والانس قد اسرا

وجاؤوا بجيش الغزو ثم بمثله   من الكيد والارهاب بل طبقوا القطرا

فسدوا فضاء الارض بالجند كثرة   وغطوا ضياءالشمس واستوعبوا البحرا

وجاؤوا بمال الارض من كل وجهة   ودسوا دعاة المكر كي يبهموا الامرا

واهل الحمى عزل قليل اذا بدوا   كثير شداد باليقين وبالبشرى

كانهمو فى العين ـ عدا وعدة ـ   نواة على البحر المحيط اذا استشرى

ولكنهم فى الباس والصبر عصبة   معدنية الاعراق تستسهل الوعرا

لهم فى الوغى آيات صدق فريدة   تسير بها الامثال معجزة كبرى

تقاليد اقدام وعزم ونخوة   مقدسة الاسرار محبوبة الذكرى

توارثها العرب الاباة ذخيرة   عن الغر من اجدادهم سنة غرا

وعدتهم فى الحرب عزم مضرم   يبيد جيوش الارض بل يفلق الصخرا

ملاحمهم بالشرق والغرب لم تزل   احاديثها الغراء تستوقف الفكرا

وملحمة فوق (الجزائر) لم تزل   تهز الدنا طرا مواقعها الحمرا

بها انتصف الحق الهضيم واخفقت   جيوش من الاعلاج واستسلمت قسرا

بها ختم الفصل الاخير لقصة   وملحمة للعرب والغرب لاتقرا

فصول من الحرب العوان تأججت   على العرب فاستجلوا غواشيها الغبرا

بها حول الدهر المعاند وجهه   عن الغرب نحو العرب يمنحهم بشرا

بها حول التاريخ سير حياته   الى موكب للعرب فاستانف السيرا

يجر الى العلياء امة يعرب   على عجلات طالما وقفت دهرا

فعاد لدنيا العرب سالف عهدها   كان لم يحل يوما الى امة اخرى

اظن علوج الغرب ان عداءهم ... سيورد شعب العرب كلهم القبرا ؟

اما عرفوا ان الحياة بدونهم ... سراب ؟ فهم بالعيش فى عزة احرى

اذا لم يكن فى الارض عرب فمن ترى ... يجمل وجه الارض او ينثر الخيرا ؟

فهم زينة الدنيا واشرف عنصر ... وفى لبني الانسان والتزم البرا

ايقتل شعب العرب ظلما وفضله ... على الارض لا تحصى مواهبه الزهرا ؟

فكم سفكت فوق (الجزائر) مهجة ... من العرب الاحرار لم تقترف وزرا

وكم رملت انثى ويتم صبية ... وقتل آباء وابناؤهم صبرا

وذبح اطفال صغار ونسوة ... محجبة فى الدور تلتزم السترا

وكم هتك الاوغاد عفة حرة ... تنادي قبيل العار : فلتقتلوا البكرا

وكم حرقوا دورا وكم نسفوا قرى ... فهام ضعاف الحي فى مهمه الصحرا

وكم نهبوا مالا وقوتا وسلعة ... وكم غصبوا الانعام وانتزعوا الازرا

وكم فجروا فى العزل عمدا ونقمة ... قنابل لا تبقى – اذا انفجرت – عمرا

مجازر من هول ومحق وفتنة ... تطيش عقول السامعين بها ذعرا

فظائع لم تعرف لها الارض اخوة ... فلا قيصر يدري بهن ولا كسرى

بدائع من صنع (الفرنسيين) سودت ... وجوههم الصفراء واستبشعت ذكرا

تلوث بالعار المقيم قبيلهم ... فتلعنه فى الدهر اجياله طرا

قبيل له فى الغصب والنهب نهمة ... يريد الورى قنا واملاكهم ذخرا

يرى كل من فى الارض عبدا لحكمه ... وليس يطيق ان يرى غيره حرا

فجر عليه الشؤم اغرب نكبة ... وجر على الدنيا بها فتنا حمرا

ايزعم انالناس ليسوا بكفئيه ؟ ... ام الطمع الكذاب اورده شرا ؟

اظن بلاد العرب تقبل ظله ... فجن بها حتى استحل لها عقرا ؟

اما عرف المغرور ان بلادهم ... حرام على الاعداء ؟ هل يجهل الامرا ؟

كاني به لم يدر للعرب مخبرا ... ولا سمعت اذناه عن شانهم شعرا

ولم يعرف المعتوه ان شعوبهم ... درت قبله الامجاد وانتزعت فخرا

وكانوا سراة الناس اذ كان لبسه ... جلود وحوش الغاب فليسال الدهرا

ولولاهم لظل فى الجهل سادرا ... يخال من الاطباق (ساعتنا) سحرا

احقا نرى الدنيا على العرب اجمعت   تحاربهم البـا وتوسعهم مكـرا ؟

فما بال هذا الشعب ان كان محسنا   يكن اجره وزرا ومعروفه نكـرا ؟

وما ذنبه والله غير فضائل   على جنسه وقف ، تحلى بها طهـرا

وملته البيضاء خص بفضلها   وقام بها يدعو الى الوحدة الكبرى

فان يكن الاحسان جرما فاننا   على حقنا والله لا نرهب الزجـرا

وليس يضير المرء ان كان صالحا   حسود ، ولا تثنيه السنة تضـرى

لقد طال ليل العرب فى الهم والاسى   ولو تركوا والامر كانـوا بـه ادرى

دهتهم بلايا البغي من كل وجهة   فهدمت البنيان واستاصلت جذرا

مغول واحزاب الصليب ونقمة   من الترك والافرنج قصمت الظهرا

ومكروب صهيون يشمر ساريا   يدب دبيب النار فى الغابة الشجـرا

خطوب واهوال على العرب لم تزل   مكايدها العمياء فى جمعهم تتـرى

باي خطوب العرب اقرع مسمعا ؟   وليس لها عـد نظاما ولا نثـرا

ومن ايها اجلو وابرز عبرة   اسوء بها قطرا واهدى بها قطـرا ؟

ولكنها والله للعرب واعظ   تعلمهم ـ بالجد ـ ان يلزموا حذرا

ويستلهموا التاريخ هديا وخطة   وان ينبذوا الاعداء ان عزموا سيرا

وان يرتقوا فتقا تضاعف خرقه   وان يقفوا صفا ويلتحموا سطـرا

كفى فرقة يا قوم فالامر مرهب   وداء شعوب الارض ان تعرف الشطرا

وهذه احداث الجزائر لم تزل   نواطق عن جد وليست ترى عـذرا

فهل جربت منها العروبة محنة ؟   وهل كونت رايا ؟ وهل قررت امرا؟

وهل تكتفي بالنصر فى ساحة الوغى   وتنسى اقتصادا مستقر البنا حرا؟

فما النصر كل النصر الا تحرر   يشد اقتصاد العرب كي يدفع المكرا

* * *

اليكم اشقائي واهلي وجيرتي   بني الحرة العرباء عاطفتي الحـرى

اليكم تحايا العرب فى كل موطن   وتهنئة تسري الى ربعكم عطـرا

صبرتم فكان النصر خير نتيجة   هنيئا لشعب العرب اذ نلتم النصرا

كان السنين السبع يوم وليلة   ولولا كموفاقت بعدتها عشـرا

كذا فليكن عزم الشعوب اذا صحت تنال الذي ترتاد او تبلغ الحشرا

فطيبوا نفوسا لا ترى العين مثلكم بررتم وايم الله بالملة الغرا

بحق وصلتم ماضيا متالقا لامتنا بحاضر زادها فخرا

رعاكم من الرحمن عون مؤيد وبارك ما شدتم ، وشد لكم أزرا

وبشرى لابطال الكفاح بنصرة ستبقى مدى الآباد انشودة عذرا

احيي ابن بلا والرفاق وانحني لموقفهم اذ جد ما اذهل الحجرا

هم الخمسة الابطال خيب عزمهم ظنون فرنسا اذ احاطت بهم غدرا

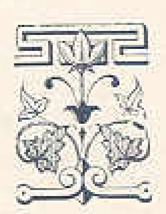
وللحسن الثاني مؤيد عزمهم وحافظ عهد العرب استخلص الشكرا

مليك ولكن الملوك بجنبه ظلال فلا تفني غناءه والقدرا

دعا صادقا شعب المغارب فانبرى يؤسس بنيانا على الوحدة الكبرى

مواهبه الجلي وقوة عزمه وآماله في المجد لا تعرف الحصرا

فديته من فذ تقدم مسرعا بشعبه نحو المجد فاقتعد الصدرا





للأستاذ
عبد القادر المقدم

شكليات مسرحية في فصل واحد — المنظر متجر لعرض الازياء النسوية والمجوهرات الصناعية والزهور الشكلية .. الوقت مساء .. الاشخاص — صاحب المتجر — الزبونة — اصوات ...

*

هي — هل تسمح بمناولتي تلك القطعة ..

هو — بكل فرح .. ها .. تفضلي .. انها جميلة .. جميلة جدا ولا يوجد لها نظير في غير هذا المكان .. والحقيقة ان حصولي عليها كان مجرد .. صدفة حسنة .

هي — لعلها من صناعة الخارج ..

هو — آ .. هذا امر معقول في هذه الظروف .. لان صناعتنا بالنسبة لغيرنا لا تزال في طور النشوء .

هي — ومتى ستكون لناصناعة كالتي عند غيرنا..

هو — لا نستطيع ان نرجم بالغيب .. ولكن البلاد اذا اتيحت لها فرصة التطور وشعر كل فرد بواجبه واخذ كل بمبدأ التعاون المثمر بين مختلف الطبقات عندئذ تبلغ المدى الذي تسعى اليه .

هي — ومن يضمن لنا نحن نساء هذا الجيل ان نجني ثمار هذا التطور المنتظر ..

هو — ما دام الانسان في انتظار شيء جميل فهو يجني ثمار الفرح .. فرح الانتظار .. وفرح الامل ..

هي — هذا النوع من الثمار لا يستهوي عادة الا الرجال .. اما النساء فقل ان يومن بغير الموجود المحسوس .

هو — ولعل هذا هو السبب في الخلاف الذي ينشا عادة بين الرجل والمراة او بلفظ اوضح بين الزوجين ..

هي — لا اخالك تجهل ان سبب الخلاف هو اختلاف النظر الى الاشياء .. فقد ينظر الرجل الى قيمة الشيء ويعتد بهذه القيمة بينما تنظر المراة الى شكله ولونه دون اي اعتبار آخر .. ولكل وجهة هو موليها ..

هو — ومن هنا تتولد المشاكل العائلية ..

هي — وتكون لها اخطر العواقب متى تمسك كل جانب برأيه في حين يصر على تسفيه رأي صاحبه

هو — (يتشاغل باطراف ثوبه .. مفكرا) وهل يحدث خلاف بينك وبين زوجك ؟

هي — كان عليك ان تضيف الى مادة سؤالك كلمة « غالبا » وحينئذ لا يزيد جوابي على كلمة اجل ..

هو — اذن يحدث بكثرة ..

هي — بكثرة ..

هو — ومنشأ هذا الخلاف ربما كان التفاوت في درجة التفكير ..

هي — انما هناك تفاوت في السن ..

هو — والمآل واحد .. لان التفاوت فى التفكير غالبا ما يكون نتيجة التفاوت فى السن

هي — واني اعلم سلفا ان خلافا جديدا سينشا بيني وبين زوجي بمجرد ما يعلم بعزمي على بيع عقدي القديم لاشتري ببعض ثمنه هذا العقد الجميل فهو يصر على تقدير الاشياء بثمنها .. اما انا كغيري من النساء فاني افضل جمال الشكل وروعة اللون على كل اعتبار .

هو — ولماذا تصرين على هذا الراي مع ما فيه من خطأ واضح ولا تعترفين بصواب راي زوجك .. ومن الواضح ان الشيء الثمين لا يقارن بالشيء الجميل الرخيص ..

هي — ان هذا ما عودنا عليه الرجال .. انهم يغالون فى تقدير الفتيات والنساء اللائي لهن اشكال ومظاهر جميلة .. ويغضون الطرف عما تنطوين عليه من مثالب .. المثالب الخلقية والروحية .. ولا يظفر منهم غير هؤلاء الا بمجرد الامتداح الاجوف والاعجاب المصطنع .. وهذا ما يبرر انهماكنا نحن النسوة والفتيات فى حب الشكليات .. اي اننا معذورات فى اقبالنا على كل ما له لون وشكل لطيف دون اعتبار شيء ءاخر بعد ذلك .

هو — اظن ان هذا لا يحدث الا نادرا ، وفى ظروف خاصة .. وليس معقولا ان نسوي بين قطعة نقدية ووردة غضة جميلة .. فكلتاهما لها مكانتها واعتبارها .

هي — اليس من الخطل ان يقارن بين القطعة النقدية والوردة الغضة .

هو — نعم .. على ان الوردة ليست من قبيل الاشياء التي يقتصر جمالها على الشكل واللون .. فان لها قيمة ..

هي — مثل قيمة القطعة النقدية ؟

هو — لا .. لا .. ان قيمتها معنوية رمزية ..

هي — ماذا تعني والى ماذا ترمز ؟

هو — تعني اللطف والجمال والابداع .. وترمز الى الحب ..

هي — الحب .. الحب .. (تطرق فى تأمل) .. آ .. انها كلمة عذبة . ولكن مدلولها من قبيل التطورات .. ومن الصعب العسير ان نعثر على علاقة يكون رباطها الحب .. الحب الذي لا شائبة فيه ..

هو — اتعتقدين هذا ..

هي — اشعر به واعتقده .. ولي على هذا ادلة قوية وحجج دامغة .

هو — (يحملق فيها مندهشا) آ .. مثلا ..

هي — انا شخصيا لم اكن اشعر بدافع من الحب الخالص نحو خطيبي بالرغم مما كان يصرح لي به عقب كل لقاء .. لانني كنت وقتئذ من النضج الفكري بحيث لم احس ان ذلك ينال بمجرد التفكير فيه ، ولهذا اعتدلت ولم اشترط فيه ان يكون مثاليا ولكنه جاء زوجا فوق ما قدرت ودون ما احببت منه .. وكان يغريني بمحاسنه الشكلية اكثر مما يغريني بمحاسنه الباطنية ..

هو — وهل هو على بينة من شعورك هذا ؟

هي — ان المعايشة والمعاشرة كفيلة باطلاعه على كل شيء خفي كما قيل :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

هل تسمح بان اورد لك امثلة اخرى ..

هو — كما ترين

هي — ان المثال الذي اتيت به كان فيما يخص علاقتي بزوجي .. واليك مثالا ءاخر فيما له علاقة به مع الناس .. ذلك ان زوجي كان يتوسل للحصول على وظيفة وقد

استطاع ان يجتاز الامتحان بدرجة متفوق وكانت جميع الظروف فى صالحه حتى قوي املنا معا فى حسن النتيجة .. واخيرا !.

هو — (يقاطعها) ماذا ؟ .

هي — واخيرا تسلم رسالة من لجنة الامتحان

تشهد بتفوقه فى مختلف مراحل الامتحان .. ولكنها تحمل اعتذارا ..

هو — ممــاذا ؟ .

هي — من كون لجنة الامتحان تلقت من المكلف باجراء الفحص الطبي بل الاختبار الجسمي ان قوام زوجي ينقص عن الطول المطلوب ثلاث بوصات وثلث بوصة تقريبا .. اي انه خسر فى الامتحان !! افلا تستغرب معي من الدور الذي تلعبه الشكليات فى حياتنا .؟.

هو — مجاملا فى المسألة ما يستغرب حقيقة ! .

هي — ان ثلاث بوصات وثلث بوصة فقط اضاعت على زوجي المسكين كل مجهوداته .. وفى نفس الوقت خيبت آمالي التي علقتها على ذلك النجاح .. الست تسلم معي بسخافة هذه المقاييس التي تجعل الناس يخضعون للمظاهر الشكلية قبل القيم الروحية .. اليس كذلك ؟ .

هو — بلى .. بلى .. هو كذلك ..

هي — وهل تريد امثلة اخرى بل ادلة على ما ارى؟

هو — انني جد مقتنع

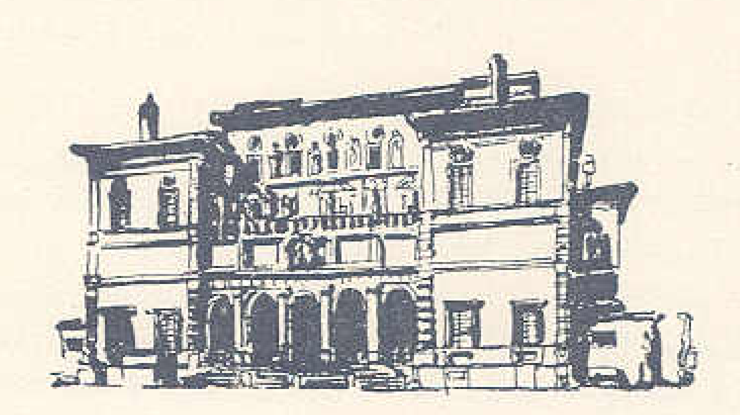
هي — انني استطيع ان اؤكد بانى فى حياتي الخاصة وحيث اشعر بالاختبار والبعد عن كل مؤثر خارجي لا انخدع بشكليات الاشياء .. مع علمي بان هذا يخالف ما جرى عليه عرف الناس .. واذكر فى هذا الباب المثل القائل : «ثيابك ترفعك قبل جلوسك وعلمك يرفعك بعد جلوسك ... »

هو — نعم .. نعم .. هذا هو عرف غالبه الناس وعامتهم ..

هي — وارحمتاه للناس ..

ستــار

طنجة ـ عبد القادر المقدم





فى المغرب العربي :

بصراحة : نقولها بصراحة لمؤتمر التعريب الثاني المنعقد فى الرباط، نحن نؤيدك ونؤمن بمجهوداتك بل ونعتقد ان امثال هذا المؤتمر واجب ضروري لتقدمنا وتطعيم ثقافتنا وتوحيد جهود المخلصين من ابناء وطننا العربي ، بل وندعو الى ان يقع التنسيق بين هذا المؤتمر وبين المجامع اللغوية العربية ، بحيث لا تبقى مجامعنا فى القاهرة ودمشق وبغداد توزع امكانياتها على الترجمة واحياء التراث العربي وتتبع المستحدثات اللغوية والاطالة فى بحثها ، وتوزيع القوائم باسماء المخترعات ونشر التقارير والعمل على تطوير لغتنا بما يرتئيه كل مجمع ، كل ذلك جميل ولكن الا ترى انه لو وزعت المسؤوليات وحدد الاختصاص لكل مجمع بناحية معينة ، هذا لتيسير اللغة وتطويرها ، وهذا للبحث العلمي التقني ، وذلك للترجمة والتعريب ، والاخير لاحياء التراث العظيم اليتيم ، ثم عينا للجميع ادارة مشرفة منسقة جادة لو فعلنا ذلك لوصلنا الى النتيجة باقرب الوسائل وايسر السبل ولكانت تلك النتيجة اعظم ما حققته الجامعة العربية فى حياتها المملوءة بالعقبات ، ذلك ما نرجو ونتمنى .

ولكن لنا مع المؤتمر كلمة صريحة نقولها نحن ابناء هذا الجزء الاقصى من بلاد العروبة ونؤكدها من غير تحفظ : نحن فى حاجة الى تعريب العقول والنفوس فيما نعتقد ، وذلك الذي اكدته الحوادث والايام اكثر من حاجتنا فى هذه الظروف الى تعريب المصطلحات وتكوين المعاجم ، وماذا يفيد لغتنا لو ترجمنا لها كل ما انتجه العالم ، ثم سرنا على هذا الطريق الملتوي البعيد عن احترام لغتنا المهين لقوميتنا الطاعن فى صدقنا ، والا فأي شيء يتوقف عليه تعريب تعليمنا الابتدائي والثانوي ؟ انزعم ان لغتنا عاجزة عن سد هذه المرحلة ؟ ام هناك شيء ءاخر .. نحن نفكر فى اللغة العربية ومستقبلها ، ولكن نتناسى واقعنا الذي يتنافى مع ما ندعيه ، وافضل للعربية واكرم لها لو صممنا على تعريب تعليمنا فى المرحلتين ، حتى اذا بلغنا الى المرحلة العليا التي تتطلب دقة فنية كنا متحصنين مطعمين ومزودين بلغة ثانية نفتح بها ابواب الثقافات الاجنبية من غير ان نخشى على انفسنا او ثقافتنا ، وعندئذ ستتحمل المجهودات الفردية اكبر نصيب فى تطعيم اللغة وسيرتاح المؤتمرون من عناء السفر وكثرة المصاريف .

وفى ارض الكنانة :

مؤتمر الابطال : ومن احق بالبطولة من الكتاب الوطنيين والادباء الثائرين والشعراء المناضلين ، انهم لب البطولة ، ونور الحق ، وشعاع الامل ، ودبيب الحياة يسري فى شرايين شعوبهم وماء الحرية فى اوطانهم .

وما وطن الكاتب الحر الا الانسانية وما كفاحه الا كفاح للظلم والاستعمار والاستغلال اينما وجد وحيثما كان .. تلك هي الحقيقة التي ءامن بها قادة افريقيا وءاسيا العقليون والذين لهم الفضل فى انتصار شعوبهم ، ويقظة اوطانهم ، ومن اجل تحقيق ذلك عقد هذا المؤتمر الثاني فى عاصمة الفكر ، القاهرة ، ليكون رابطة تجمع الجهود وتكتل القوى وتوحد النضال فى هاتين القارتين اللتين ما برحتا تتجرعان ءالام المستعمرين وعذاب المستغلين .

وفعلا لقد جمع هـذا المؤتمر عقولا انضجتهـا معارك الحرية ، وصقلتها تجارب الحياة ، وضجرتها مصائب الاستعمـار ، فكانت بوجودهـا وتعاونهـا تعبر عن تضامن اممنا في القارتين من اجـل الحرية والكرامة والعدالة والسلام ومن اجل مستقبل اشرف وحيـاة افضـل . .

وما احوجنا نحن الافريقيين والاسيويين في هذه المرحلة الحرجة ، ما احوجنا الى التعارف والتعاون، وتوحيد الصفوف ، ونبذ الخلافات ، وسد النوافـذ والشقوق في وجه الغزو الاستعماري الجديد المقنع بالفكر والثقافة تارة ، والفنية والاقتصاد تارة اخرى ، فما نحن في واقعنا الحالي الا اهل مصاب واحد وعدو مشترك ، مشاكلنا واحـدة ، ومصائبنا متشابهـة ، وظروفنا متقاربة ، وشعوبنا جميعـا لا تزال تعاني من مخلفات الاستعمار الذي هدم كيانها ، وسمـم دماءها ، وتركها تتخبط في ظلمات من التخلف والعجز، فاستطاع ان يخرج مـن الباب ليدخل من النافذة ، ليرجع الى اقطارنا مرة اخرى باسم الفنية والاعانـة وفعل الخير . . وهيهات هيهات ، لقد استيقظ المارد الجبار واهتزت هذه الامم المظلومة ، واصبحت رشيدة تحسن التصرف وتعرف الـداء ، وتصنـع الدواء . ذلك ما اظهرته قرارات هذا المؤتمر العظيم وتبنـاه قادة الفكر في القارتين ، وما تلك التوصيات والقرارات الا تشخيصا لامراضنـا التي يجب ان تداوى ، ومـا هي الا ضربة للاستعمار وعملائه واذنابه ، وما هي في واقعها الحقيقي الا تعبيرا صادقا لما يحسه المواطـن الافريقي الاسيـوي .

فالدعوة الى تقوية الثقافات القومية والعنايـة بها ، واتخاذها اساسا للتعبير الفني والادبي والعلمي، وسلاحا في نضالنا ضد الاستعمار الثقافي وسيطـرة الايحاءات الهادفة الى تحطيم مقوماتنا، وغرس مركبات النقص ، والشعور اخيرا بالتبعيـة الحتمية لاحـدى القوى المتصارعة ، كل ذلك مما تتمناه اممنا وتعمل من اجـل تحقيقـه ، وما تبني كتابنـا لذلك الا ضمـان لتحقيقه لانهم قمة وعينا ، وشعاع بصائرنا ، واقـدر الناس على الدفاع عن تراثنا وحضارتنـا وثقافتنا .

ولعل افضل سبيل لتنظيم الجهود وتنسيـق الكفاح ، وبالتالي الوصول الـى الغاية هو التعـرف الحقيقي الواعي على انتاجنا وعبقريتنا ، والتفاعـل مع عقولنا الموجهة في القارتين ، وافكارنا المخططة في كل قطـر من اقطارنا ، ومن هنا ندرك اهمية الترجمة في تنمية التبادل الثقافي ، وتقوية روح التضامـن ، وتحقيق التعاون بين قوانا العاملة جميعا ، ولذلـك اهتم المؤتمر بهذه الوسيلة الفعالة واتخذها نقطة مـن نقاطه الرئيسية ليحقق بها الوحدة المنشودة ، والعمل المشترك لتصحيح تاريخنا ، وبعث شخصيتنا ، وتسهيل مهمة الكتـاب في الوقوف بجانب الشعوب المكافحـة والامم المناضلة ، والسهر على تعريف العالم بحضارتنا، والوقوف ضد اولئك الذين كفروا بشعوبهم ولغاتهـم واصبحوا اذنابا لاسيادهم ، وعبيدا لاعدائهم ، والعمل اخيرا من اجل اسعاد البشرية وتحقيق السلام ، تلك بعض مهمات كتابنا الابطال وتلك امانينا وعسى ان تخرج هذه المرة من التوصيات الى التطبيق ومن القرارات والاماني الى العمل والتنفيـذ .

وفي لبنان الاشـم :

يارا عنوان للهدم : الاستاذ سعيد عقـل ثائـر على كل شيء ، ثائر على الشعر بقواعده وقيوده كمـا يسميها ، ثائر على الفصحى المعقدة كما يظن ، ثائـر على الخط العربي المبهم الغامض كما يعتقد ، ونحـن لا نلومه على الثورة ، ولكن نلومـه على الحلول التـي التي نؤمن كما يؤمن بانهـا هـدم لحضارتنا وتراثنـا لا يتورع من الاقدام عليها ، وكانمـا يريد ان يجعـل البلاد العربية امام الامر الواقع ، وكتابه (يارا) الذي اصدره بالحروف اللاتينية اول عمل تنفيذي يقـوم به كبرهان لاخلاصه في الدعوة الى الحرف اللاتيني .

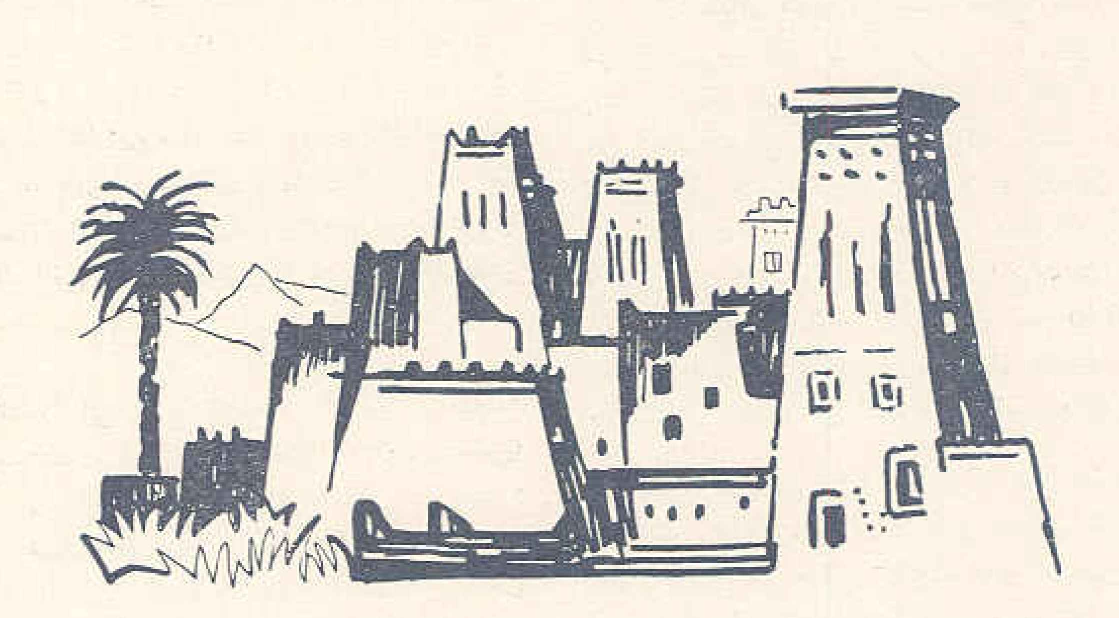
ونحن لا يهمنـا ان يكتب سعيـد عقل بما شـاء ، فللتاريخ حكمه ، ولكن يهمنا حين يتحامل على الخط العربي ويراه غير صالح لتحقيق تقدم الشعب العربي، ويعتقد او على الاصح يعتقد غيره ويعبر هو ان الحل في التخلص من هذا الخط العربـي الصعب والاخـذ بالحرف اللاتيني الذي لا صعوبة فيه ولا حيـرة ولا عزلة ، والواقع ان هذه الاتهامات للخط العربي مغرضة،

يراد من ورائها ما لا يعلمه الا امثال سعيد عقل .. والا فانت يا حضرة الشاعر الكاتب الاديب هل عاقك هذا الخط ، وهل وقف في طريقك حجر عثرة ، ولو فعل لما كنت من اصحاب الادب العاق .. ولكن دعنا نتصارع .. ايراد منا ان نكرر التجربة التركية التي اثبتت فشلها وعقمها وفسادها ؟ ام يراد منا بطرق خفية وباسم الاصلاح ان نقضي على العربية من اساسها وان نقطع ما بيننا وبين حضارتنا وتراثنا ، حتى يصبح الدارس لتلك الحضارة يحتاج الى تخصص في اللغة العربية القديمة المكتوبة بالخط الذي اماتته اللاتينية ، انه لطريق اكيد وقصير للقضاء على العربية قضاء تاما يريح الحاقدين والمتربصين ، ولكنه طريق لن ينجح وفي العروبة دم يتدفق وعرق يتحرك .

لا ايها الاخ العربي ، فالحروف لا تقدم ولا تؤخر وحتى اللغة فيما اعتقد ، وقل لي ماذا افادت سهولة اللغة الاسبانية شعبها ؟ وبماذا عاقت صعوبة اللغة الروسية رجالها ؟ وهل اخر الصينيين خطهم المعقد عن الحضارة والرقي والعلم ؟

لا ايها الاخ انه التجني والظلم ، وانه لسوء حظ العربية التي اختصت دون سائر لغات الدنيا بهجوم ابنائها المحكم عليها والعمل على تحطيمها ، وياليتنا نجد مبررا لما نقوم به وما نقترفه في حقها ولكنه التأثر باعداء شعبنا ، والخائفين من شمس حضارتنا ان تشرق مدة اخرى ولذلك يستغلون ثورة الثائرين لتحطيم هذه اللغة ، والقضاء على هذه القومية يريدون بذلك ان يطفئوا نور العربية وما هم بمستطيعين .

م ـ ز



مناقشات



يحتل الشاعر محمد الحلوي مكانة خاصة في الشعر المغربي الحديث ، ذلك انه يمثل الاتجاه الشعري « التقليدي » في بلادنا تمثيلا صحيحا تنعكس فيه خصائص متميزة في الاسلوب والصياغة ، والواقع ان كلمة « تقليدي » المستعملة هنا يجب ان تفهم على نحو خاص ، لا يتسع المجال الآن لتحديد ابعاده . ولكنني اشير الى ان الوصف لا يعني الخصائص المعروفة للقصائد المسجلة في تراثنا الشعرية القديمة ، وانما اقصد به ذلك التيار الذي كان تجديديا عند بداية هذا القرن ، ثم اصبح « تقليديا » بعد ظهور تيارات «جديدة» تقلدت اللقب بحكم الدور «الزمني» والمنحى الاتجاهي .

من اجل ذلك فان شعر الاستاذ الحلوي صالح لان يكون نقطة انطلاق لدراسة مقارنة تكشف لنا عن المسار الذي حلق فيه الشعر المغربي الحديث ، وعن مدى الاضافات الابداعية ، والعيوب المعوقة التي تكتنف نتاجنا الشعري ، وطبيعي ان هذه عملية يصعب على الناقد القيام بها ما دام شاعرنا يبخل علينا بنشر ديوانه ، وكأني به يريد ان ينهج طريق الاولين في الاحتفاظ باشعارهم الى بعد مماتهم ـ اطال الله عمره ـ !

ان الاستاذ الحلوي ـ على كثرة ما نشر ـ لا يذلل الصعوبات التي تواجه النقاد ، لان عملية نشر الدواوين هي التي تعطينا نتاجا مصفى يتحمل الشاعر مسؤولية اختياره ، ويقدمه للقراء نموذجا صادقا لطاقته الشعرية وخصائصه الفنية ..

عند ما اردت ان اسجل انطباعاتي عن قصيدة « ماسح الاحذية » واجهتني اسئلة متعددة تتلخص كلها في التعارض الجذري بين مدرستي الشعر التقليدي والتجديدي، كما تحددهما الدراسات النقدية الحديثة ، وبما انني اتحدث عن قصيدة بعينها ، فليس بالامكان ان اسرد وجود الاختلافات كما افهمها، وقد اعود الى ذلك في دراسة مستقلة ، ولكنني من خلال هذا النقد سابين الخصائص التي تميز قصيدة « ماسح الاحذية » والتي تعكس ـ بصورة مصغرة ـ خصائص المدرسة « التقليدية » .

في البداية يستعمل الشاعر اداة النداء « ايها » ليخاطب « الراكع المكب على الاقدام » ويواسيه في وضعه المزري ، مقدرا فيه تضحيته ونكرانه للذات.. فالخاصية الاولى للمقدمة هي الاسلوب المباشر التقريري :

يا مثال النكران للذات لقن ادعياء الفدا دروس الفداء
لا يضرك امتهان جسمك ما عشت بروح علوية شماء
انت اتقى من عابد يقطع العمر ركوعا بدافع من رياء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

بعد هذا الخطاب المباشر ينقلنا الشاعر الى اطار قصصي ليحكي لنا بداية المشهد الدرامي بين ماسح الاحذية وامه ، ولكنه سرعان ما يأخذ الماسح في الحديث ، فينقطع السرد وندخل معه في تمنيات واحلام يقظة ، ينفس بها عن واقعه الاسود ، وتكاد

تنسينا شخصية المتحدث . بعد ذلك ينقلنا الى مرحلة اخرى ليصور لنا « ماسح الاحذية » وهو يعمل ، وما نكاد نسجم مع هذا التصوير حتى نفاجا بالعدسة تتوقف ، ليتدخل الشاعر تسبقه تعليقاته وحكمه ، وكانه يخشى ان نتوه بين دروب تلك الصور على قلتها ..

ان هذين المقطعين الاساسيين فى القصيدة يظهران بوضوح تارجح الشاعر بين الاسلوب التقريري والاسلوب التصويري ، واعتقد انه لم يوفق فى المزج بينهما لانهما متناقضان ، فكان ان بهتت ملامح الصور تحت ركام الاستنتاجات واستخلاص العبرة :

ايها الآمنون غدر الليالي والليالي تفج بالارزاء
ان للدهر نكسة تسلب المغرور ما اعتاده من النعماء

لقد قرات القصيد فلم اتجاوب معها ، بل اقتصر مفعولها على تنبيه حواسي الى التنغيم الموسيقي ، وسلاسة الالفاظ ، ولكن الانفعالات التي تحفر فى الشعور لترسب فيه ، ظلت مختفية ، واعتقد ان تعليل ذلك — اعتمادا على قراءاتي الشعرية — يرجع الى انعدام « خصوصية التجربة » فى قصيدة ماسح الاحذية فليس هناك خطوط متميزة تنقل الينا ملامح خاصة بذلك الانسان الذي راى امه تبكي ولا تجد ما تطعم به اخوته ، فاخذ يواسيها ويؤكد لها انه سيساعدها ويخرج الى الشارع لينكب على ارجل « الاثرياء » ادعياء الفدا وهي اوصاف مفترضة لان كل من يمسح حذاءه ليس بالضرورة ثريا مدعيا للفدا !!

وكدليل يدعم انعدام خصوصية التجربة الشعرية فى هذه القصيدة قول الشاعر على لسان « الفتى » :

طوحت بي الى الحياة وعرتني يداها من نعمة الاحياء
روعتني بالثكل طفلا وما افجع فقد الابناء للاباء
ورمت بي الى حياة رايت الحظ فيها بجانب الاقوياء
وان ترعني الاحداث فى فجر عمري وتذقني مرارة البؤساء
فهي اوهى من ان تنال يداها عزتي او تذل من كبريائي

ان هذه الخواطر يمكن ان يفضي بها عدد غير قليل من اشخاص الت بهم فترات ياس وقنوط ، ومن الممكن جدا ان ترد — مثلا — على لسان عبد الله ابن الزبير وهو يحاور امه ويسر اليها بذات نفسه .

لعل من الفروق الاساسية بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ، اكتفاء الاول ب « تسجيل » المشاعر والاوصاف الحسية ، ومحاولة الثاني «احياء» التجربة فى النفوس عن طريق ايجاد صلة تعاطف قوية بين الاثر الشعر والمتلقي له ، اساسها تكثيف اللحظات الشعورية ونقلها من « الداخل » باعتبار الشاعر عنصرا يعيش التجربة ولا يكتفي بالتفرج عليها نتيجة لذلك ، نجد الشعراء « التقليديين » يستعملون كثيرا من الاوصاف والتشبيهات « الجاهزة » ، ولو جاءت غريبة عن السياق النفسي للقصيدة ، مثلما نجد عند شاعرنا :

وراى فى المقهى ثريا على تخت تمطى فى نخوة الاثرياء
يرشف الكاس فى دلال ويرنو للندامى باعين شزراء
فتدانى اليه وهو يمني نفسه من حظوظ هذا اللقاء
وانحنى فوق نعله كانحناء الغصن فوق الزهيرة الميساء

فهو هنا يتحدث عن الماسح الذي كان يتصيد الاحذية المتسخة بعد ان ودع امه المحتاجة ، واخوته الباكين ، وكل هذه الظلال لا يمكن ان يغفل عنها ، ثم ياتي الاستاذ الحلوي ليعقد علاقة تشبيه بين جانب مشرق — هو الغصن والزهيرة الميساء ، وبين كتلة بشرية بئيسة تعتمل فى داخلها عواطف البغض والكراهية لمجتمع لا يرحم او لقدر اعمى ، اظن ان السياق النفسي لا يسمح بمثل هذا التشبيه ..

شيء ءاخر تعكسه قصيدة ماسح الاحذية وهو تعلق الشاعر باستخلاص العبر والحكم ليصوغها فى طابع تقريري جامد مثل قوله :

ايها الراكع المكب على الاقدام فى وقدة الرمضاء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

ان حرص الشاعر على ان يواسي ماسح الاحذية فى مصيره التعس ، جعله يندفع فى حماس

ليعبر عن احساسه في مبالغة لا منطقية ، اذ يقول له
انك رغم بؤسك وتعلق حياتك باقدام الآخرين فانت
تفضلهم مهما كانت منزلتهم !

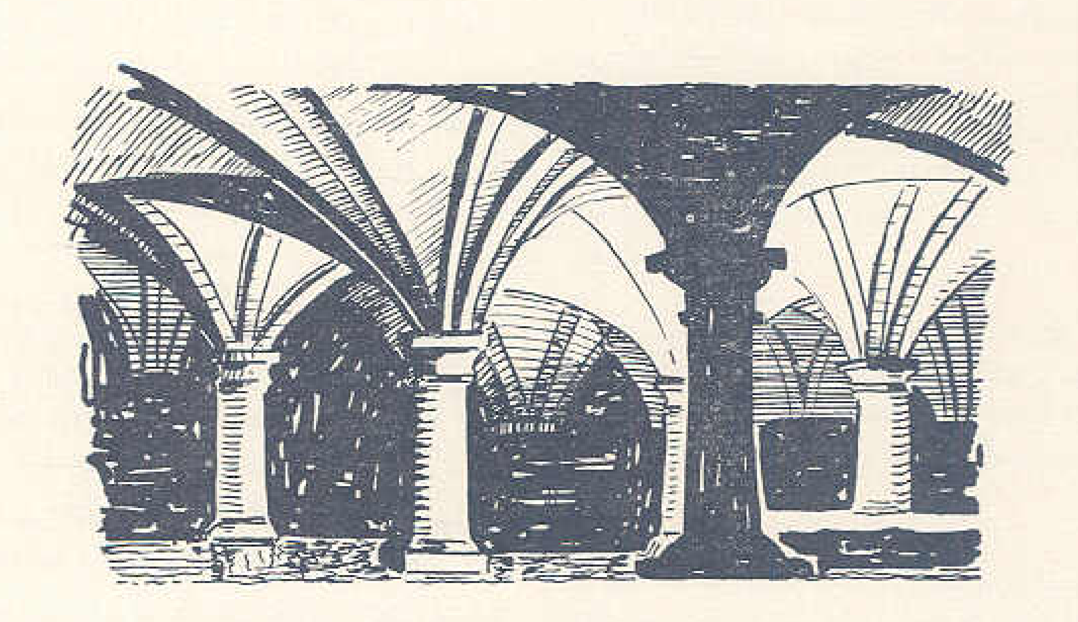
المبالغة الثانية هي قوله :
ولقد يرتقي العروش رجال بداوا مجدهم بمسح حذاء

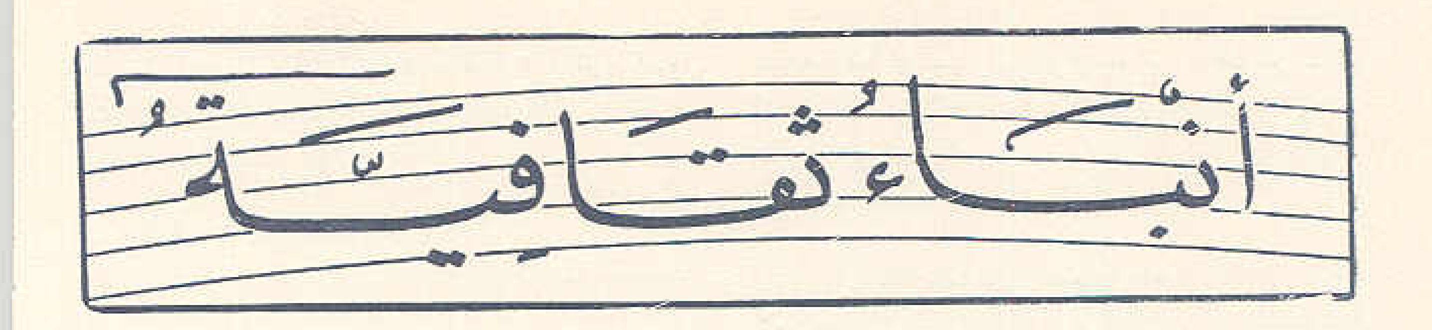
مثل هذا الكلام كنا نقراه في بعض القصص
الاخلاقية والتربوية التي كانت تقصد الى حض الناس
على العمل والمثابرة مهما كانت اوضاعهم المادية ، وهو
راي فيه الكثير من التبسيط لحقائق المجتمع الحديث
ومشاكله ، ولا يمكن في ايامنا هذه ان تواسي ماسحا
للاحذية برسم ءافاق مزيفة من الامل ، لاننا نعلم ان
ماسح الاحذية « الجاهل » يستحيل عليه ان يكسب
قوته بغير الانكباب المتواصل على ارجل الآخرين
ليتصدقوا عليه بالنزر اليسير حتى يمكنه ان يواصل
حياته . اما ان نمنيه بارتقاء « العروش » فهو من قبيل
الايمان بالمعجزات في عصر الذرة والصواريخ ، وهو
كلام صالح لان ينشر في باب « صدق اولا تصدق »
من مجلة المصور مثلا !

وان هذا التحليل لقصيدة ماسح الاحذية يثبت
انها تجربة « من الخارج » لم تستكمل خصوصية
التجربة لتنقلنا الى ابعادها الداخلية ، ويثبت كذلك
ان الشكل في حد ذاته غير كاف لان يوفر للقصيدة
خصائص الشعر الممتاز ، وقد كان الاستاذ الحلوي
مجددا في اعطاء القصيدة وحدة عضوية ، ولكن الاسلوب
الشعري المتارجح بين التقريرية والتصوير ، طمس
كثيرا من ملامح التجربة واضاع ميزات شاعرنا في
انتقاء الالفاظ وسلاسة التراكيب . .

وللاستاذ الحلوي تحياتي وتقديري

الرباط ـ محمد برادة





* قررت جمعية اصدقاء تطوان بمناسبة مرور مائة عام على تنفيذ عقد الصلح مع الحكومة الاسبانية الذي عادت بمقتضاه تطوان الى حظيرة الوطن . قررت الجمعية الاحتفال بهذه الذكرى التي ستحل بتاريخ 20 ماي 1962 فى مهرجان كبير .

* صدر للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله كتاب بالفرنسية بعنوان « الفن المغربي » وستصدر ترجمته العربية قريبا .

* صدر العدد الاول من جريدة « الميثاق » التي تصدرها رابطة علماء المغرب ، ويديرها العلامة الجليل سيدي عبد الله كنون .

نرجو للميثاق عمرا مديدا ، وانتشارا واسعا .

* صدر عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية دليل يستعين به الحجاج المغاربة لأداء فريضة الحج بعنوان « مرشد الحاج المغربي » لمؤلفه الاستاذ السيد عبد السلام بن عبد الجليل .

* تعاقدت الشركة الثقافية التونسية للطبع والتوزيع مع السيد محمد الصباغ لطبع كتابه الجديد « فوارة الظما » . ومن المنتظر ان يصدر فى أواخر فصل الربيع المقبل .

*** صدر عن المطبعة الملكية بالرباط الجزء الاول من كتاب (العز والصولة ، فى معالم نظم الدولة) لمؤرخ الدولة العلوية المرحوم مولاي عبد الرحمان بن زيدان ، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ــ عضو الديوان الملكي .**

*** اصدر الاستاذ عبدالله الجراري المفتش بوزارة (اعتاب الكتاب) للاديب الاندلسي ابن الابار .**

*** اصدر الاستاذ عبدالله الجراري المفتش بوزارة التربية الوطنية كتابا جديدا بعنوان (تقدم العرب واستاذيتهم لاوربا) .**

* سترسم فى كل نصب تذكاري صورة بارزة لجلالة المغفور له محمد الخامس ، فى الشوارع الرئيسية للمدن المغربية الكبرى ، تخليدا لذكراه .

* عقد المجلس التنفيذي للمكتب الدائم للتعريب بالرباط دورته الاولى بتاريخ يوم الاثنين 19 فبراير الماضي ، واستمر لغاية الثالث والعشرين منه ، درست خلاله جميع النقط المتعلقة بالتنظيمات الداخلية والمشاريع التي أوصى بها مؤتمر التعريب فى دورته الاولى ، فى 3 و 7 ابريل 1961 م .

* زار المغرب مؤخرا العالم الروسي الكبير الدكتور بارون فسكي ، خليفة مدير معهد الفيزياء والمتيالوجيا ، فى موسكو ، وهو اختصاصي فى الفيزياء والاختبارات المتلوجية .

وقد قام بالقاء سلسلة من المحاضرات والمناظرات بين طلبة كلية العلوم المغربية ، كما انه قام بزيارة اهم المدن المغربية ، واتصل بالاوساط المغربية العلمية، وخاصة باساتذة وطلاب هذه المادة الهامة فى مختلف المعاهد التابعة لوزارة التربية الوطنية ، كما زار الدكتور بارونسكي كلية العلوم ووزارة التربية التي رحبت بمقدمه .

* وفد الى المغرب فى زيارة ثقافية الاستاذ السيد محمد ابو القاسم كرو ، صاحب سلسلة « البعث » التونسية ومؤلفات ادبية عديدة ، والاستاذ كرو هو الذي عرف بالشابي معرفة واسعة فى الاوساط الثقافية الشرقية .

* بعد الزيارة التي قامت بها المستشرقة والمؤرخة الالمانية السيدة زيجريد هونكة ، الى المغرب اصدرت كتابا عنه ، بعنوان « نور الله يضيء على المغرب » الذي درست فيه تاثير الثقافة العربية فى

بلاد المغرب خلال القرون الوسطى ، مزيتا بصور عن الاحداث التاريخية ، وجاء في مقدمة كتاب المستشرقة ان هذا الكتاب انما هو اعتراف بالجميل وشكر للدين المستحق للعروبة منذ القدم .

* صدر للاستاذ الكبير عبد الله كنون الطبعة الجديدة اللبنانية لمؤلفه القيم « النبوغ المغربي » في ثلاثة اجزاء في مجلد ضخم .

* يوجد تحت الطبع كتاب « مقاصد الشريعة الاسلامية » لمعالي وزير الدولة للشؤون الاسلامية الاستاذ علال الفاسي .

* « الرق الحديث في افريقيا » كتاب جديد للدكتور راشد الراوي ، يشتمل على بيان حقيقة الاوضاع القائمة في افريقيا ، والاسباب التي ادت الى الثورة القومية ضد المستعمرين .

* قررت الحكومة الغانية استعمال لغتها الاصلية في الادارة والتعليم بجانب اللغة الانجليزية .

* البرت لوتولي المفكر والزعيم الافريقي الذي نال جائزة نوبل للسلام عام 1960 ، صدر له كتاب : « اتركوا شعبي حرا .. » وفي الكتاب يتحدث لوتولي عن حياته ، وظروف المعيشة البائسة التي يفرضها انصار التمييز العنصري على الافريقيين والملونين في جنوب افريقيا .

* صدر اخيرا في باريس مجموعة شعرية جديدة للشاعر الجزائري جان سينك بعنوان « صباح شعب » وقصائد الديوان كلها تدور حول الكفاح الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، وقد كتب مقدمة المجموعة ، الزعيم الجزائري مصطفى الاشرف .

* يصدر قريبا عن الشركة القومية التونسية للنشر والتوزيع كتاب بعنوان « محمد الخضر بن الحسين » لمؤلفه محمد الفاضل بن عاشور . والخضر بن الحسين من مواليد مدينة نفطة بتونس ، وخريج جامعة الزيتونة ، هاجر الى الشرق فرارا من الاستعمار الفرنسي الذي حكم عليه بالاعدام غيابيا ، وبعد ان جال في اروبا وتركيا ، واستقر قليلا بدمشق، انتقل الى القاهرة حيث اقام فيها ، واصبح من كبار علماء الازهر ، وكان طيلة حياته مدافعا عن الاسلام والقضايا المغربية باحاديثه وكتبه ، ومحاضراته ، وتراس تحرير عدد من المجلات الاسلامية كمجلة : (الازهر) وله مؤلفات عديدة في الادب ، واللغة ، والدراسات الاسلامية مع ديوان مطبوع . وتوفي في القاهرة . والمؤلف الذي درس حياة الشيخ الخضر هو الآن عميد الكلية الزيتونية للشريعة ، ومن علماء كبار الدين ، وله مؤلفات عديدة طبع بعضها ، وما زال البعض الآخر مطويا في انتظار الطبع .

* يعكف الاستاذ ابو القاسم محمد كرو على اعداد كتاب دراسي حول شاعرات العراق باسم « شاعرات عراقيات » .

* صدرت في تونس مجلة جديدة باسم « اللغات » تهتم بكل ما يتعلق باللغة من فقه ، وتاريخ ومعجم ، الى غير ذلك،وبآخرها قسم باللغة الانجليزية

وصدرت كذلك مجلة بعنوان « المراة » تعنى بطبيعة اسمها بنشاط وشؤون المراة التونسية .

* صدر عن سلسلة ادباء المغرب العربي التي تنشرها وتوزعها الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس ، كتابان : « الباجي المسعودي » للاستاذ محسن بن حميدة و « الورغي » بقلم الاستاذ محمد الحبيب بن الخوجة ، ويشرف على هذه السلسلة الشيخ محمد الفاضل عاشور .

* يصدر قريبا في تونس مسرحية بعنوان « قصر الريح » للاستاذ مصطفى الفارسي ، وقصة شعبية من التاريخ التونسي باسم « برق الليل » لمؤلفه الاستاذ البشير خريف .

*صدرت الطبعة الثانية من كتاب « كفاح واجب » لمؤلفه الاستاذ ابو القاسم محمد كرو .

* استطاع محمود الشرقاوي ان يحصل على نسخة خطية من كتاب « مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس » للمؤلف الكبير عبدالرحمن الجبرتي النسخة مكتوبة في عصر الجبرتي ، وقد عثر عليها محمود الشرقاوي في جامعة لندن .

* اصدرت الجمعية الادبية المصرية كتابها الثامن « ما ذا يبقى منهم للتاريخ » للشاعر الناقد صلاح عبد الصبور .

هناك اربعة كتب جديدة اخرى تنشرها الجمعية فى القريب ، هذه الكتب هي « فن كتابة السيرة الشعبية » لفاروق خورشيد ومحمود ذهني ، و « الشيء القديم » لاحمد كمال زكي و « قصائد افريقية » لعامر بحيري ، والطبعة الثانية : من « اقول لكم » لصلاح عبد الصبور .

* تتخذ الاجراءات الآن لاصدار كتاب واحد ضخم ، يشبه دائرة معارف الكتب ، تفتحه لتقرأ فيه عن اي مؤلف كبير ، اعدت ادارة الثقافة قوائم طويلة باسماء تلك الكتب ومؤلفيها ، وشرعت تتفق مع مجموعة من الادباء والعلماء ليكتب كل واحد منهم عن كاتب عالمي او كاتب عربي .

من المنتظر ان تصدر أجزاء هذه الموسوعة فى اجزاء دورية متفصلة ، ثم يتم جمعها معا ، وتجليدها فى مرجع ضخم واحد .

* مسرحية بيت بيرنارد البا ، للكاتب الاسباني المعروف جارسيا لوركا ، ترجمها الدكتور محمود مكي عن الاسبانية مباشرة وراجعها الدكتور حسين مؤنس وستظهر هذه المسرحية ضمن مجموعة روائع المسرح .

* صدر كتاب يحكي قصة الباخرة البرتغالية سانتا ماريا التي اعلنت الثورة فى العام الماضي ، الكتاب من تأليف هنريك جالفا وقائد السفينة ويقع فى 300 صفحة .

* تقدم سعد الدين وهبه عضو مجلس محافظة القاهرة باطلاق اسم الاديب الكبير سلامة موسى على شارع من احد الاحياء الشعبية بالقاهرة ،

* ينشر معهد الدراسات العربية بالقاهرة كتابا للدكتور علي الوردي الاستاذ بجامعة بغداد بعنوان « منطق ابن خلدون » يشتمل على المحاضرات التى القاها المؤلف فى معهد الدراسات العربية .

* سلسلة الكتب الكبيرة التي تنوي وزارة الثقافة والارشاد القومي ان تنشرها قريبا ، وتضم احدث ما اخرجته المطابع العالمية ، سيكون منها كتاب المفكر والسياسي والعمالي الكبير ستراشي الذي يحمل عنوان « نهاية النظام الاستعماري » .

* احمد حمروش انتهى من الفصول الاولى من الكتاب الذي يضعه الآن عن تاريخ المسرح . رجع حمروش الى المصادر المنشورة والى ذاكرة كبار الممثلين والمخرجين .. سيكون كتابه الجديد وثيقة تاريخية يكتبها صحفي ادار المسرح القومي خمسة اعوام . يضم الكتاب ملاحظات شخصية وحقائق وذكريات .. ويقتصر على المسرح الدرامي ..

* اصدرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » كتابا قيما عن الادب العربي أثناء العصر الجاهلي وفى ظل الاسلام وفى القرون التالية الدعوة المحمدية ، وستصدر بنت الشاطىء الجزء الثاني من « القيم الجديدة » لتستكمل به بحثها العلمي المستفيض .

* الحلقة الدراسية التي تقرر عقدها بالقاهرة فى النصف الثاني من شهر مارس القادم ، للفنون الشعبية . تقرر ان تتناول دراسة الادب الشعبي فى الجمهورية العربية الى جانب الوان الفنون الاخرى . كان المقرر من قبل ان يقتصر موضوع الحفلة على الفنون المتعلقة بعادات الزواج ، ثم عدل بحيث يشمل جميع الوان الفنون فى اي موضوع .

* تلقى عبد الرحمن الشرقاوي نسختين من روايته « الارض » احدهما هي الترجمة الانجليزية للرواية والثانية هي الترجمة الالمانية . عنوان الترجمة الالمانية « الجلابيب الزرقاء » .

* ديوان « اغنيات على النيل » لصالح جودت صدر اخيرا .

* « طاغور والمسرح الهندي » كتاب جديد لعبد الرحمن صدقي صدر اخيرا . يتضمن الكتاب عرضا وتحليلا لثماني مسرحيات من تأليف طاغور .

* « الجحيم او جلسة سرية » مسرحية لجان بول سارتر ترجمها الى اللغة العربية طارق فوده .

* اصدرت سلسلة « اعلام العرب » كتابها الاول عن الامام المفكر محمد عبده من تأليف عباس محمود العقاد . يتضمن برنامج هذه السلسلة التعريف بالمفكرين والادباء العرب .

❊ صدر اخيرا عن دار الفكر العربي المجموعة القصصية الاولى للاديب محمد سالم بعنوان « استاذ فى الحارة» التي ساهمت في اصدارها وزارة الثقافة.

❊ الكتاب الجديد للدكتور مصطفى محمود ، هو مجموعة مقالاته النفسية وخواطره الفنية التي لم تضم معا في كتاب واحد من قبل . وعنوان الكتاب الجديد « احلام » وقد قام الفنان رجائي بتصميم الغلاف والرسوم المرافقة للصفحات .

❊ « اله رغم انفه » .. كتاب جديد صدر هذا الاسبوع للاستاذ فتحي رضوان يضم خمس مسرحيات .. ومنها مسرحية « جلاد رغم انفه » التي نشرها المؤلف منذ سنوات بمجلة « المجلة » وعالج فكرتها من بعده توفيق الحكيم في « السلطان الحائر » .

❊ ترجم الدكتور عبد الحميد يونس كتاب « رحلة في عالم النور » للكاتبة الصحفية الامريكية اشبل روس . والكتاب يتناول قصة المكفوفين عبر التاريخ . وقد اضاف اليه الدكتور يونس بعض الابحاث عن عباقرة العرب المكفوفين من امثال بشار ابن برد وابو العلاء المعري وابن سيدة .

❊ عقد في منتصف فبراير مؤتمر بالقاهرة لوزراء التعليم التابعين لمختلف الدول الموقعة على ميثاق الدار البيضاء ، درست فيه تطبيق القرارات التي اتخذها اثناء المؤتمرات السابقة البلدان المنخرطة في الميثاق وهي : الجمهورية العربية المتحدة ، والمغرب ، والجزائر ، وغانا ، وغينيا ، ومالي .

❊ اصدر الاستاذ عبد الرزاق نوفل كتابا بعنوان « محمد قبل الرسالة » .

❊ يصدر قسم البحوث الفنية للمجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم معجما باسم « ادباء القرن العشرين »مشتملا على ترجمات ادباء العرب وآثارهم .

❊ سيحتفل بالقاهرة بذكرى ابن المقفع .

❊ صدر اخيرا « المعجم اللغوي الوسيط » عن مجمع اللغة بالقاهرة .

❊ قال الدكتور طه حسين في حديث له مع الشاعر كامل الشناوي انه لا يوجد في الادب العربي غير عبقريتين : « ابن خلدون ، وابي العلاء المعري » .

❊ اصدر علي الجندي مجلدا عن المرحوم كامل الكيلاني بمناسبة ذكراه الثانية .

❊ كتاب « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام ، عزمت على اصداره وزارة الثقافة في ج . ع . م . مع العلم بان هذا الكتاب صدر في عام 1938 بتحقيق لجنة من كلية الآداب بجامعة القاهرة .

❊ عادت الى الصدور في القاهرة مجلة « الادباء» بعد توقف طويل .

❊ شرع معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية برئاسة الدكتور صلاح الدين المنجد بوضع فهارس عامة موحدة للمخطوطات التي تقدر بحوالي نصف مليون مخطوطة .

❊ وضعت مديرية السكك الحديدية في الجمهورية العربية المتحدة مكتبة في كل محطة يستطيع المسافر ان يستعير منها الكتاب الذي يريده على ان يعيده في المحطة التي سينزل بها ، وذلك حتى لا يشعر بالملل اثناء سفره .

❊ عقد اخيرا بالقاهرة المؤتمر الثاني الافريقي الاسيوي .

❊ سيعاد في القاهرة طبع دواوين الدكتور احمد زكي ابو شادي .

❊ « تطور الحضارة من انسان الغابة الى عصر الذرة » كتاب صدر اخيرا لمؤلفه علي اسلام .

❊ **اصدرت دار الفكر المغربي للنشر والتوزيع بطنجة : الكتاب الاول من المطالعة الثانوية للمدارس المغربية ، تاليف الاستاذين محمد عبد الواحد بناني وابو بكر حسن اللمتوني .**

❊ ذكرت بعض صحف القاهرة بان « ابوللو »التي كان يصدرها المرحوم ابو شادي ستعود للصدور قريبا

❊ احتج علماء الدين في ايران وعلى راسهم آية الله البهباني على احدى الشركات السينمائية

الايطالية التي شرعت في اخراج فلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطالب كذلك مفتي القاهرة برفع دعوى امام المحاكم الدولية على هذه الشركة ، كما اعدت لجنة الفتوى بالازهر بيانا يتضمن تحريم اظهار شخصيات الانبياء وزوجاتهم ، وكذلك الخلفاء على شاشة السينما او التلفيزيون او المسرح .

* يصدر كتاب جديد لتوفيق الحكيم بعنوان « عدالة وفن » .

* ترشح القاص المصري المعروف الاستاذ محمود تيمور لنيل جائزة الدولة في الادب لهذا العام .

* اصدرت حكومة ج. ع. م. قرارا بتشكيل لجنة خاصة لوضع اسس انشاء كلية اسلامية للبنات ، كما اصدرت قرارا بانشاء معهد للفتيات بالازهر ، يضم الاقسام الابتدائية والاعدادية والثانوية ، وتنظم فيه رعاية اجتماعية كاملة للطلبات ، كما يوضع به نظام لايواء المغتربات منهن بالمجان .

* ستضم مدينة جامعة الازهر الجديدة — الى جانب المباني الحالية — عددا من المباني لتسع كليات جامعية ، ومستشفى جامعي ، ومجمع للبحوث الاسلامية ، ودار للضيافة ، وادارة جديدة للجامعة الازهرية . ويراعى في تصميم هذه المدينة ابراز المعالم الاثرية ، لحي الازهر ، وانشاء حديقة فسيحة في صدر المدينة .

* سافرت بعثة من اساتذة الازهر للقيام بالتدريس في المعهد الاسلامي الجديد بالفليبين . وقد حملت البعثة معها مجموعة من الكتب المقررة على طلبة الازهر هدية لمكتبة المعهد .

* صدر مؤخرا للاستاذ عباس محمود العقاد كتاب بعنوان « محمد عبده عبقري الاصلاح والتعليم »

* « الموجة العذراء » ديوان جديد للشاعر محي الدين فارس صدر في هذه الايام

* ستصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق المطبوعات الآتية : « كتاب الابدال » لابي الطيب اللغوي « الجزء الثاني » منه بتحقيق الاستاذ عز الدين التنوخي . « تاريخ مدينة دمشق » للحافظ بن عساكر المجلد العاشر بتحقيق الاستاذ محمد احمد دهمان . « كتاب النوادر » لابي مسلم عبد الوهاب بن حريش الاعرابي والجزء الثاني منه بتحقيق الدكتور عزة الحسن . « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » للشيخ عبد الرزاق البيطار بتحقيق الاستاذ محمد بهجة البيطار . « التاريخ الجامعي في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره » لسليم الجندي ، بتحقيق الاستاذ عبد الهادي هاشم . « فهرس المخطوطات » لدار الكتب الظاهرية للدكتور عزة حسن ، « مثالب الوزيرين » لابي حيان التوحيدي بتحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

* ستقوم وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية بطبع كتاب ضخم لشاعر الشام شفيق جبري .

* اعيد في بيروت طبع كتاب « العظمة الاسلامية » .

* فرغ الاستاذ محمد جميل بيهم من كتابة كتاب « المراة في حضارة العرب » وقدمه للطبع

* تم طبع جميع المقالات والخطب والقصائد ، التي القيت في حفل تكريم الاخطل الصغير في كتاب

* احتفل في بيروت ببلوغ الكاتب جورج حنة ، السبعين من عمره .

* ستظهر دراسة جديدة للاستاذ خليل هنداوي بعنوان « علي بن ابي طالب في نهج البلاغة » .

* يعد اديب مروة كتابا عن الاخطل الصغير ، كما ستظهر دراسة مطولة عن نفس الشاعر المذكور .

* نالت « اغاني مهيار الدمشقي » للشاعر ادونيس ، جائزة مجلة « شعر » لاحسن مجموعة شعرية صدرت في عام 1961 .

* الشاعر اللبناني يوسف عضوب ، يعد ديوانا جديدا للطبع ، وسيكون كما يقول كل من اطلع عليه ، حدثا ادبيا كبيرا في العالم العربي .

* « النشيد الظافر » ديوان يصدر قريبا لشاعر كربلاء المرحوم عباس أبو الطوس .

* درس المجمع العلمي العراقي في اجتماعاته الاخيرة المصطلحات الفنية للسكك الحديدية

* سيؤسس في بغداد مركز ثقافي سوفييتي .

* صدر في موسكو ديوان الشاعر العراقي معروف الرصافي ، مترجما الى اللغة الروسية .

* « دار قريش » اسم اول مسرح قرر الملك سعود انشاءه في السعودية ، والاستاذ احمد السباعي هو اول كاتب اسند اليه كتابة روايات المسرح السعودي .

* اصدر الملك سعود مرسوما يقضي بمنح الحرية التامة للصحافة السعودية ورفع الرقابة عنها .

* تطبع الآن رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية في مطابع الرياض ، وهي رسائل ضخمة تزيد على العشرين مجلدا جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمان ابن قاسم .

* صدرت في القدس مجلة « الافق الجديد » براس تحريرها الاستاذ جمعه حماد .

* صدرت في طهران طبعة انيقة من كتاب « الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة » لمؤلفه السيد جواد المصطفى الذي درس نهج البلاغة دراسة دقيقة ثم كتب فهرس الفاظه في مدة اثني عشر عاما .

* اعلن مركز الدراسات التاريخية التابع لجامعة كمبريج البريطانية أن المركز المذكور انتهى من الدراسات الاولية لتدريس تاريخ ايران منذ العصور القديمة ، وسيبدا العمل بطبع ونشر هذه الموسوعة ، ويسمى الكتاب « دائرة معارف الحضارة الفارسية » وتعتبر هذه الموسوعة من اكبر الموسوعات والمؤلفات عن تاريخ ايران وحضارته .

* احتفل في انقرة بعيد كتب الاطفال .

* احتفلت الهند مؤخرا بذكرى ميلاد غاندي وقد اقيمت المهرجانات في مختلف انحاء الهند بمناسبة هذه الذكرى ، كما صدرت عدة كتب في هذا الموضوع

* شيخ كتاب القصة الروسية المعاصرة « اهنبريج » أصدر كتابا عن نفسه بعنوان « حياتي العاصفة » .

* احتفلت مدينة مينك عاصمة روسيا البيضاء بمرور 850 عاما على مولد الفيلسوف العربي ابو بكر ابن طفيل .

* بعد نحو قرن ونصف على وفاة نابوليون بونابرت ، صدر في هذه الايام كتاب للعالم السويدي الدكتور ستين فورشوفود بعنوان «من قتل نابليون؟» وقال العالم السويدي أن بونابرت قتل في جزيرة سانت هيلانة حيث اخذ شخص مجهول يضع له الزرنيخ في الطعام قرابة ست سنوات .

* عقد مؤخرا في بروكسيل مؤتمر اثري دولي .

* ظهر في منشورات بريل في ليدن كتاب « تربية سلامة موسى » مترجما الى الانجليزية .

* اصدر البروفيسور تيدور هويس رئيس الجمهورية الاتحادية السابق مجموعة من مؤلفاته الادبية في كتاب عنوانه « على حائط الكتب » مشتملا على 600 سنة من الادب الاروبي .

* اجتمع أكثر من 200 من الاساتذة الفلاسفة والجامعيين من عدة دول اروبية في مدينة مونيخ للاحتفال بالعيد الخمسين لتاسيس جمعية شوبنهاور الدولية ، وقد القيت هناك عدة خطب ، ونظمت عدة محادثات في مختلف الوجهات عن اعمال الفيلسوف الكبيرة شوبنهاور .

* « الادب العربي في عصوره المختلفة » كتاب الفه المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس وقد صدر اخيرا باللغتين الالمانية والمجرية .

✻ اصدر الكاتب الفرنسي بريس.بران مسرحيته الاولى فى الايام الاخيرة بعنوان « أسود على ابيض » ، وسنه الخامسة والستون .

✻ الباحثة الانجليزية « جون فيدان » عضو معهد الصحافة فى لندن اتمت ترجمة مخطوط عربي فى مكتبة «بودليانا» فى اكسفورد ، وهو كتاب « الافادة والاعتبار » للمؤرخ عبد اللطيف البغدادي . وستتولى نشره باللغة الانجليزية .

✻ صدرت فى لندن رواية « مساء السبت صباح الاحد » من تاليف «آلن ميليتو» ، وبيع منها حتى الآن 700 الف نسخة ، واستخلص منها المنتجون الفرنسيون فلما يعرض الآن فى باريس . وفى هذه الرواية يصف « سيليتو » تطور الطبقة العمالية البريطانية .

✻ المؤتمر الثالث عشر للفلسفة تقرر عقده فى « المكسيك » فى المدة 17 الى 24 من سبتمبر 1962 . وجهت الدعوة الى الجمهورية العربية للاشتراك فى هذا المؤتمر .

✻ قامت صحف بريطانيا بحملة على مسرحية « ليدي شاترلي » التي تعرض الآن على مسرح الفن بلندن .

✻ ايريل بنتلي الناقد الامريكي الكبير . سيطالعه قراء العربية قريبا وذلك فى كتابه الهام « المسرح الحديث » ، انتهت ادارة الثقافة من مراجعة الترجمة وتقوم الآن باعدادها للنشر .



فهرس العدد الخامس ـ السنة الخامسة

صفحة

مناقشات

